مكافحة صناعة رهاب الإسلام

نحو استراتيجيات أكثر فعالية

مايو 2018



مكافحة صناعة رهاب الإسلام

نحو استراتيجيات أكثر فعالية

مايو 2018

THE
CARTER CENTER



One Copenhill
Freedom Parkway 453
Atlanta, GA 30307
420-5100 (404)
www.cartercenter.org

مركز كارتر:

تأسس مركز كارتر في عام 1982 بمبادرة من الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر والسيدة الأولى السابقة روزالين كارتر، وبالاشتراك مع جامعة إيموري، لتعزيز السلام والصحة في جميع أنحاء العالم. منظمة غير حكومية لا تبغى الربح. ساعد مركز كارتر على تحسين حياة الناس في أكثر من 80 دولة من خلال حل النزاعات؛ تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان والفرص الاقتصادية؛ الوقاية من الأمراض؛ وتحسين الرعاية في مجال الصحة النفسية.

زوروا موقع المركز على www.cartercenter.org للاطلاع على البرامج والنشاطات.

المحتويات

توطئة

بقلم الرئيس جيمي كارتر

لقد تابعت بقلقٍ الزيادة غير المسبوقة في جرائم الكراهية وخطاب الكراهية المعادي للمسلمين. فقد تعرّض المسلمون لممارسات تمييزية وغير دستورية، تتراوح بين تشديد المراقبة والسجن، مروراً بقلة الضمانات الإجرائية المناهضة للتشريعات المعادية لهم. ولا يخفى على أحد أنّ هذه الخطوات لا تنتهك حرية المسلمين في ممارسة معتقدهم فحسب، بل تساهم أيضاً في تهميشهم عن صفوف المواطنين المشاركين في الحياة المدنية.

بطبيعة الحال، يُعتبر احترام حقوق الإنسان والقضاء على التمييز جزءاً لا يتجزأ من النهوض بالسلام العالمي والديمقراطية. لكن عندما نتجاهل التمييز الذي يطال جيراننا المسلمين، كيف عسانا ندّعي أننا أوفياء لقيمنا الأميركية؟ وإذا ما رضينا بالتمييز ضد أولئك المنتمين إلى ديانة مختلفة، أفلا ننال من حرياتنا الدينية الخاصة، تلك التي لطالما اعتززنا بها؟

لا يمكن لأيّ منا تجاهل التحدي الذي يمثّله ارتفاع رهاب الإسلام بالنسبة إلى وطننا. لذا، حريٌّ بنا أن نعقد العزم على مكافحة الخوف والاستغلال، بمزيجٍ من التضامن والالتزام بالعدالة، حمايةً لأولئك الذين عانت مجتمعاهم الاضطهادَ والتمييز بشكلٍ خاص.

في سبتمبر من العام 2017، عقد مركز كارتر ندوةً دوليةً جمعت علماء، وصحافيين، وناشطين في المجتمع المدني، وقادةً دينيين، بهدف صياغة استجابة استراتيجية ومستدامة لمعالجة رهاب الإسلام. فخلصت هذه الندوة إلى أنّ الأشخاص ذوي النية الحسنة يتحمّلون مسؤولية إعلاء الصوت والتكلّم بصراحة لمساءلة من يسعى إلى تفريقنا عن طريق الانتقاص من الآخرين. يجدر بنا الاستفادة من القوانين التي تكرّس حقوق الإنسان والحقوق المدنية من أجل مكافحة رهاب الإسلام، خاصّةً وأنّ هذه القوانين سبق واستُخدمت لمكافحة أشكال التمييز الأخرى أيضاً.

مهمّة مركز كارتر هي إحلال السلام، ومكافحة الأمراض، وبث الأمل في نفوس جميع الأشخاص. وبناءً عليه، نقدّم في هذا الكتيّب الاستراتيجيات، وأفضل الممارسات، ومجموعة الأدوات اللازمة لمكافحة انتشار رهاب الإسلام، وبناء ثقافة من الاحترام لحقوق الإنسان العالمية.

مقدّمة: مركز كارتر يعمل من أجل فهم تنامي رهاب الإسلام ومكافحته

هدى العبادي

برنامج حلّ النزاعات في مركز كارتر

بلغت جرائم الكراهية التي تطال مسلمين في الولايات المتّحدة، أو أشخاصاً قد يبدو عليهم أنهم مسلمون، أعلى مستوياتها على الإطلاق. فبحسب المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة، ارتفع عدد مجموعات الكراهية المعادية للمسلمين في البلاد، بين 2015 و2016، بنسبة 197% فيما شهدت جرائم الكراهية المعادية للمسلمين فورةً ملحوظةً بنسبة 67%. فضلاً عن ذلك، سُجّل 63 هجوماً على مساجد بين يناير ويوليو 2017.

في يونيو 2017، كانت نبرا حسنين، وهي فتاة من ولاية فيرجينيا في السابعة عشرة من عمرها، في طريقها إلى المسجد عائدةً من مطعم "آيهوب" الذي زارته مع صديقاتها، عندما تعرّضت للهجوم والقتل. وقبل شهرٍ من ذلك، قُتل رجلان طعناً على متن قطار ركّاب في بورتلاند، أوريغون، بعد محاولتهما الدفاع عن شابّتين ترتديان الحجاب ,كانتا تتعرّضان للمضايقة. مع الأسف، ما هذه الحوادث إلا غيضٌ من فيض.

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، نال الإسلام نصيبه من تشويه السمعة، والمسلمون من الوصم. فنما الشباب المسلم في الغرب على وقع الفحص والتدقيق والتشهير والتنمّر لا لشيء إلا بسبب ديانته. خلال فترة حملة الانتخابات الأميركية لعام 2016، بات الخطاب المعادي للإسلام شكلاً مقبولاً من التعصّب غرضه بثّ أجواء الخوف وحصد أصواتٍ انتخابية. لكنّ التعصّب ضدّ المسلمين في الولايات المتّحدة يستند إلى شبكة تمويل كبيرة. في الواقع، شهد العنف ضدّ المسلمين زيادةً هائلةً في عامٍ اقترن في الأذهان بأعمال داعش الوحشية (أو ما يُعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام) والخطاب السياسي المعادي للإسلام. غير أنّ القسم الأكبر من ضحايا داعش كانوا من المسلمين. لذا، يعاني المسلمون معاناةً مزدوجة: استيلاء جماعات مثل داعش على ديانتهم، بالإضافة إلى ارتفاع موجة رهاب الإسلام.

لكنّ رهاب الإسلام لا يقتصر على التحدّث مع المسلمين بقساوة فقط، بل هو شكل منهجيّ ومؤسساتيّ من أشكال العنصرية.

ليس رهاب الإسلام بمشكلة المسلمين، بل هو إهانة لإنسانيتنا المشتركة.إنه انتهاك جوهري لحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية

رهاب الإسلام هو كمّ أفواه المسلمين. هو عملية إدانة انتقائية. هو التوقيف المستمر وغير العشوائي لإجراء التفتيش المعتمد في المطارات. هو حظر السفر الذي تمّ تجديده مؤخراً. هو أسلوب المراقبة وضبط الأمن الذي يفرضه مكتب التحقيقات الفدرالي على أحياء المسلمين. هو اعتبار كلّ شخص يتحدّث بالعربية مشروع متطرّف. هو مطالبة المسلمين بالاعتذار عن جرائم لم يقترفوها. هو الدعوة إلى اعتماد سجلٍ خاص بالمسلمين. هو سياسيّ يطمئن ناخبين قلقين إلى أنّ الرئيس السابق أوباما ليس بمسلمٍ بل في الواقع "رجل لطيف جداً"، وكأنّ أحد الاحتمالين يستثني الآخر.

ليس رهاب الإسلام بمشكلة المسلمين، بل هو إهانة لإنسانيتنا المشتركة. إنه انتهاك جوهري لحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية. يرتبط رهاب الإسلام ارتباطاً وثيقاً بالعنصرية، ورهاب الأجانب، وغير ذلك من أشكال تجريد الآخر من إنسانيته، وغالباً ما يكون ذلك لمصلحة من يسعى إلى الحفاظ على تحكّمه بهياكل السلطة السائدة. من هنا، إنّ الاستجابة لظاهرة رهاب الإسلام أمر أساسيّ

ومسؤولية أخلاقية بالنسبة إلى صانعي السياسات، والمدافعين عن الحقوق المدنية على اختلاف انتماءاتهم الدينية والعرقية والإثنية، والحركات والمنظّمات الداعية إلى الحوار بين الأديان.

مناقشات ندوة الخبراء حول مكافحة صناعة رهاب الإسلام

تشكّل صياغة آليات الاستجابة الفعالة لمكافحة رهاب الإسلام أساس مشروع مركز كارتر للوقاية من التطرّف العنيف، منذ إنشائه. فالمركز يؤمن أنّ التطرّف لا يعرف حدوداً دينية أو وطنية أو إثنية. فداعش ورهاب الإسلام وجهان لعملةٍ واحدةٍ، وبالتالي فإنّ مكافحة أحدهما تعني حتماً مكافحة الآخر. كلاهما يصوّران الغرب والمجتمع الإسلامي ككل ككياناتٍ منقسمة في الصميم وفقاً لخطوط تصدّعٍ وجودية. وكلاهما مخطئان.

في سبتمبر 2017، نظّم المركز ندوةً استمرّت ثلاثة أيام حول مكافحة صناعة رهاب الإسلام، حشد فيها 30 من أهل الاختصاص والعلم في مجال رهاب الإسلام، والإعلام، والعنف السياسي من مختلف أنحاء العالم. ارتكزت المناقشات على ثلاثة مواضيع أساسية: 1) مظاهر رهاب الإسلام وتأثيرها على الأرض؛ 2) العلاقة التكافلية بين رهاب الإسلام والراديكالية؛ 3) والاستجابات الاستراتيجية والمستدامة لرهاب الإسلام في الولايات المتحدة وأوروبا والعالم الإسلامي.

من هذا المنطلق، تمّ تنظيم المقالات في هذا الدليل وفقاً للمواضيع: فيتمعن موضوع" نظرة معمّقة إلى صناعة رهاب الإسلام" في شبكة الجهات الفاعلة، والشبكات، والمؤسسات التي تتيح لصناعة رهاب الإسلام استمرار العمل على قدمٍ وساق. ويميّز موضوع مقال "رهاب الإسلام في القانون والسياسة" بين رهاب الإسلام بصفته مجرّد شعورٍ معادٍ للمسلمين من جهة، والقوانين والسياسات المتجذرة في مؤسسات الدولة التي تستهدف مجتمعات المسلمين وتلصق بهم الوصم على نحوٍ ظالم من جهة أخرى، وغالباً ما يكون ذلك باسم الحفاظ على الأمن القومي. أما موضوع "مكافحة رهاب الإسلام في الإعلام"، فيتعمّق في دور وسائل الإعلام السائدة في تكريس الصور السلبية المقترنة بالمسلمين والتحريض على التمييز، مع التوسّع في الجهات التي يخدم ذلك مصالحها، وما الذي يمكننا فعله في هذا الصدد. جديرٌ بالذكر أنّ العديد من خبراء ندوتنا ناشطون على المستوى الشعبي وقادة في مجتمعاتهم المحلية، وبناءً عليه تنقسم مساهماتهم إلى قسمين: فيصف القسم الأول، بعنوان "وجهات نظر القواعد الشعبية"، ملامح رهاب الإسلام وآثاره في المجتمعات المحلية وعليها، فيما يستعرض الثاني، بعنوان "صياغة آلية استجابة مستدامة واستراتيجية للتعامل مع رهاب الإسلام" عدة دراسات حالة عن استجابات فعالة، موفّراً مجموعة من الأدوات المفيدة لأولئك الملتزمين بمكافحة رهاب الإسلام.

إنّ الآراء الواردة في مقالات هذا الكتاب تقع على عاتق المؤلّفين وحدهم ولا تعكس بالضرورة آراء مركز كارتر.

نظرة معمّقة إلى صناعة رهاب الإسلام

لا يمكن اختصار رهاب الإسلام بالخوف من المسلمين على نحو عشوائي وناتج عن الجهل فقط. فرهاب الإسلام هو، إلى حدٍّ كبير، وظيفة صناعة معاداة المسلمين، وهي شبكة ذات تمويل سخيّ ومعارف نافذين منهم أفراد (باميلا غيلر، دايفيد هورويتز)، ومؤسسات (المركز القانوني للحريات الأميركية، جهاد ووتش، معهد كلاريون)، ومانحين (شيلدون أدلسون، مؤسسة برادلي).

يعود أصل رهاب الإسلام، تاريخياً، إلى ظاهرة الاستعمار وقد بدأ يتمحور حول الدين مع فقدان المفاهيم البالية المتعلقة بالحتمية البيولوجية والتضارب الثقافي قدرتها على إقناع الناس. يُعتمد رهاب الإسلام كتكتيك سياسي، يبلغ ذروته في الخطاب العام خلال الدورات الانتخابية، ويُستخدم لكمّ أصوات المسلمين ووصمهم، لا سيّما عندما يجرأون على المطالبة بحقوقهم والجدال من أجل حماية مصالحهم في الشأن العام.

رهاب الإسلام في القوانين والسياسات

لا يمكن اختصار رهاب الإسلام بخطاب الكراهية، بل إنه أكثر من ذلك بكثير. وهو أكثر خطورةً عندما يكون متجذّراً في الهياكل المدنية والقضائية التي تلصق الوصم بالمسلمين على نحوٍ غير عادل، بحجة حماية الأمن القومي. بالفعل، استُخدمت حجة الخوف من الإرهاب كأداة سياسية لتبرير الانتهاكات الفاضحة للحقوق المدنية وحقوق الإنسان.

من تشديد المراقبة والاعتقالات والتوقيفات التعسّفية وتراجع الضمانات الإجرائية، إلى حالات الهستيريا الجماعية المحيطة بالغزو المزعوم للشريعة الإسلامية للمحاكم الأميركية، بات المسلمون في بلدان الغرب هدفاً للعديد من الممارسات التمييزية المنفّذة على يد الأجهزة الأمنية في تلك البلدان. ولا ريب في أنّ هذه الخطوات لا تنتهك قدرة المسلمين على ممارسة شعائرهم الدينية بحرية فحسب، بل تسعى إلى تهميشهم عن المشاركة في مجتمعاتهم أيضاً.

من هذا المنطلق، تتعمّق الدراسات في هذا القسم في ازدياد التكتيكات الأمنية المفرطة ونتائج هذه السياسات على المدى

الطويل، فضلاً عن العلاقة بين إنفاذ القوانين ورهاب الإسلام، والسُّبل الفعالة لإرساء التوازن بين الأمن القومي والحريات المدنية.

مكافحة رهاب الإسلام في الإعلام: ممارسات الإعلام المحلي وسياسة المعارضة

اجتاحت الصورة الاستشراقية المستخدمة لتمثيل الإسلام والمسلمين وسائل الإعلام وثقافة البوب. فكما يقول العالم الكبير المتخصّص في رهاب الإسلام ضمن وسائل الإعلام، جاك شاهين، يُختصر المسلمون غالباً بثلاثة توصيفات : فاحشو الثراء، والمفجّرون، ومحترفات الرقص الشرقي. وقد ساهم هذا التاريخ في رسم صورة محمّلة بالأفكار النمطية الفجة والمبالغ فيها عن المسلمين، كرّست وهم "الخطر الإسلامي" والتبريرات الأيديولوجية لشنّ الغارات العسكرية.

في هذا الإطار، تتمعن الدراسات في هذا القسم في طريقة تفاعل الثقافة والسياسة والإعلام. وعليه، من الضروري أن يغيّر القادة المسلمون المحليون أدوارهم من مستهلكين منفعلين للإعلام إلى منتجين فاعلين لقصصهم الخاصة. ولا ريب في أنّ المساحات الإعلامية والمنابر البديلة، على غرار صحافة المواطن والإعلام التشاركي، تخبّىء في جعبتها فرصاً وتحدّيات معقّدة للمسلمين الذين يختبرون هذه السُّبل. من هنا، يتعمّق كتّابنا في المقاومة القائمة على الوساطة، والعلاقة بين العمل الناشط على شبكة الإنترنت وخارج نطاقها، وكيف يمكن استخدام الإعلام البديل لتحقيق التغيير الاجتماعي، وبالتحديد تعزيز المنظّمات الشعبية واستدامة الشعور بالتضامن بين المجتمعات المحلية.

أصوات من أرض الواقع 1: وجهات نظر القواعد الشعبية

من المهمّ فهم التواريخ، والاستراتيجيات، والمجموعات، والخطابات، والسياسات التي يقتات عليها نار رهاب الإسلام. مع ذلك، لعلّه من الأهمّ الإصغاء إلى المجتمعات المسلمة المتنوّعة التي تختبر هذه الظاهرة وتقاومها بشتى الطرق، الكبيرة منها والصغيرة. فوباء رهاب الإسلام في الولايات المتحدة وأوروبا يخلّف عواقب وخيمة جداً على المسلمين، كما يؤثّر على حياتهم بطرق مختلفة.

على سبيل المثال، تتجنّب الطالبات الجامعيات المسلمات في المملكة المتحدة المواضيع السياسية الحساسة، كما تتدنى احتمالات مشاركتهنّ في السياسة خوفاً من تصنيفهنّ كإرهابيات وتعرّضهنّ للمراقبة نتيجةً لذلك. بالنسبة إلى الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة، فيتعرّضون للتنمّر بشكلٍ منتظم، وتُطلق عليهم أحياناً صفة الداعشي والإرهابي. أما المسلمون في فرنسا، فيخضعون لمراقبة دقيقة، حيث يمكن لممارسة الشعائر الدينية الروتينية (كالصلاة أو الامتناع عن تناول بعض أنواع الأطعمة) أن تُعتبر من علامة "التطرّف" بنظر المؤسسات الأمنية العامة.

أصوات من أرض الواقع 2: تطوير آلية استجابة مستدامة واستراتيجية للتعامل مع رهاب الإسلام

استكمالاً لمهمة الإصغاء الأساسية، تسلّط الدراسات الواردة في هذا القسم الضوء على الجهود المبتكرة، غالباً، التي يقوم بها ناشطون على المستوى المحلي بغية صياغة آليات استجابة استراتيجية ومستدامة نحو رهاب الإسلام. تشمل المواضيع في هذا الإطار الوضع الراهن في مجال مكافحة رهاب الإسلام، ومجموعة الأدوات المطلوبة لتحسين الاستجابة وتمكينها. فيجدر بالقادة الدينيين والمحليين أن يكونوا مواطنين منخرطين في العمل المدني، باستخدام تقنية التنسيق والتعاون بين الأديان بما في ذلك عن طريق الحملات العامة والمناصرة، والمبادرات التوعوية، وشنّ المعارك المشتركة تحقيقاً للعدالة الاجتماعية، ومكافحة رهاب الإسلام على المدى الطويل. فضلاً عن ذلك، تُعتبر المقاربات المشتركة بين الطوائف والمجتمعات المحلية بالغة الأهمية للوصول إلى حلّ عملي وطويل المدى لمختلف أشكال التطرّف العنيف. من هنا، تُختتم الكثير من الدراسات الواردة في هذا الكتيّب بتوصيات حول كيفية صياغة المقاربات المستدامة والاستراتيجية بطريقة ماهرة نظرياً، فتطبيقها عملياً.

الخاتمة

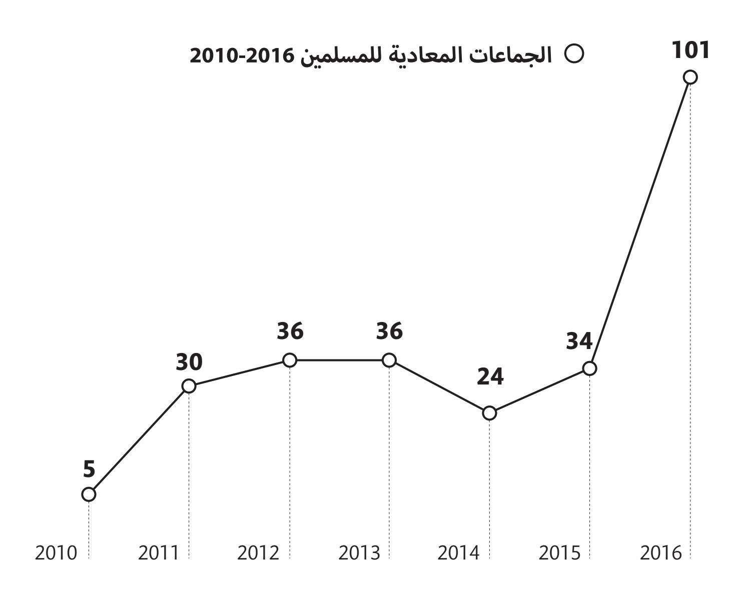
يُختتم الكتيّب بمقالٍ لابراهيم رسول، وهو سفير جنوب أفريقيا السابق إلى الولايات المتحدة، الذي يتأمّل في الدروس المستخلصة من نضال جنوب أفريقيا لإنهاء الفصل العنصري. يجادل رسول أنّ إلحاق الهزيمة برهاب الإسلام يعني الاعتراف به كفرد في عائلة أكبر هي "عائلة التعصّب". وتضمّ شجرة هذه العائلة أيضاً الخوف والجهل، والأحكام المسبقة والتمييز، والعنصرية، والتحيّز الجنساني، ومعاداة السامية. ويتابع رسول أنّ "قيادة جنوب فريقيا قاومت إغراء حصر معاناتها برهاب الإسلام أو رفعها إلى هذا المصاف، احتراماً منها لحجم وعمق معاناة مواطني جنوب أفريقيا السود باسم العنصرية، ومعاناة عمّال المناجم القادمين من بلدان أفريقية أخرى باسم رهاب الأجانب." بالفعل، يجب أن يكون النضال من أجل العدالة نضالاً دامجاً، لأنّ حرمان مجموعة واحدة من الكرامة، والمساواة، والحرية- في صياغة معدّلة لمقولة د. مارتن لوثر كنغ- يشكّل تهديداً للجميع.

جماعات الكراهية المعادية للمسلمين: دليل أوليّ

هايدي بيريش

المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة

بالنسبة إلى المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة، تتمثّل الخطوة الأولى لمكافحة الكراهية في التوعية. ولعلّ جزءاً من هذه المسؤولية يكمن في اكتساب المزيد من المعلومات عن أبرز المروّجين للكراهية. لا يخفى على أحد



أنّ حركة معاداة المسلمين ظاهرةٌ جديدةٌ نسبياً في أميركا، حيث أنّ العديد من هذه الجماعات لم تظهر إلا في أعقاب الهجمات الإرهابية على مركز التجارة العالمي في 11 سبتمبر 2001. غير أنّ هذا لا يعني أن التعصّب ضدّ المسلمين لم يكن له وجود في الحقبات السابقة، لا بل إنه كان مواكباً لكراهية السود، واليهود، والكاثوليك، والمهاجرين وغيرهم. لكنّ تبلور شبكة متطوّرة صبّت جام غضبها على المسلمين دون غيرهم ظاهرة حديثة جداً.

هناك افتراضٌ سائدٌ أنّ هجمات 11 سبتمبر الإرهابية كانت الشرارة التي أشعلت هذه الحركة، لكنّ هذا الأمر ليس صحيحاً تماماً. في الواقع، مع أنّ بذور بعضٍ من أبرز المنظّمات المعادية للإسلام اليوم قد زُرعت في السنوات التي تلت الهجمات الإرهابية، إلا أنّ العمل الجماعي الناشط ضدّ المسلمين لم يتبلور فعلاً حتى العام 2010، في أعقاب الصراع على بناء ما سُميّ بمسجد "غراوند زيرو"، وهي تسمية تحريضية أطلقها عليه عمداً خصومه المتحاملون على المسلمين. ففي تلك السنة، كان من المقرّر بناء مركز مجتمعي إسلامي، عُرف ببيت قرطبة، في محاكاةٍ للمراكز المجتمعية اليهودية، على أن يقع في مانهاتن الدنيا، مما أثار موجةً عاتيةً من الغضب في أوساط المحافظين. ومن هؤلاء المرشّحة السابقة لمنصب نائب الرئيس الأميركي، سارة بايلن، التي اعتبرت المشروع "خطأً غير مقبول على أرضٍ مقدّسة"، مع العلم أنّ المسجد لم يكن ليبنَ مكان تفجير برجي مركز التجارة العالمي، بل بالقرب منهما. وقد تردّد صدى هذا الشعور نفسه لدى العديد من المحافظين الآخرين، على غرار رئيس مجلس النواب السابق نيوت غينغرش الذي ندّد بالمشروع كونه يعكس "نشوة النصر".

بعد صرخات الاستياء التي اندلعت في أوساط اليمين ووسائل إعلام مثل فوكس نيوز بسبب بناء المركز المجتمعي، بدأ العمل الناشط المعادي للمسلمين ينمو في مختلف أنحاء البلاد. وانطلقت حملة لتأجيج مخاوف المسلمين والدفع باتّجاه إقرار التشريعات المناهضة لهم، لا سيّما الإجراءات المناهضة للشريعة الإسلامية. ضمن إطار هذه البروباغاندا المعادية، جادلت الجماعات التي تحرّض على الكراهية بأنّ المسلمين إنما يحاولون الإطاحة بالنظام الديمقراطي الأميركي من خلال تسريب أنظمتهم القانونية الخاصة إلى البلاد، وبالتالي تقويض تدابير الحماية التي ينصّ عليها الدستور. (وهذه حجة زائفة تماماً). بحلول العام 2017،

ووفقاً لمعهد هاس في جامعة يو. سي. بيركلي، بلغ مجموع هذه الجهود التشريعية 217 مشروع قانون تمّ طرحها في 43 ولاية. وتجدر الإشارة إلى أنّ عدداً قليلاً من الولايات، على غرار تكساس وأركنساس، قد حوّل مشاريع القانون هذه إلى قوانين فعلية.[1]

في الوقت عينه، بدأت الجماعات المعادية للمسلمين تتوسّع، وتمكّنت من اكتساب حلفاء سياسيين على مستوى الولاية والفدرالية دعماً لجهودها. بحلول العام 2017، ومع وصول الرئيس دونالد ترامب إلى البيت الأبيض، باتت هذه الجماعات تملك مفاتيح الدخول إلى أروقة السلطة في البيت الأبيض والكونغرس على السواء.

حثّ هذا الهيجان الشعبي المتزايد ضدّ المسلمين في الولايات المتّحدة على سطوع نجم جماعات الكراهية. فقد لاحظ المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة نموّاً مقلقاً في عدد الجماعات المعادية للمسلمين بين 2015 و2016، حيث ارتفع هذا العدد من 34 إلى 101 في سنة واحدة. ومن المتوقّع أن يرتفع مجدّداً عام 2017. ولعلّ هذه القفزة المتسارعة في الأرقام تأتّت عن حملة الرئيس ترامب وانتخابه في تلك الآونة، هو الذي لم ينفكّ يشوّه سمعة المسلمين خلال الحملة، مبادراً حال وصوله إلى السلطة إلى فرض حظر سفر على اللاجئين القادمين إلى الولايات المتحدة من الدول ذات الأغلبية المسلمة (بدءاً من أوائل 2018، أصبح مصير هذا الحظر معلّقاً في المحاكم). إذاً، لا ريب في أنّ دعم ترامب لأفكار جماعات الكراهية هذه وتعصّبه ضدّ المسلمين، خلال الحملة الانتخابية ومنذ أن تولى سدّة الرئاسة، قد غذّى هذه المنظّمات مؤدياً إلى تكاثرها.

بالنسبة إلى المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة، تعتمد جماعات الكراهية المعادية للمسلمين أسلوب العدائية الشديدة تجاههم. فتصوّر هذه المنظّمات من يمارس الشعائر الإسلامية على أنه كائن غريب في جوهره، مضفيةً على المسلمين مجموعةً متأصّلةً من الصفات السلبية. فتمّ وصفهم على أنهم أشخاص غير منطقيين، متعصّبين، وعنيفين، مع تصوير عقيدتهم مراراً على أنها تجيز التحرّش بالأطفال، ولا تتسامح مع المثليين الجنسيين والنساء.

فضلاً عن ذلك، تؤمن هذه الجماعات، في العادة، بنظريات المؤامرة التي تفيد أنّ المجتمعات الأميركية المسلمة تمثّل خطراً كامناً على أميركا. ومن هذه النظريات ما عُرف "بجهاد الحضارات"، وبموجبها يمثّل المسلمون طابوراً خامساً، مخطّطين لتقويض الديمقراطية الأميركية والحضارة الغربية واستبدالها بالاستبداد الإسلامي. كما تزعم جماعات الكراهية أنّ المسلمين يحاولون إضعاف سيادة القانون من خلال فرض الشريعة الإسلامية على الأميركيين. وتستشهد هذه الجماعات أيضاً بالتهديد الذي يمثّله الإخوان المسلمون، مع تهجّمها المستمر على مجموعات الحقوق المدنية المسلمة والقادة الأميركيين المسلمين لروابطهم المزعومة بالإخوان. بالفعل، ضغطت العديد منها من أجل إدراج الإخوان المسلمين على قائمة التنظيمات الإرهابية الأجنبية.

ومن هذه النظريات ما عُرف "بجهاد الحضارات"، وبموجبها يمثّل المسلمون طابوراً خامساً، مخطّطين لتقويض الديمقراطية الأميركية والحضارة الغربية واستبدالها بالاستبداد الإسلامي.

بالإضافة إلى ذلك، تُقدم جماعات الكراهية المعادية للمسلمين على تشويه صورة الإسلام، معاملةً إياه كديانة شريرة ومن لونٍ واحد في معظم الأحيان. وهي تعتبر أنّ الإسلام لا يتقاسم أيّ قيمٍ مع الثقافات الأخرى بشكلٍ عام، وأنه في مرتبة أدنى من الغرب، وأنه أيديولوجية سياسية عنيفة وليس بديانة. عام 2017، نظّمت "آكت! فور أميركا" (تحرّك من أجل أميركا) تظاهرةً معاديةً للإسلام شارك فيها أعضاء من حركات متطرّفة أميركية أخرى، كالأشخاص المنادين بتفوّق العرق الأبيض، والنازيين الجدد، وعناصر ميليشيات مسلّحة. فعكس هذا الأمر تصعيداً في مستوى الراديكالية لدى كافة حركات الكراهية الأميركية ضدّ السكّان المسلمين.

مع تأجّج أزمة اللاجئين السوريين في 2015 و2016، باتت الحركة ككل أكثر عدائية تجاه هؤلاء الوافدين الجدد إلى سواحلنا، فحوّلت الجماعات المعادية للمسلمين غضبها، أكثر فأكثر، تجاه برنامج اللجوء الأميركي. وجرت العادة أن يتمّ تصوير اللاجئين كإرهابيين متسلّلين إلى البلاد باسم التنظيمات الإرهابية. وهكذا، بدأت مجموعات صغيرة معادية للاجئين تنبق في مختلف أنحاء البلاد، متصدّيةً لبرنامج إعادة توطين اللاجئين على المستوى المحلي الضيق، زارعةً بذور الفتنة ضدّ اللاجئين في بلدات مثل توين فولز في أيداهو.

1 Elsadig Elsheikh, Basima Sisemore, and Natalia Ramirez Lee, "Legalizing Othering: The United States of Islamophobia," September 2017, Haas Institute for a Fair and Inclusive Society, U.C. Berkeley, Berkeley, California, http://haasinstitute.berkeley.edu/sites/default/files/haas_institute_legalizing_othering_the_united_states_of_islamophobia.pdf, تمّت زيارة الموقع في 20 شباط/فبراير 2018

كان ثمن هذا التعصّب والجيشان المتناميين ضدّ المسلمين باهظاً بالنسبة إلى مجتمعات المسلمين والعرب والجنوب أسيويين: فقد ارتفعت أعداد جرائم الكراهية والهجمات الإرهابية المحلية الموجّهة ضدهم. (في الواقع، غالباً ما يكتفي المهاجمون الذين يستهدفون المسلمين بالبحث، بكلّ بساطة، عن ضحايا من أيّ نوعٍ قد يشبه المسلمين برأيهم، فتكون النتيجة تأثّر الكثير من المجتمعات المحلية الأخرى، بدورها، بالعنف والتعصّب ضد المسلمين). عام 2016، أظهرت إحصاءات جرائم الكراهية الصادرة عن مكتب التحقيقات الفدرالي أنّ الجرائم الناجمة عن تحيّز ضدّ المسلمين قد شهدت قفزةً مفاجئةً حتى 307 حادثاً، بالمقارنة مع 257 في العام الأسبق، أي بزيادةٍ 19% تقريباً.[2] أما عدد الضحايا، فقد تزايد بشكلٍ متناسب مع الارتفاع العام في عدد

> عام *2016*، أظهرت إحصاءات جرائم الكراهية الصادرة عن مكتب التحقيقات الفدرالي أنّ الجرائم الناجمة عن تحيّز ضدّ المسلمين قد شهدت قفزةً مفاجئةً حتى *307* حادثاً، بالمقارنة مع *257* في العام الأسبق، أي بزيادةٍ *19%* تقريباً

الحوادث، أي من 307 في العام الماضي إلى 388 عام 2016، أو بحوالى 26%. هذا مع العلم أنّ إحصاءات جرائم الكراهية غير دقيقة، بل تتجاهل عدداً كبيراً من هذه الجرائم، وبالتالي فمن المرجّح أن يكون مقدار هذا النوع من الجريمة أعلى بكثير مما أورده مكتب التحقيقات الفدرالي (وكانت دراسة صدرت عن وزارة العدل الأميركية عام 2017 قد أشارت إلى أنّ جرائم الكراهية تقع بمعدّل 250 ألف سنوياً، وهو رقم أعلى بكثير من ذلك الذي يسجّله مكتب التحقيقات الفدرالي بشكلٍ منتظم والبالغ 6 آلاف تقريباً).

ولا ننسى أيضاً الهجمات الإرهابية التي يتعرّض لها المسلمون ومؤسساتهم الدينية داخلياً. فلعلّ الحادث الذي حظي بتغطية إعلامية واسعة مؤخراً هو مقتل رجلين وجرح ثالث على متن قطار تابع لشركة ماكس في بورتلاند في مايو 2017. وقع الحادث عندما بدأ شخص عنصري من مناصري ترامب، يُدعى جيريمي كريستيان، بمضايقة من اعتقد أنهما فتاتان مسلمتان على متن القطار. فتعرّض الرجال للهجوم عندما انبروا للدفاع عن الفتاتين. ومن منا لا يذكر الهجمة الفتاكة على معبد للسيخ في أوك كريك، ويسكونسون، عام 2014 الذي راح ضحيته ستة قتلى، على يد أحد أفراد جماعة "ذوي الرؤوس الحليقة" المتعصّبة، اعتقاداً منه أنهم من المسلمين. بالإضافة إلى ذلك، تعرّضت مساجد أميركية للحصار. ففي 2015، ووفقاً لمجلس العلاقات الأميركية الإسلامية وجامعة يو. سي. بيركلي، سُجلت 78 هجمةً على المساجد. وفي 2016، بلغ عدد هذه الهجمات ـ46، و63 حتى يوليو 2017 [3]، أي ما معدّله 9 هجمات شهرياً تقريباً في السنوات الأخيرة.

لمعرفة المزيد عن حركة كراهية المسلمين في أميركا، نُدرج في ما يلي 5 نبذات عن قادة هذه الحركة، بالإضافة إلى معلومات عن منظّماتهم.

بريجيت غابريال

المنظّمة مؤسِّسة ورئيسة "آكت! فور أميركا" (تحرّك من أجل أميركا)

ما ورد على لسانها

"تتعرّض أميركا لاختراق على مختلف المستويات من قبل راديكاليين يكنّون لها الأذى. لقد اخترقونا على مستوى وكالة الاستخبارات المركزية، ومكتب التحقيقات الفدرالي، والبنتاغون، ووزارة الخارجية."

— مقتطف من نيويورك تايمز، 7 آذار/مارس 2011

"الفرق يا أصدقائي بين إسرائيل والعالم العربي يعادل، بكل بساطة، الفرق بين الحضارة والهمجية. إنه الفرق بين الخير والشرّ، وهذا ما نشهده في العالم العربي والإسلامي. أشعر بالغضب. ليس لديهم روح! بل هم أموات مستعدّون للقتل والتدمير."

— مقتطف من خطاب أدلت به أمام مؤتمر "مسيحيون متّحدون من أجل إسرائيل" الذي نظّمه القس جون هاغي، يوليو 2007

"عشرات آلاف الناشطين الإسلاميين يقيمون اليوم في أميركا، ويعملون ضمن خلايا نائمة، ويرتادون كليّاتنا وجامعاتنا، لا بل يتسلّلون إلى حكومتنا. إنهم هنا، اليوم. كثيرون منهم موجودون هنا منذ سنوات. يترقّبون. يستعدّون."

— موقع "آكت! فور أميركا"، غير مرفق بتاريخ

ملخّص

تعتبر غابريال الإسلام، بصورةٍ مطلقة، تهديداً جسيماً للولايات المتّحدة وإسرائيل والغرب. وهي ميّالة إلى استخدام التعميمات الشاملة والتصريحات المبالغ فيها لوصف مؤامرة معقّدة، كبرى،

2 إحصاءات جرائم الكراهية 2016، مكتب التحقيقات الفدرالي، https://ucr.fbi.gov/hate-crime/2016، تمّت زيارة الموقع في 20 شباط/فبراير 2018.

3 Hate Crime Victimization, 2004-2015, Bureau of Justice Statistics, June 2017, https://www.bjs.gov/content/pub/pdf/hcv0415.pdf, 2018 تمّت زيارة الموقع في 20 شباط/فبراير.

يحوكها المسلمون من أجل الهيمنة على العالم. تبرز غابريال في هذا الوسط كونها الوحيدة في الحركة المعادية للمسلمين التي ركّزت على ضرورة إنشاء منظّمة على مستوى القاعدة الشعبية، لتعبئة الآلاف من الأعضاء ونشر المئات من الفروع في الولايات المتحدة وعبر العالم. هي صاحبة كتاب لأنّهم يكرهون: ناجية من الإرهاب الإسلامي تحذّر أميركا (Because They Hate: A Survivor of Islamic Terror Warns America) (2006) ويجب وضعهم عند حدّهم: لماذا يجب أن نهزم الإسلام الراديكالي وكيف يمكننا فعل ذلك (They Must Be Stopped: Why We Must Defeat Radical Islam and How We Can Do It) (2008)، كما تشارك في إنتاج وتقديم البرنامج التلفزيوني الأسبوعي "آكت! فور أميركا".

باميلا غيلر

المنظّمات رئيسة مبادرة الدفاع عن الحريات الأميركية، كما تدير موقع *pamelageller.com* أيضاً.

ما ورد على لسانها

"الإسلام ليس عرقاً. إنه أيديولوجية، لا بل أيديولوجية متطرّفة. إنه الأيديولوجية الأكثر راديكالية وتطرّفاً على وجه الأرض."

— "اتبع المال" (Follow the Money) على فوكس بيزنس، 10 مارس 2011

"كلا، كلا، لا يستطيعون... لا أعتقد أنّ الكثير من المسلمين المقيمين في بلدان الغرب يعلمون أنهم، عندما يصلّون خمس مرات في اليوم، إنما يشتمون المسيحيين واليهود خمس مرات في اليوم... أؤمن بفكرة المسلم المعتدل. لكنني لا أؤمن بفكرة الإسلام المعتدل. أعتقد أنّ المسلم المعتدل هو المسلم العلماني."

— مقتطف من نيويورك تايمز، في إجابة عن سؤال متعلق عن مدى إمكانية اعتبار المسلمين المتديّنين الممارسين للشعائر الدينية معتدلين سياسياً، 8 أكتوبر 2010.

"في الحرب الدائرة بين الإنسان المتحضّر والهمجي، من الطبيعي أن تنحاز إلى الإنسان المتحضّر... إذا لم تستسلم للتفوق العنصري الإسلامي أو تُقتل بسببه، ستُعتبر متعصّباً، عنصرياً، كارهاً للإسلام ومعادياً للمسلمين. هذا هو فحوى حديثنا فعلاً."

— مقتطف من نيويورك تايمز، 8 أكتوبر 2010.

ملخّص

اضطلعت غيلر بدور الشخصية الأكثر تأثيراً وبروزاً في حركة معاداة المسلمين. من نقاط قوّتها الخطب البلاغية الحماسية والحيوية- من دون أن ننسى بعض الحيل كالظهور في فيديو معادٍ للمسلمين بالبيكيني- مع الإشارة إلى أنها قد تكون فظّةً أحياناً خلال شجبها الإسلام بشكلٍ عام. لا تدّعي غيلر أنها ضليعة في الدراسات الإسلامية، بل تخلّف مهمّة تقديم الحجج والجدال لشريكها في منظّمة "أوقفوا أسلمة أميركا" سبنسر. تميل إلى الترويج لمزاعم منافية للعقل، كفكرة أنّ الرئيس السابق باراك أوباما هو "الابن غير الشرعي" لمالكوم إكس. كما أفادت مرّةً أنّ القاضية المعيّنة لعضوية المحكمة العليا الأميركية، إيلينا كايغن، وهي يهودية المعتقد، تدعم الأيديولوجية النازية. احتكّت غيلر بعنصريين وفاشيين أوروبيين، كما امتدحت عنصريين من جنوب أفريقيا ودافعت عن الرئيس الصربي المتّهم بارتكاب جرائم حرب، سلوبودان ميلوزيفيتش. جاهرت بانتمائها إلى الصهيونية، وهي ناقدة لاذعة لليهود الليبراليين. شاركت مع سبنسر في إنتاج فيلم "مسجد غراوند زيرو: الموجة الثانية من هجمات 11/9" (The Ground Zero Mosque: Second Wave of the 9/11 Attacks) الذي عُرض للمرة الأولى في مؤتمر العمل السياسي المحافظ. ومع سبنسر أيضاً، شاركت في تأليف كتاب ما بعد الرئاسة الأميركية: حرب إدارة أوباما على أميركا (The Post-American Presidency: The Obama Administration's War on America) (2010).

دايفيد هورويتز

المنظّمة مؤسّس مركز دايفيد هورويتز للحريات

ما ورد على لسانه

"أمضيت 25 عاماً في اليسار الأميركي، وأنا على يقين أنّ برامجه ستدمّر هذا البلد. يريد منا اليسار الأميركي خسارة الحرب الباردة ضدّ السوفيات، كما يريد منّا خسارة الحرب على الإرهاب. لذا، أنا لا أريد أن أقدّم أيّ اعتذار عن ذلك."

— ورد في برنامج "ريز خان"، الجزيرة، 21 أغسطس 2008

"تقدّر بعض الاستطلاعات أنّ 10% من المسلمين يدعمون أسامة بن لادن والقاعدة. ويرفع أحد استطلاعات الجزيرة هذا الرقم إلى 50%. بعبارةٍ أخرى، يدعم ما يتراوح بين 150 مليون و750 مليون مسلم شنّ حربٍ مقدّسة على المسيحيين، واليهود، والمسلمين الآخرين الذين ليسوا بمؤمنين مخلصين للقرآن بحسب بن لادن."

— في كولومبيا سبيكتايتر، 15 أكتوبر 2007

"تضمّ الجامعات الأميركية 150 رابطة للطلاب المسلمين. أنشئت رابطات الطلاب المسلمين على يد حماس وبتمويل من

السعودية... [الرابطات] هي إسلامية وهابية، وتقدّم الدعم إلى أعدائنا بكلّ بساطة."

— "برنامج نيل كافوتو" على فوكس نيوز، 15 أغسطس 2006

الملخّص

كان هورويتز ماركسياً في سنوات شبابه، لكنه تحوّل في السنوات الأخيرة إلى مدافع شرس عن اليمين المتطرّف وخصم لدود لليبراليين واليساريين. فضلاً عن ذلك، يوفّر تمويلاً لمشاريع متنوعة مناهضة للمسلمين، على غرار الموقع الإلكتروني جهاد ووتش. ينكر هورويتز وجود أيّ تدرجات فلسفية؛ فإذا كنت لا توافق نظرته إلى الإسلام كلياً، فأنت تؤيّد الهيمنة الإسلامية. كما يؤمن بأنّ الإخوان المسلمين و"الفاشيين الإسلاميين" يتحكّمون بمعظم المنظّمات الأميركية الإسلامية، لا سيّما رابطات الطلاب المسلمين في حرم الجامعات. نظّم مركز هورويتز أسابيع "التوعية تجاه الفاشية الإسلامية" التي دعا فيها إلى حرم الجامعات ناشطين بارزين في مجال معاداة المسلمين. هو مؤلّف عدة كتبٍ، منها الحلف غير المقدّس: الإسلام الراديكالي واليسار الأميركي (Unholy Alliance: Radical Islam and the American Left) (2004) حيث يزعم أنّ اليساريين الأميركيين يدعمون الإرهابيين الإسلاميين.

روبرت سبنسر

المنظّمة يدير موقع جهاد ووتش، وهو أحد مشاريع مركز دايفيد هورويتز للحريات. مؤسِّس مشارك مع باميلا غيلر (راجع أعلاه) لمبادرة الدفاع عن الحريات الأميركية.

ما ورد على لسانه

"يتوافق استخدام أسامة [بن لادن] لهذه الآيات [القرآنية] وغيرها في رسائله... مع الفهم التقليدي للقرآن. عندما يقرأ اليهود والمسيحيون في عصرنا هذا كتابيهم المقدّسين، لا يفسّرون الآيات الواردة على أنها تحثّهم على ارتكاب أفعال عنيفة ضدّ غير المؤمنين. ويعود ذلك إلى تأثير قرونٍ من التقاليد التفسيرية التي نأت بهم عن التفسير الحرفي لهذه الآيات."

— من الدليل غير الدبلوماسي إلى الإسلام (والصليبيين) (The Politically Incorrect Guide to Islam (and the Crusades))، 2005

"أين هو الإسلام المعتدل؟ كيف يمكن للمسلمين المعتدلين دحض التفسير الراديكالي للقرآن والسنة؟ إذا كان عرض الإسلام المعتدل لا يعالج التفسيرات الراديكالية أو يردّ عليها، أفيملك قيمةً حقاً في سحق التطرّف الإسلامي؟ إذا كانت الإجابة الشافية تكمن في رفض حرفية القرآن بكلّ بساطة، فكيف يمكن لغير الحرفيين المحافظة على هذا الرفض، وحماية أطفالهم من التأثّر بالجهاديين الذين سيحاولون تعبئتهم عن طريق الحرفية؟ بطبيعة الحال، كما أشرت إلى ذلك مراراً قبلاً، ليس الإسلام التقليدي بديانة معتدلة أو مسالمة. إنها الديانة الكبيرة الوحيدة في العالم التي تعتمد عقيدةً متطوّرةً، وتتّبع تقليد شنّ الحروب على الكافرين."

— جهاد ووتش، 14 كانون الثاني/يناير 2006

الملخّص

علّم سبنسر نفسه بنفسه عن الإسلام الحديث والقرآن، مع الإشارة إلى أنه حائز شهادة ماجستير في الدراسات الدينية من جامعة كارولاينا الشمالية في تشابل هيل. اتّهمه النقاد بالإصرار على أخذ القرآن حرفياً- حيث يعتبره سبنسر نصّاً متطرّفاً وعنيفاً بشكلٍ متأصّل- مع تجاهله الآيات غير العنفية وتقليد الاجتهاد الواسع الذي عدّل تعاليم القرآن على مرّ القرون. يؤمن سبنسر أنّ المسلمين المعتدلين موجودون، لكن لإثبات اعتدالهم، سيتوجّب عليهم شجب مقاطع القرآن التي يعترض عليها بشكلٍ كامل. عُرف عن سبنسر مخالطته لعنصريين وفاشيين جدد أوروبيين، رغم قوله إنّ هذه اللقاءات كانت من قبيل الصدفة لا أكثر. وقد اتّهمت بنازير بوتو، رئيسة الوزراء الباكستانية الراحلة، سبنسر "ببثّ الشقاق بين الإسلام والغرب زوراً" في كتابها الصادر عام 2008 بعنوان المصالحة: الإسلام والديمقراطية والغرب (Reconciliation: Islam, Democracy, and the West). وكتبت: "لقد عرض سبنسر قصّةً تحريضيةً من منظور جانب واحد لا تفيد إلا في زرع بذور نزاعٍ بين الحضارات." إلى جانب ذلك، شارك سبنسر غيلر في إنتاج فيلم "مسجد غراوند زيرو: الموجة الثانية من هجمات 11/9" (The Ground Zero Mosque: Second Wave of the 9/11 Attacks) الذي عُرض للمرة الأولى في مؤتمر العمل السياسي المحافظ. كما ألّف كتباً عديدة منها حقيقة محمّد: مؤسّس أقل ديانات العالم تسامحاً (The Truth About Muhammad: Founder of the World's Most Intolerant Religion) (2007) والدليل غير الدبلوماسي إلى الإسلام (والصليبيين) (The Politically Incorrect Guide to Islam (and the Crusades))، (2005).

دايفيد يروشالمي

المنظّمات المؤسِّس المشارك والمحامي الأوّل في المركز القانوني للحريات الأميركية. المحامي العام لمركز السياسات الأمنية، وهي إحدى جماعات الكراهية المعادية للمسلمين.

ما ورد على لسانه

"في ما يُسمّى بالحرب العالمية على الإرهاب، كنا واضحين جداً. نحن وقلة من الأشخاص الحازمين الآخرين. يجب أن تكون هذه الحرب حرباً على الإسلام وسائر المسلمين المؤمنين. ... يعني هذا الأمر على المستوى العملي أن تصبح الشريعة الإسلامية خارجةً عن القانون فوراً. أيّ مسلمٍ في أميركا يتّبع الشريعية التاريخية والتقليدية يُصار إلى ترحيله. كما يعني ذلك إقفال المساجد التي تلتزم بالشريعة الإسلامية بشكلٍ دائم. لن يُسمح لأيّ شخص يصف نفسه بأنه مسلم أو يمارس الشعائر الإسلامية، بغض النظر عن إعلانه عكس ذلك، بالهجرة إلى هذه البلاد."

—- تعليق صادر عام 2007 بعنوان "بيان الحرب الرسمي- حرب ضد الإسلام" كما ورد في مجلة المسلم الأميركي

"لكنّ الأدلة الخاضعة لمراجعة دقيقة تفيد أنّ الجهاد هو في الواقع الإسلام التقليدي وقد تمّ تحديثه لشنّ حرب على التهديد الأيديولوجي الذي يمثّله الغرب بالنسبة إلى الإسلام الصحيح، وبالتالي ليس من طريقة لإبقاء المسلمين المؤمنين بمعزلٍ عن تلك الحرب. إذا صحّ ذلك، يجب اعتبار أيّ مسلم يطلّ برأسه خارج المسجد للتلفظ بكلام فاحش ضدّ الغرب مقاتلاً في صفوف العدوّ، فقتله أو اعتقاله واحتجازه طيلة مدة الحرب. إذا قتلت ما يكفي منهم بدرجة كافية من الاتساق، سيجد من كان غير ميّال إلى القتال في بادئ الأمر طريقةً لإصلاح دينه."

— مراجعة كتاب ماري هابيك بعنوان اعرف عدوّك (Knowing the Enemy) على موقع ذا أميركان ثينكر، تاريخ 9 سبتمبر 2006

ملخّص

يساوي يروشالمي بين الشريعة والراديكالية الإسلامية مساواةً تامّةً لدرجة أنه يدافع عن تجريم فعليّ لأيّ ممارسة شخصية تتوافق مع الشريعة الإسلامية. برأيه، لا يمكن قبول المسلم اجتماعياً إلا إذا كسر الصلة التي تربطه بأعراف الشريعة وتقاليدها. عند وصفه طريقة الاستجابة المفضّلة لديه لاستئصال التهديد العالمي المزعوم الذي تمثّله الشريعة الإسلامية، يشتدّ غضباً ويتحدّث بنبرة متعطّشة للدماء، آتياً عرضاً على ذكر ضرورة القتل والتدمير. في أفضل الأحوال، يوصي بحظر الإسلام وترحيل المسلمين والأشخاص "غير الغربيين وغير المسيحيين" الآخرين من أجل حماية "الطابع الوطني" للولايات المتحدة." هو أحد اليهود الأصوليين المتشدّدين، ويكنّ عدائيةً شديدةً لليهود الليبراليين. يستهزئ بالديمقراطية على الطريقة الأميركية لأنها تتيح مجال التصويت لأشخاص من خارج حلقة النخبة أو القلة المتميّزة.

تسبّبت نصوص القوانين المناهضة للشريعة الإسلامية التي صاغها في انتشار موجة من مشاريع القوانين المماثلة في المجالس التشريعية في مختلف أنحاء الولايات المتحدة، لا بل اعتُمدت كقوانين في بعض الولايات. ومن مشاريع القوانين هذه ما دعا إلى سجن كلّ من يدافع عن تقاليد الشريعة الإسلامية أو يلتزم بها لمدة تصل إلى خمسة عشر عاماً.

يتضمّن موقع المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتّحدة، splcenter.org، العديد من المواد الإضافية بشأن حركة معاداة المسلمين، فضلاً عن قائمة شاملة بجماعات الكراهية المعادية للمسلمين (https://www.splcenter.org/fighting-hate/extremist-files/ideology/anti-muslim). لمن يودّ معرفة المزيد عن كيفية مكافحة الكراهية في مجتمعه المحلي، بما في ذلك التحيّز ضدّ المسلمين، يمكنه الاطلاع على الأدلة التالية الصادرة عن المركز:

مكافحة التحيّز ضدّ المسلمين

(https://www.tolerance.org/magazine/spring-2011/combating-antimuslim-bias)

عشر طرق لمكافحة الكراهية: دليل استجابة مجتمعي (https://www.splcenter.org/20170814/ten-ways-fight-hate-community-response-guide)

لا تسكت: التعامل مع التعصّب في الحياة اليومية (https://www.splcenter.org/20150125/speak-responding-everyday-bigotry)

اليمين البديل في حرم الجامعات: ما الذي يجب أن يعرفه الطلاب (https://www.splcenter.org/20170810/alt-right-campus-what-students-need-know)

صناعتا رهاب الإسلام واللوبي الإسرائيلي: العلاقات المتداخلة وتوصيات السياسات المناهضة للعنصرية[4]

رباب ابراهيم عبد الهادي

جامعة ولاية سان فرانسيسكو

ملخّص البحث

تتعمّق ورقة السياسات هذه في الطابع الهيكلي لرهاب الإسلام وتاريخه، مجادلةً أنّ صناعة رهاب الإسلام تتطابق لا بل تتداخل مع صناعة اللوبي الإسرائيلي القوية، وهي شبكة من المجموعات الصهيونية[5] ذات تمويل سخيّ ومعارف نافذين.[6] تهدف صناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي إلى استخدام العنصرية وإشاعة الخوف، عبر الاتكال على مموّلين ذوي نفوذ ومعارف سياسيين لإسكات الباحثين والمربّين والمدافعين عن العدالة في/من أجل فلسطين، وتخويفهم والتنمّر عليهم، من خلال شنّ هجمات مكارثية الطابع على الأصوات المعارضة.

استناداً إلى عملي البحثي في مجال الدراسات العربية والإسلامية والفلسطينية، والمسألة الحرجة المتعلقة بنظرية العرق، وتجربتي الحيّة كمديرة وباحثة عليا لبرنامج المبادرة الأكاديمية لدراسة الجاليات العربية والمسلمة في المهجر، في جامعة ولاية سان فرانسيسكو[7]، أقدّم هنا تشريحاً لهذه الصناعة، وارتباطاتها، وتمويلها، فضلاً عن أهدافها. أما هدفي من ذلك، فهو التوضيح أنّ صناعة اللوبي الإسرائيلي هذه ليس بحركة شعبية بل قوة طاغية، مخطّط لها جيّداً، لها معارف نافذون، وتستخدم، عن سابق إصرار وترصّد، أشكالاً متعدّدة من ترسانتها العنصرية والكارهة للأجانب كي تشنّ هجمات على المسلمين والعرب، بمن فيهم الفلسطينيون. بعد ذلك، سأركّز على تأطير هذه الصناعة ضمن إطار رهاب الإسلام ومعاداة العرب والفلسطينيين، وأسلّط الضوء بشكلٍ خاص على التصوير الاستشراقي الجنسي والمتحيّز جنسانياً الذي تعتمده هذه الصناعة للترويج لبرنامجها. في نهاية الأمر، بناءً على دراستي لهذا التداخل بين رهاب الإسلام وصناعة اللوبي الإسرائيلي، سأرفع توصيات لمكافحة الترويج الهيكلي للخوف، بما في ذلك رهاب الإسلام، والعنصرية ضدّ العرب والفلسطينيين، وكافة أشكال العنصرية والتمييز العنصري.

> يجب اعتبار رهاب الإسلام حرباً مؤسّساتية، وهيكلية، ونظامية على المسلمين وأيّاً من يُعتبر مرتبطاً بالإسلام والمسلمين وقضاياهم. وبالتالي، يشكّل رهاب الإسلام شكلاً نظامياً من العنصرية والتمييز العنصري

رهاب الإسلام: هيكلياً، تاريخياً ونظامياً

قبل أن أناقش صناعة اللوبي الإسرائيلي وعلاقته الوثيقة بصناعة رهاب الإسلام، اسمحوا لي أن أعرض عليكم إطاراً مفاهيمياً لفهم رهاب الإسلام، الظاهرة قيد النظر حالياً. ليس

4 أتقدّم بالشكر من د. هدى عبادي، ونانسي عازار، وآني شريف، وأنطوني بيرد، وبقية أعضاء فريق مركز كارتر لتسهيل مشاركتي في مؤتمر مكافحة رهاب الإسلام. كما أودّ أن أشكر جايمي فيف، وسليم شحادة، ومراجعين آخرين لم يرغبا بذكر اسميهما، لملاحظاتهم القيّمة.

5 ينبغي ألا يُفهم من استخدامي لمصطلحي الصهيوني والصهيونية على أنهما مرادفان لليهود واليهودية، بل أشير هنا إلى أيديولوجية سياسية انطلقت في نهاية القرن التاسع عشر بغرض إنشاء إسرائيل كدولة يهودية في فلسطين. من هنا، ليس من الضروري أن يكون الصهاينة يهود. بالفعل، تدعم منظّمة "مسيحيون متّحدون من أجل إسرائيل"، على سبيل المثال، إسرائيل كدولة يهودية حصراً، مبرّرةً حكمها الاستعماري، واحتلالها وعنصريتها ضد الفلسطينيين. وقد تجلّت هذه السياسات في نشر إسرائيل مؤخراً 100 قنّاص من جيشها في مختلف أنحاء حدود غزّة المحاصرة. فقتل القناصون الإسرائيليون 20 فلسطينياً وجرحوا 1400، معظمهم من اللاجئين ممّن كانوا يتظاهرون بشكلٍ سلمي ويطالبون بحقّهم بالعودة.

6 International Jewish Anti-Zionist Network (IJAN), The Business of Backlash: The Attack on the Palestinian Movement and Other Movements for Justice, March 2015, http://www.ijan.org/wp-content/uploads/2015/04/IJAN-Business-of-Backlash-full-report-web.pdf. Hereafter: The Business of Backlash.

7 بتنا أنا، والمبادرة الأكاديمية لدراسة الجاليات العربية والمسلمة في المهجر، والاتحاد العام لطلبة فلسطين، فضلاً عن طلاب وآخرين من الكلية مدافعين عن العدالة في/من أجل فلسطين، هدفاً متكرّراً لصناعة اللوبي الإسرائيلي. شمل ذلك فرض عقوبات على الاتحاد العام لطلبة فلسطين عام 2002، وتعليق إنشاء جدارية فلسطين عام 2006، وإلغاء البحث عن أشخاص يشغلون مناصب في كليّتنا عام 2009 بعد قيام طلاب فلسطينيين باستضافة اجتماع ناقش حركة مقاطعة إسرائيل، وتوجيه اتّهامات إلينا بارتباطنا بإرهابيين، ومعاداة السامية، وإساءة استخدام أموال الجامعة عام 2014، وحملة توقيع عريضة لمناهضة اتفاق تعاون كنت قد عملت عليه بين جامعة ولاية سان فرانسيسكو وجامعة النجاح الوطنية، وهي إحدى أهم الجامعات الفلسطينية، وتعليق أربعة ملصقات تحمل صورتي وصور طلاب وأعضاء آخرين في الكلية وكأننا هاربون من العدالة يتّهموننا فيها بالإرهاب و"بكراهية اليهود"، ورفع دعوى قضائية علينا، وحملات مضايقة وتنمّر مستمرة.

رهاب الإسلام بمجموعة من الحوادث العشوائية، المتباينة، العرضية أو اللاتاريخية التي ينسجها معارضو العنصرية معاً تحت عنوانٍ واحد، بأسلوب تآمريّ بسبب إصابتهم بجنون الارتياب، أو بهدف إعطاء الأولوية لشواغل المسلمين على حساب القضايا الملحة والطارئة الأخرى؛ بل على العكس. يجب اعتبار رهاب الإسلام حرباً مؤسّساتية، وهيكلية، ونظامية على المسلمين وأيّاً من يُعتبر مرتبطاً بالإسلام والمسلمين وقضاياهم. وبالتالي، يشكّل رهاب الإسلام شكلاً نظامياً من العنصرية والتمييز العنصري.

بالفعل، لعلّ تأطير رهاب الإسلام كجزءٍ لا يتجزأ من عنصرية هيكلية وتمييز عنصري منظّم يبدّد الاعتقاد الخاطئ بأنّ مكافحة رهاب الإسلام، والعنصرية ضدّ العرب والفلسطينيين، إنما يتعلق بمجموعة من قضايا المصلحة الخاصة التي لا تعني إلا العرب و/أو المسلمين. فهذه الفكرة منافية للعقل، تماماً كقول إنّ العنصرية حكر على السود، ومعاداة السامية هي هاجس الشعب اليهودي الوحيد، وإنّ المرأة وحدها تواجه مشكلة التحيّز الجنساني والتحرّش الجنسي.

ليس رهاب الإسلام بظاهرة جديدة، بل إنّ جذورها التاريخية تعود إلى أيام الصليبيين الأوروبيين ما بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر (1095-1291) وطرد المسلمين العرب والأفريقيين من الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر، يوم أصبح عام 1492 معلماً تاريخياً مهمّاً.[8] وقد شهدت تلك الحقبة أيضاً تطوّرين متّصلين آخرين ما زالا يخلّفان أثرهما على العالم اليوم: محاكم التفتيش التي طالت اليهود السفارديين الذين كانوا يعيشون في الأندلس، وبداية مشروع الاستعمار الاستيطاني في الجزء الغربي من الكرة الأرضية. ولا ريب في أنّ مشروع الاستعمار الاستيطاني في الأميركيتين قد اعتُبر جزءاً أساسياً من مأسسة مشاريع بناء الدول الأوروبية الكارهة للإسلام، وامتداداً وتطويراً لها.

لرهاب الإسلام جذورٌ ضاربةٌ في المشاريع الاستعمارية ومشاريع الاستعمار الاستيطاني الأوروبية. من هنا، يُعتبر انبثاق وتطوّر المذهب القائل بتفوّق العرق الأبيض، لا سيّما في أميركا الشمالية (لكن ليس حصراً) خاضعاً لتنظيم مؤسساتي، ومستخلَصاً على نحو أيديولوجي من تفسير الإنجيل بطريقة متهكمة، لتبرير الإبادة الجماعية المرتكبة بحقّ الشعوب الأصلية، وخطف الشعب الأفريقي واستعباده، واستعمار أفريقيا وآسيا. نسجاً على المنوال نفسه، إنّ إسناد إقامة دولة إسرائيل، كدولة يهودية حصراً أقيمت على حساب الشعب الفلسطيني، إلى أمرٍ إلهي، ادّعاء لا يقلّ وقاحةً لطمس مطالب الشعب الفلسطيني العادلة بتقرير المصير، وفي الوقت نفسه تقويض النضال التاريخي والمعاصر ضد معاداة السامية.

> تسعى صناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي إلى تكوين صورة جامدة عن المجتمعات العربية والمسلمة (بما فيها الفلسطينية)، أي صورة ثابتة، عالقة أبداً في حالة جمودٍ اجتماعي وثقافي، صورة تشكّل استثناءً بالنسبة إلى المجتمعات الأخرى التي يُفترض أن تكون حيويةً وأنها تختبر تغييراً اجتماعياً بشكلٍ مستمر

فضلاً عن ذلك، يتجذّر مفهوم رهاب الإسلام أيضاً في نموذج الاستشراق[9] الذي كرّس ثنائية الشرق/الغرب، وبموجبها يعرّف "الغرب" "بالشرق" كمعاكس له ومتدنٍّ عنه بحسب الصورة التي ينظر بها إلى نفسه. في هذا الإطار، تتوالى ثنائياتٌ مماثلة، مثل "الهمجية" مقابل "الحضارة"، و"الحداثة" مقابل "العصور الوسطى" أو "التخلّف" أو "عصور ما قبل التاريخ"، فيتعمّد كارهو الإسلام الاحتجاج بخطاب "صراع الحضارات"[10] كي يستهلكه الجمهور ككلّ في لاوعيه، ويترسّخ في داخل الرعايا المستعمَرين، ليولّد لديهم نظرةً مهينة ومحتقرة عن مجتمعاتهم المحلية الخاصة.

يمكن ملاحظة آثار الاستشراق في الطرق التي تَستخدم فيها صناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي التركيبات الجنسانية والديناميات الجنسية العنصرية والاستعمارية لتصوير الرجال المسلمين والعرب (بمن فيهم الفلسطينيون) كإرهابيين متحاملين جنسياً، وكارهين للنساء، ومتعطّشين للدماء. في المقابل، تتمثّل صورة النساء العربيات والمسلمات (بمن فيهن الفلسطينيات) بالمرأة المضطهدة، الوديعة، الأمية، وغير المدركة لمحيطها واحتياجاتها وحقوقها.[11]

8 راجع:

Ramón Grosfoguel and Eric Mielats, "The Long- Durée Entanglement between Islamophobia and Racism in the Modern/ Colonial/ Capitalist/ Patriarchal World-System," Human Architecture: Journal of the Sociology of Self-Knowledge 5, no. 1 (2006): 1-12; Junaid Rana, "The Story of Islamophobia," Souls - a Critical Journal of Black Politics, Culture, and Society 9 no. 2 (2007): 148-161.

9 Edward Said, Orientalism (New York, NY: Pantheon Books, 1978).

10 راجع: The Clash of the Civilizations and the remaking of the World Order (Touchstone, 1996).

تسعى صناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي إلى تكوين صورة جامدة عن المجتمعات العربية والمسلمة (بما فيها الفلسطينية)، أي صورة ثابتة، عالقة أبداً في حالة جمودٍ اجتماعي وثقافي، صورة تشكّل استثناءً بالنسبة إلى المجتمعات الأخرى التي يُفترض أن تكون حيويةً وأنها تختبر تغييراً اجتماعياً بشكلٍ مستمر.[12] وفقاً لهذا التأطير، يُنظر إلى المجتمعات العربية والمسلمة على أنها عاجزة عن إجراء تغيير متأصّل وكبير من الداخل؛ وليس هذا فحسب، بل على أنها تجازف أيضاً بعدم اختبار أيّ تغيير اجتماعي على الإطلاق إذا ما تُركت لإدارة أمورها كما يحلو لها. من هذا المنطلق، يُنظر إلى المجتمعات العربية والمسلمة (بما فيها الفلسطينية) على أنها حبيسة وضع "القاصر" الذي يحتاج إلى أن يوضع تحت وصاية القوى الغربية كي ينمو ويتطوّر. بطبيعة الحال، تؤدي هذه التركيبة إلى استنتاج منطقي ومقبول واحد فقط للخروج من هذا المأزق، ألا وهو ضرورة

> بحلول العام *2015*، تمّ استثمار *300* مليون دولار في حملات البروباغندا، والمراقبة، والحروب القانونية الموجّهة مباشرةً نحو إسكات جهود البحث والتعليم والمناصرة الفلسطينية

إنقاذ الرعايا المضطهدات جنسانياً وجنسياً (من عربيات ومسلمات وفلسطينيات) من قبضة مجتمعاتهنّ المحلية، بفضل الغرب الأكثر تحرّراً، وتحرّكاً، وتبصّراً، وتحضّراً.[13]

استناداً إلى هذا الإطار التحليلي، لا يعود تفسير طرق عمل العنصرية، والاستشراق، والاستعمارية نوعاً من الترف السياسي أو الفكري، بل يفترض توافر حسن التوقيت، والأهمية، وشعوراً بالإلحاح. بالفعل، تتطلّب مكافحة الكراهية، وبثّ أجواء الخوف، والعنصرية البنيوية، فهم العلاقة المتداخلة والترابط بين صناعة رهاب الإسلام واللوبي الإسرائيلي.

صناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي: تشريحها، ارتباطاتها، تمويلها وأهدافها

لفهم كيف تتداخل صناعتا رهاب الإسلام واللوبي الإسرائيلي، وكيف تغذّيان بعضهما، يسلّط هذا القسم الضوء على تشريح صناعة اللوبي الإسرائيلي، وتحديد ارتباطاتها، ومصادر تمويلها، وأهدافها.

تكشف الشبكة اليهودية الدولية المناهضة للصهيونية، في تقريرها الصادر حول تجارة الردود العنيفة: الهجوم على الحركة الفلسطينية وحركات العدالة الأخرى (The Business of Backlash: The Attack on the Palestinian Movement and Other Movements for Justice) (2015)، عن تركيبة صناعة اللوبي الإسرائيلي، وطرق عمله، وارتباطاته، ومصادر تمويله. يشدّد التقرير (المشار إليه في ما يلي بتقرير الشبكة اليهودية) على أنّ "النخبة تعمّدت التعتيم على الكثير من هذه المعلومات لا بل إخفاءها عن عين الرقابة الشعبية."[14] نتيجةً لذلك، يستخدم تقرير الشبكة اليهودية عدّة مصادر، معتمداً بشكلٍ كبير على "حوالى عشرة آلاف صفحة من العائدات الضريبية المتوفّرة للعامة (990)، والمجلات على الإنترنت، وقواعد البيانات القابلة للبحث على غرار موقع "سورس ووتش" (Sourcewatch)، و"سيتيزنس أوديت" (Citizen's Audit)، و"كونسرفاتيف ترانسبرانسي" (Conservative Transparency)، و"غايد ستار" (Guide Star)، ودليل المؤسسات (Foundation Directory)".

[15] يظهر تقرير الشبكة اليهودية أنّه، بحلول العام 2015، تمّ استثمار 300 مليون دولار في حملات البروباغندا، والمراقبة، والحروب القانونية الموجّهة مباشرةً نحو إسكات جهود البحث والتعليم والمناصرة الفلسطينية. أما التمويل، فوصل من 11 مانحاً أساسياً، بمن فيهم أصحاب المليارات من الجناح اليميني، على غرار الأخوان كوخ، وشيلدون أدلسون، ومؤسسة برادلي، ومؤسسة كوريت. كما تلقى هذه الصناعة دعماً من المستثمر الإسرائيلي وأحد كبار المانحين للحزب الديمقراطي، حاييم صبان، الذي أغدق 7 ملايين دولار على حملة هيلاري كلينتون الرئاسية. في المقابل، تعهدت كلينتون "بإعطاء الأولوية لمكافحة

11 Rabab Abdulhadi, Evelyn Alsultany, and Nadine Naber, "Introduction," Arab and Arab American Feminisms: Gender, Violence and Belonging (Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 2011): xix-xxxix.

12 Rabab Abdulhadi, "Tread Lightly: Teaching Gender and Sexuality in the Time of War," Journal of Women's History, Vol. 17 No. 4 (2005): 154-158.

13 Lila Abu-Lughod, Do Muslim Women Need Saving? (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013).

14 The Business of Backlash, 4.

15 المرجع نفسه.

حملة مقاطعة إسرائيل."[16] بالإضافة إلى ذلك، يعدّد تقرير الشبكة اليهودية سبعة وسطاء أساسيين يقومون بتقاسم الأموال. يعتمد المموّلون والمجموعات التي يموّلونها خطاباً يتميّز بكراهية الإسلام والعدائية ضدّ الفلسطينيين، بهدف الترويج لبرامجهم. كما يعدّد التقرير اثنين وثلاثين إصداراً ومجموعة خاصة بصناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي، معظمها احتلّت الصدارة في الهجوم على الطلبة والباحثين الفلسطينيين بشكلٍ عام، وفي جامعة ولاية سان فرانسيسكو بشكلٍ خاص.

لكنّ الروابط الوثيقة بين رهاب الإسلام والعنصرية ضد الفلسطينيين باتت أكثر وضوحاً في الآونة الأخيرة. على سبيل المثال، أسّست نينا روزنوولد، ابنة ويليام روزنوولد، مؤسّس متاجر سيرز روزباك أند كومباني، ووريثته، معهد غايتستون. كما قامت روزنوولد بتمويل السياسي اليميني الألماني، الكاره للإسلام، بيورن هوك من حزب البديل من أجل ألمانيا، بالإضافة إلى أبرز كارهي الإسلام في الولايات المتحدة روبرت سبنسر، وفرانك غافني، ودايفيد هورويتز، من دون أن ننسى لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية (أيباك)، وهي أقوى جمعيات اللوبي الإسرائيلية المسجّلة. يخضع مجلس إدارة معهد غايتستون لرئاسة آلان درشوفيتز، ومن أعضائه ريبيكا ميرسر ورحيم قسام، محرّر في شبكة "برايتبارت نيوز" (Breitbart News) الإخبارية.

في 6 أبريل 2018، أوردت صحيفة يهودية تُدعى ذا فوروورد (The Forward) أنّ القائد اليهودي الأميركي رونالد لودر، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، قدّم 1.1 مليون دولار إلى مجموعة سرية، هي "أمّنوا أميركا الآن" (Secure America Now)، تدفع باتّجاه تنظيم حملات مناهضة للمسلمين.[17] عبر هذه الخطوة، ينضمّ لودر إلى روبرت ميرسر الذي كان قد منح المجموعة مليوني دولار. وميرسر هو مستثمرٌ في صندوق تحوّط كانت أسرته قد موّلت شبكة "برايتبارت نيوز" وشركة البيانات "كامبريدج أناليتيكا" (Cambridge Analytica) التي اتُّهمت باستخدام بيانات فايسبوك على نحوٍ غير ملائم بهدف استمالة الناخبين.[18]

فضلاً عن ذلك، عند تأمّل تركيبة هذه الصناعة، يصبح من الجليّ تبيّن ملامح الشبكة المتداخلة التي تجمع بين صناعتي رهاب الإسلام واللوبي الإسرائيلي. تضمّ هذه الشبكة عدداً بسيطاً من الأفراد الذين ينتسبون إلى مجالس إدارة بعضهم ويستلمون المناصب وفق مبدأ التناوب. على سبيل المثال، كان دانيال بايبس الذي عُرف بكونه من أبرز كارهي الإسلام، بحسب المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة، منتسباً إلى مجلس إدارة "باحثو السلام في الشرق الأوسط" (Scholars of Middle East Peace). كما كان المؤسّسان المشاركان لمنظّمة "أمشا" (AMCHA) عضوين في المجلس نفسه.[19] فضلاً عن ذلك، ارتبط اسم بايبس أيضاً بمشروع كلاريون الذي ضمّ مجلس إدارته فرانك غافني. كان دور بايبس هو الوسيط، يوزّع الأموال التي يتلقاها من 8 مانحين كبار من أصل الأحد عشر مانحاً الواردة أسماؤهم في تقرير الشبكة اليهودية الدولية المناهضة للصهيونية.[20] ومع أنه لا يمكن تصنيف صناعتي رهاب الإسلام واللوبي الإسرائيلي كحركة شعبية، إلا أنّ الموارد المتوفّرة بتصرفّهما تجعل تأثيرهما ضارّاً جداً، لا سيّما في الحملات المنظمة لتدمير المسيرة المهنية لأشخاص كثر، وتخويف الأكاديميين والمناصرين في حرم الجامعات. بالإضافة إلى التمويل الذي تحظى به هذه الصناعة، تملك أيضاً معارف نافذين سياسياً حتى أعلى المراتب في الحكومة الأميركية. على سبيل المثال، يُعتبر شيلدون أدلسون مانحاً كبيراً لصناعة اللوبي الإسرائيلي، حيث يصل مجموع هباته إلى حوالى 50 مليون دولار[21]، كما كان أكثر المانحين الأفراد تبرّعاً لحملة دونالد ترامب الرئاسية، حيث وصل مجموع تبرّعاته إلى 100 مليون دولار تقريباً.[22] وفي الواقع، خلال حفل تنصيب الرئيس المنتخب عام 2017، جلس أدلسون على بعد خطوات قليلة من دونالد ترامب.[23] تجدر الإشارة إلى أنّ ترامب عيّن عدّةً من مناصري المستوطنات الإسرائيلية وحكومة اليمين في إسرائيل ضمن إدارته، بمن فيهم صهره جاريد كوشنر، والسفير الأميركي إلى إسرائيل دايفيد فريدمان، وممثّله الخاص في مفاوضات السلام الإسرائيلية الفلسطينية جايسون غرينبلات.[24]

---

16 Rania Khalek, “Leaked emails show donors drive Hillary Clinton’s pro-Israel positions,” The Electronic Intifada, October 13, 2016, https://electronicintifada.net/blogs/rania-khalek/leaked-emails-show-donors-drive-hillary-clintons-pro-israel-positions.

حركة مقاطعة إسرائيل هي حملة دولية تدعو إلى مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض الجزاءات عليها، انطلقت عام 2005 على يد 170 منظمة مجتمع مدني فلسطينية تقريباً للضغط على إسرائيل وحملها على الالتزام بالقانون الدولي وإنهاء حكمها الاستعماري للأراضي الفلسطينية وانتهاكاتها لحقوق الفلسطينيين.

17 Aiden Pink, “U.S. Jewish Leader Ronald Lauder Gave $1.1 Million to Covert Group Pushing anti-Muslim campaign,” The Forward, April 6, 2018, https://www.haaretz.com/us-news/ronald-lauder-gave-1-1-million-to-group-pushing-anti-muslim-campaign-1.5977658

18 “Cambridge Analytica, Trump and 50 Million Facebook Accounts: What You Need to Know,” Haaretz, March 20, 2018, https://www.haaretz.com/world-news/cambridge-analytica-trump-and-facebook-what-you-need-to-know-1.5918231

19 المرجع نفسه.

20 المرجع نفسه. 8.

21 Jewish Telegraph Agency, “Adelson raises $20 million to fight Israel boycotts,” The Times of Israel, June 10, June 2015, https://www.timesofisrael.com/adelson-raises-20-million-to-fight-israel-boycotts/; Nathan Guttman, “Secret Sheldon Adelson Summit Raises up to $50M for Strident Anti-BDS Push,” Forward, June 9, 2015, https://forward.com/news/israel/309676/secret-sheldon-adelson-summit-raises-up-to-50m-for-strident-anti-bds-push/

22 TOI Staff, JTA and AP, “Adelson set to give over $100 million to Israel-supporting Trump,” The Times of Israel, May 14, 2016, https://www.timesofisrael.com/adelson-set-to-give-over-100-million-to-israel-supporting-trump/.

23 Michael Brown, “Settler leaders find warm welcome in Trump’s Washington,” The Electronic Intifada, January 24, 2017, https://electronicintifada.net/blogs/michael-f-brown/settler-leaders-find-warm-welcome-trumps-washington.

24 Loveday Morris, “U.S. ambassador breaks with policy: ‘I think the settlements are part of Israel’,” The Washington Post, September 29, 2017, https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2017/09/29/u-s-ambassador-breaks-with-policy-i-think-the-settlements-are-part-of-israel/?utm_term=.ce8a66f12c16

تسعى ردود الفعل العنيفة إلى سحق الدعم الشعبي المتزايد للعدالة في/من أجل فلسطين من خلال تخويف الباحثين والطلاب على السواء، وتشويه سمعتهم، والتنمّر عليهم. فقد أظهرت الاستطلاعات، واحداً تلو الآخر، أنّ الرأي العام الأميركي يتحوّل من موقف "بقاء الأمور على حالها" مع إسرائيل إلى الالتحاق ببقية الأسرة العالمية في تأييد حقوق الفلسطينيين.[25] من الأمثلة على ذلك مؤخراً رد الفعل السلبي، بالإجماع تقريباً، على إعلان ترامب المؤيّد لقرار إسرائيل بضمّ القدس.

كان رد الفعل السلبي تجاه قرار ترامب المتعلق بالقدس أحدث إشارة على تقلّص الدعم الموجّه لإسرائيل. فلا يخفى على أحد أنّ إسرائيل اعتمدت على تواطئها الأمني والعسكري والسياسي مع الولايات المتحدة، لا سيّما في فترة ما بعد 9/11/2001. غير أنّ العنف الإسرائيلي المتصاعد ضدّ الفلسطينيين في ظلّ حكمها الاستعماري وجّه ضربةً موجعةً إلى صورة إسرائيل وعلاقاتها العامة، لا سيّما منذ اعتداءاتها على غزة في -2008 2009. [26] ومما أضرّ أكثر بسمعة إسرائيل وعلاقاتها العامة، الغارة الإسرائيلية على السفينة التركية، مافي مرمرة، التي كانت تحمل أدويةً وغذاءً لقطاع غزّة المحاصر عام 2010، ومقتل 9 مواطنين أتراك أحدهم يحمل الجنسية الأميركية. فساهم ذلك في توسيع نطاق الدعم لدعوة المجتمع المدني الفلسطيني إلى اعتماد سياسة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض الجزاءات تجاه إسرائيل. فما كان من معهد رويت، وهي خلية تفكير إسرائيلية، إلا أن رفع عدّة توصيات، منها إطلاق حملة لعزل من أسمته بالمحفّزين، وتشويه سمعتهم، ومنهم باحثون فلسطينيون بارزون، وشنّ هجمات على المحاور التي ينشطون فيها، مثل نيويورك وسان فرانسيسكو.[27]

> أما أحد التكتيكات التي تلجأ إليها صناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي بشكلٍ متزايد، فهي استخدام القانون كسلاح، كرفع دعاوى قضائية على منظمة "مسلمون أميركيون من أجل فلسطين" و"جمعية الدراسات الأميركية" ونقابات عمالية أميركية، مثل النقابة الموحّدة للعمال الكهربائيين، ونقابة العمال/الطلاب الخريجين 2865 *(UAW, Local 2865)*.

لعلّ الأمر الأكثر إثارةً للانتباه هو أنّ الاستطلاعات التي أجريت مع طلاب وشباب أميركيين أظهرت نسبةً أكبر من المعارضة لسياسات إسرائيل. فيرفض الشباب اليهودي بشكلٍ خاص، أكثر فأكثر، أن تكون إسرائيل الناطقة باسمهم أو تمثّلهم[28]، مما يدعم حجتي بأنّ اليهودية ليست ملكاً لإسرائيل أو الصهيونية[29]، ويطعن في الادعاء القائل إنّ الصهيونية وإسرائيل تحظيان بإجماعٍ بين اليهود. بالفعل، يفيض التاريخ اليهودي بحالات عن معارضة منظّمة ضدّ إسرائيل وسياساتها، تضمّ منظمات مثل الصوت اليهودي من أجل السلام (JVP)، والشبكة اليهودية الدولية المناهضة للصهيونية (IJAN)، وإذا لم نتحرّك الآن (If Not Now)، كأمثلة من واقعنا اليوم، إلى جانب مجموعات أخرى مناهضة للصهيونية تاريخياً، على غرار يهود ضدّ المجزرة الإسرائيلية في لبنان (JAMIL)، والبدائل الأميركية اليهودية للصهيونية (AJAZ) التي أسّسها الحاخام إلمر بيرجر بمساعدة من نيمان ماركوس، والجبهة المناهضة للصهيونية خلال ثورة أكتوبر (anti-Zionist Bund during the October Revolution)، وأينشتاين و آنا آرنت، فضلاً عن عدّة ناجين من محرقة اليهود مثل إسرائيل شاهاك، فيليشيا لانغر، هاجو مايور، وهادي أبشتاين، على سبيل المثال لا الحصر.[30]

25 اكتشف مركز بيو للأبحاث في معرض دراسته للعمل السياسي والسياسات الأميركية (23 كانون الثاني/يناير 2018) أنّ الدعم لإسرائيل قد تراجع من 45% عام 1978 إلى 38% اليوم.

Pew Research Center, "Democrats about as likely to sympathize with Palestinians as with Israel," January 22, 2018, http://www.people-press.org/2018/01/23/republicans-and-democrats-grow-even-further-apart-in-views-of-israel-palestinians/012318_2/

كما لاحظ المركز أيضاً وجود انقسام كبير بين الجمهوريين والديمقراطيين، حيث تحظى إسرائيل بدعم 79% من الجمهوريين بالمقارنة مع 27% فقط من الديمقراطيين. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الفجوة تصبح أكبر بين الشباب. ففي حين يبدي 56% من المواطنين الأميركيين في سنّ 65 وما فوق تعاطفهم مع إسرائيل مقابل 13% فقط مع الفلسطينيين، ينخفض هذا المعدّل إلى 32% من الميالين إلى إسرائيل و23% إلى فلسطين ضمن الفئة العمرية -18 29 سنة، وفقاً لتحليل الاستطلاع نفسه الذي أجراء مركز بيو، كما ورد في المرجع التالي:

the American Conservative, Daniel Larison, "U.S. Public Opinion on Israel and Palestine," The American Conservative, January 24, 2018, http://www.theamericanconservative.com/larison/u-s-public-opinion-on-israel-and-palestine/

وفي مقالة صدرت في الهافنغتون بوست، يجادل جايمس زغبي أنّ 71% من الأميركيين كانت لديهم وجهة نظر إيجابية تجاه الإسرائيليين عام 2009 مقابل 21% كانت وجهة نظرهم سلبية. عام 2010، تبدّلت هذه النسب إلى 65% إيجابي و29% سلبي. ومردّ ذلك بشكلٍ كبير إلى انخفاض ملحوظ بين الديمقراطيين الذين أصبحوا اليوم ينقسمون بين 42% لهم وجهة نظر إيجابية تجاه الإسرائيليين و49% سلبية. أما تقييم رئيس الوزراء الإسرائيلي في أوساط الديمقراطيين، فأسوأ بنسبة تتراوح بين 20% و63%.

James Zogby, "New Poll on American Alltitdes Toward the Israeli-Palestinian Conflict, Huffpost, 10 تمّت زيارة الموقع في 2018 نيسان/أبريل, https://www.huffingtonpost.com/james-zogby/new-poll-on-american-atti_b_515835.html

في مسح أجراه شبلي تلهامي ورايتشل ستاتيري من مؤسسة بروكنغز في تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2016، لوحظ تقلص متزايد في الدعم الأميركي لإسرائيل، بما في ذلك دعم بنسبة 60% تقريباً بين الديمقراطيين لفرض عقوبات على إسرائيل بسبب سياستها الاستيطانية.

Shibley Telhami, "American attitudes on the Israeli-Palestinian conflict," Brookings, December 2, 2016, https://www.brookings.edu/research/american-attitudes-on-the-israeli-palestinian-conflict/

26 JPost.com Staff, "Poll: Israel Viewed Negatively Around the World," The Jerusalem Post, May 17, 2012, http://www.jpost.com/National-News/Poll-Israel-viewed-negatively-around-the-world

27 Building a Political Firewall Against Israel's Delegitimization: Conceptual Framework, The Reut Institute, March 2010, http://reut-institute.org/data/uploads/PDFVer/20100310%20Delegitimacy%20Eng.pdf.

28 Judy Maltz, "Young American Jews Increasingly Turning Away From Israel, Jewish Agency Leader Warns," Haaretz, January 22, 2018, https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-jewish-agency-chief-warns-young-u-s-jews-more-turned-off-to-israel-1.5751616.

29 راجع خطابي أمام المؤتمر السنوي لتقرير واشنطن حول شؤون الشرق الأوسط http://israellobbyandamericanpolicy.org/transcripts/Rabab_Abdulhadi.html

وبياني الذي أنتقد فيه رئيس جامعة ولاية سان فرانسيسكو، ليزلي وونغ، لترحيبه بالصهاينة في حرم جامعتنا https://www.facebook.com/rabab.abdulhadi/posts/10155388256458123.

30 يرجى مراجعة مقالاتي التالية:

Rabab Ibrahim Abdulhadi, "The spirit of '68 lives on! Palestine advocacy and the indivisibility of justice," Mondoweiss, July 14, 2017, http://mondoweiss.net/2017/07/palestine-advocacy-indivisibility/, and "The Spirit of '68 Lives On: Zionism as racism, and the network of lies," Mondoweiss, July 21, 2017, http://mondoweiss.net/2017/07/spirit-zionism-network/

لكنّ صناعة اللوبي الإسرائيلي تستخدم مجموعةً متنوّعةً من التكتيكات لتقويض دعم الجمهور الأميركي المتزايد لحقوق الفلسطينيين. ولعلّ استخدام معاداة السامية بهذا الشكل المعيب يهدف إلى تشويه سمعة الأشخاص، وعزلهم، وتدمير مسيرتهم المهنية، وجعل الباحثين الأفراد أشخاصاً غير مرغوب فيهم. على سبيل المثال، طالب موقع "ثورة الحقيقة" (Truth Revolt)، وهو موقع إلكتروني أنشأه بن شابيرو ودايفيد هورويتز، جامعة ولاية سان فرانسيسكو لطردي[31]، في حين واظبت مبادرة "أمشا" في حملتها لتلطيخ سمعتي بالرغم من معارضة شديدة اللهجة من شخصيات يهودية لهذه الادعاءات الكاذبة.[32] من هنا، يمكن القول إنّ الاحتجاج "بالحرب على الإرهاب"، واتّهام الباحثين المستهدفين بالإرهاب، ومزج هذه الهجمات برهاب الإسلام، هو ركيزة أساسية لهذه الحملات. ومن التكتيكات القديمة والجديدة على السواء تشويه سمعة الأشخاص وتوجيه اتّهامات جرمية إليهم. فضلاً عن ذلك، ربطت جماعات صناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي بين تجريم المناصرة الفلسطينية في الولايات المتحدة وتجريم التعليم الفلسطيني في فلسطين.[33]

لكنّ الاعتداء على الباحثين والمربّين والمناصرين الفلسطينيين ليس بجديد أو استثنائي. فكما ناقشت أعلاه، تشكّل هذه الحملات جزءاً لا يتجزأ من أنماط التاريخ العامة والحملات الحالية لقمع الأصوات المعارضة في الجسم الأكاديمي الأميركي بشكلٍ عام. فضلاً عن ذلك، يفيض تاريخ القرنين العشرين والحادي والعشرين بأمثلة عن قمع الأصوات المعارضة واستحداث مفهوم العدوّ الموجود في الداخل.

لا يخفى على أحد أنّ شنّ الحملات مكارثية الطابع على الباحثين والمناصرين الفلسطينيين إنما يرمي إلى البعث برسالة تخويف لإسكات الأصوات المعارضة التي تُجري أبحاثاً عن قضايا العدالة الاجتماعية، وتعلّم موادها، وتناصر من أجلها.[34] فليس من سبيل المصادفة أن يكون قادة صناعة رهاب الإسلام/ اللوبي الإسرائيلي ومنظماتها من مناصري الجناح اليميني، والمذهب القائل بتفوّق العرق الأبيض، وتكتيكات التخويف والإسكات أيضاً. على سبيل المثال، كان دايفيد هورويتز الذي صنّفه المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة من أبرز شخصيات رهاب الإسلام والعنصرية ضد السود[35]، يستهدف الباحثين والمناصرين الفلسطينيين ويهاجم حركة الملاذ، وفي الوقت نفسه يروّج لميلو يانوبولوس، وهو أحد مثيري الشغب اليمينيين المعادي للمهاجرين. تشارك هورويتز مع كناري ميشن (Canary Mission) في مشروع يصبّ ضمن خانة الإثارة حمل عنوان "كراهية اليهود"، وبموجبه تمّ تعليق ملصقات لأشخاص في مختلف أنحاء الجامعات بأسلوب "مطلوبين أمام العدالة"، بهدف التحريض على العنف، وتشويه سمعة الباحثين والمناصرين الفلسطينيين بتهمة معاداة السامية، ومطالبة جامعاتهم بطردهم.[36]

تتجلى ارتباطات صناعتي إرهاب الإسلام واللوبي الإسرائيلي بمذهب تفوق العرق الأبيض والتهجّم على المسلمين في تصريحات ريتشارد سبنسر- الذي يصنّف نفسه "نازياً أبيض"- خلال مقابلة أجراها مع تلفزيون إسرائيل[37] وعبر مواقع جهاد ووتش، وأطلس شراغز (Atlas Shrugs)، وكامبس ووتش/ميدل إيست فوروم (Campus Watch/Middle East Forum)، على سبيل المثال لا الحصر. فينشر موقع جهاد ووتش مثلاً، بشكلٍ منتظم، أخباراً تهاجم باحثين فلسطينيين وأبحاثاً تتناول فلسطين. كما تقوم بعض وسائل الإعلام مثل ذا أميركان ثينكر (American Thinker)، ألغماينر (Algemeiner)، واشنطن إكزامنير (Washington Examiner)، تابلت (Tablet)، وفرونتبايدج (Frontpage) بنسخ هذه المواد ولصقها، محدثةً تلوّثاً ضوضائياً واسعاً ومتّسقاً عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بهدف تشويه سمعة الأشخاص، بصرف النظر عن مدى صحة الادعاءات ودقتها.

31 Daniel Mael, “SFSU Professor Met with Terrorists Tied to American Death on Taxpayers’ Dime,” Truth Revolt, May 27, 2014, https://www.truthrevolt.org/news/sfsu-professors-met-terrorists-tied-american-deaths-taxpayers-dime.

32 “Jewish Community Letter in Support of Prof. Rabab Abdulhadi,” International Jewish Anti-Zionist Network, July 1, 2014, http://www.ijan.org/uncategorized/jewish-community-letter-in-support-of-prof-rabab-abdulhadi/.

33 Stop the Jew Hatred on Campus, “The Top Ten Schools Supporting Terrorists: Fall 2016 Report,” Horowitz Freedom Center, October 5, 2016, http://www.stopthejewhatredoncampus.org/news/top-ten-schools-supporting-terrorists-fall-2016-report; Stop the Jew Hatred on Campus, “Posters Targeting Hamas and BDS Supporters.” Horowitz Freedom Center, October 3, 2016, http://www.stopthejewhatredoncampus.org/news/images-freedom-center-posters-targeting-hamas-and-bds-supporters-fall-2016

34 Rabab Abdulhadi, Rabab, interviewed by the Editors, “Resisting the New McCarthyism: Rabab Abdulhadi discusses AMCHA’s smear campaign, Palestinian Resistance, and the U.S. Solidarity Movement.” Solidarity, July 21, 2014. http://www.solidarity-us.org/site/node/4220

35 “David Horowitz,” Southern Poverty Law Center, 2017 تمت زيارة الموقع في 1 كانون الأول/ديسمبر, https://www.splcenter.org/fighting-hate/extremist-files/individual/david-horowitz

36 المرجع نفسه. راجع أيضاً:

“Pam Geller,” Southern Poverty Law Center, accessed December 1, 2017, https://www.splcenter.org/fighting-hate/extremist-files/individual/pamela-geller; “Robert Spencer,” Southern Poverty Law Center, accessed December 1, 2017, https://www.splcenter.org/fighting-hate/extremist-files/individual/robert-spencer

37 Callum Paton, “Richard Spencer Demands Respect on Israeli TV, Says Jews are ‘Overrepresented’,” Newsweek, August 8, 2017, http://www.newsweek.com/richard-spencer-demands-respect-israeli-tv-says-jews-are-overrepresented-651739

أما أحد التكتيكات التي تلجأ إليها صناعة رهاب الإسلام/اللوبي الإسرائيلي بشكلٍ متزايد، فهي استخدام القانون كسلاح، كرفع دعاوى قضائية على منظمة "مسلمون أميركيون من أجل فلسطين" و"جمعية الدراسات الأميركية" ونقابات عمالية أميركية، مثل النقابة الموحّدة للعمال الكهربائيين، ونقابة العمال/الطلاب الخريجين 2865 (UAW, Local 2865). في هذا الإطار، يقوم مشروع الحرب القانونية الذي يعتبر نفسه الذراع القانونية للمجتمع الموالي لإسرائيل بمقاضاة عدة أهداف، بمن فيهم أنا وعدة مدراء وموظّفين في جامعة ولاية سان فرانسيسكو. وقد أعلنت مديرته التنفيذية، بروك غولدشتاين، التي تنكر تأثّر المشروع برهاب

> تستخدم هذه الصناعة العنصرية والتخويف لشنّ حملات مكارثية الطابع على الأصوات المعارضة بهدف تدمير المسيرة المهنية للباحثين والمربّين ومناصري العدالة في/من أجل فلسطين

الإسلام، أنّ "الهدف هو إرغام العدوّ على دفع الثمن".[38] في 8 نوفمبر 2017، ردّ القاضي أوريك الدعوى القضائية، مصدراً حكمه في 9 مارس 2018. لكنّ مشروع الحرب القانونية لم يقتنع بعدم قدرته على رفع دعاوى وهمية وغير قائمة على أسس جدية، فما كان منه إلا أن رفع دعوى جديدة في 29 مارس 2018، بمساعدة من موارد الحكومة الإسرائيلية، وكبار المانحين الصهاينة والكارهين للإسلام، وإحدى الشركات القانونية الكبرى التي قدّمت، مجاناً، خدمات مئات المحامين.

محور تقاطع رهاب الإسلام واللوبي الإسرائيلي: النوع الاجتماعي والجنسانية والاستشراق

تَستخدم صناعة اللوبي الإسرائيلي، في هجماتها المكارثية الطابع، الخطابات الاستعمارية، والعنصرية، والمتميّزة برهاب الإسلام. ولعل الاستخدام المستمر لمصطلح " التحضر " يعود إلى الخطابات الاستعمارية: فيتم استحضار عامل التهويل و"الحرب على الإرهاب" التي باتت متغلغلةً في وسائل الإعلام والمساحات العامة الأميركية- وبموجبها يُعتبر المسلمون والعرب (بمن فيهم الفلسطينيون) بمثابة قنابل موقوتة- مما يؤدي إلى تشكيل ثنائية المسلمين الأخيار والأشرار.[39] على سبيل المثال، كما في الملصقات الإعلانية التي نشرتها بام غيلر على المواصلات العامة في نيويورك، وسان فرانسيسكو، وواشنطن العاصمة، وبوسطن، تستحضر الهجمات الاستعارات الاستشراقية والخطابات الاستعمارية المتعلقة بالذوق واللياقة لتصوير العرب والمسلمين ككارهين للمثليين والمرأة بدرجة استثنائية وإرهابيين متعطّشين للدماء.[40] وعادةً ما تستند هذه الخطابات إلى إحالات مباشرة أو ضمنية إلى المثلية وكراهية النساء، مما يساعد في تضخيم تأثيرها.

عام 2016، استخدمت مجموعة كامبس ووتش/ميدل إيست فوروم استعارات مماثلة في حملتها الرامية إلى ممارسة الضغوطات على رئيس جامعة سان فرانسيسكو، ليزلي وونغ، لفسخ مذكّرة التفاهم بين جامعة سان فرانسيسكو وجامعة النجاح الوطنية في فلسطين، مع العلم أنه الاتفاق الوحيد بين الجامعة وأيّ صرح أكاديمي عربي أو مسلم. وقد ارتكزت المجموعة على حملات سابقة كانت جماعات أخرى في صناعة اللوبي الإسرائيلي قد شنّتها لتصنيف جامعة النجاح كجامعة "إرهابية". وكانت الهجمة السابقة قد شُنّت عام 2014 على يد بعضٍ من أبرز الجماعات التي ما تزال، حتى يومنا هذا، تتصدّر قائمة تلك الهجمات، على غرار مبادرة أمشا (AMCHA Initiative)، وساندونا (StandWithUs)، والمنظّمة الصهيونية الأميركية، ومركز سايمون فيزنتال، وباحثون من أجل السلام في الشرق الأوسط. سعت تلك المبادرة إلى تجريم البحث في الشؤون الفلسطينية في الولايات المتحدة، والتشكيك بمصداقية المؤسسات الأكاديمية الفلسطينية في فلسطين. جديرٌ بالذكر أنّ كلتا حملتي التشويه، عام 2014 و2016، اقتبست طريقة عمل رابطة مكافحة التشهير في تشويه صورة الجامعات الفلسطينية.[41]

من المثير للاهتمام أنّ مجموعة كامبس ووتش لا تعرض في هجماتها إلا صوراً للذكور، سواء أفي صفوف مقاتلي حماس أم بين طلاب جامعة النجاح. ولا ريب في أنّ مثل هذه الصور تسعى إلى إعطاء انطباع خاطئ وكأنّ جميع طلاب الجامعات الفلسطينية

38 Charlotte Silver, “Senate approves bill seen as threat to campus criticism of Israel,” The Electronic Intifada, December 4, 2016, https://electronicintifada.net/blogs/charlotte-silver/senate-approves-bill-seen-threat-campus-criticism-israel-0

39 Mahmood Mamdani, “Good Muslim, Bad Muslim: A Political Perspective on Culture and Terrorism,” American Anthropologist 104, no. 3 (2002): 766-775.

40 Hatewatch Staff, “Can’t We Talk About This? More anti-Muslim propaganda from Pamela Geller,” Southern Poverty Law Center, October 2, 2017, https://www.splcenter.org/hatewatch/2017/10/02/can%E2%80%99t-we-talk-about-more-anti-muslim-propaganda-pamela-geller

41 “AMCHA and Jewish Organizations Write President Wong about Professor Abdulhadi and SFSU Faculty Event Condoning Terrorism,” AMCHA Initiative, Scholars for Peace in the Middle East, Simon Wiesenthal Center Campus Outreach, Zionist Organization of America, March 26, 2014, http://www.amchainitiative.org/amcha-and-jewish-organizations-write-wong-about-abdulhadi-event-condoning-terrorism/; and “AMCHA and Five Organizations Write President Wong/Board of Trustees about Faculty Event to Promote Antisemitic Boycott of Israel,” AMCHA Initiative, Scholars for Peace in the Middle East, Simon Wiesenthal Center, Stand With Us, Zionist Organization of America West, March 5, 2014, http://www.amchainitiative.org/amcha-and-five-organizations-write-wong-about-faculty-event-to-promote-antisemitic-boycott-of-israel/

هم من الذكور. في الواقع، إنّ كل من اطلع على بيانات نظام التعليم الفلسطيني يعرف أنّ النساء الفلسطينيات يشكّلن أكثر من 50% من الطلاب في حرم الجامعات[42]. بطبيعة الحال، رمت كامبس ووتش من خلال ذلك إلى تكريس صورة جنسانية للفلسطينيين كرجال إرهابيين والفلسطينيات كنساء غائبات عن المساحات والأدوار العامة.

ولم تشتّ مبادرة الدفاع عن الحريات الأميركية عن هذه القاعدة. أنشئت هذه المبادرة على يد بام غيلر وروبرت سبنسر، وهي من أبرز المستفيدين من تمويل نخبة كارهي الإسلام واللوبي الإسرائيلي بحسب تقرير الشبكة اليهودية الدولية المناهضة للعنصرية. فقد نشرت، بدورها، إعلانات على وسائل النقل العام في سان فرانسيسكو، إلى جانب أنظمة أخرى للنقل العام. جديرٌ بالذكر أنّ غيلر ممنوعة من الدخول إلى المملكة المتحدة بسبب كرهها الشديد للإسلام. أنشأت غيلر أيضاً موقعاً إلكترونياً بعنوان "أطلس شراغز"، يرتكز على كتاب عالمة النظريات اليمينية آين راند، ويحتفي به. وقد قصدت غيلر بإعلاناتها التي تساوي إسرائيل بالحضارة والفلسطينيين بالهمجية أن توجّه مخيّلة الجمهور الأميركي تجاه المجتمعات العربية والمسلمة والفلسطينية على أنها كارهة للمثليين والمرأة في الصميم، خدمةً لأجندة إسرائيلية عنصرية وكارهة للإسلام.

بالإضافة إلى ذلك، ينسجم هذا الأمر أيضاً مع التطورات الأميركية والإسرائيلية حيال الديناميات الجنسية والجنسانية العربية والمسلمة والفلسطينية. ورغم وجود فيض من الأمثلة في هذا المنظور، يكفي الاستشهاد باثنين فقط لإثبات الفكرة المقصودة. المثال الأول يتعلق باختفاء المراهق الفلسطيني، محمد أبو خضير، وحرقه حياً.[43] أفادت تقارير الشرطة الإسرائيلية الأولية أنّ أبو خضير قُتل على يد أسرته، مصوّرةً إياه ضحية "جريمة شرف" كونه كان مثلياً كما زعمت. وقد سعت إلى تحويل أصابع الاتهام بعيداً عن الحكومة الإسرائيلية والفاعلين الأفراد الإسرائيليين الذين اختطفو أبو خضير من أمام منزله في شعفاط، إحدى ضواحي القدس في 2 يوليو 2014، فصبوا الكيروسين في بلعومه ثم أحرقوه حياً في حرش قريب.[44]

نسجاً على المنوال نفسه، بعد إقدام شخصٍ على قتل 3 مسلمين عرب شباب من مسافةٍ قريبةٍ جداً، هم السوري ضياء بركات والفلسطينيتين يسر أبو صالحة ورزان أبو صالحة في تشابل هيل، كارولاينا الشمالية، في فبراير 2015، غطت أبرز صحيفة أميركية، نيويورك تايمز، الحدث باعتبار أنّ القاتل، كريغ ستيفان هيكس شاب ذو تفكير عصريّ، يؤيّد الحق في الإجهاض، كما يناصر حقوق المثليين وتحرير المرأة. كانت الرسالة الضمنية من ذلك تصويره كرجل نهضوي لا يمكن النظر إليه كشخص ينادي بتفوّق العرق الأبيض.[45] كما أوردت الصحيفة أنّ دافع الجريمة كان شجاراً بشأن موقف سيارات، مما يفضي إلى القول إنّ الرسالة الإعلامية توجّه القراء نحو التعاطف مع هيكس، وتلطّف صورته كقاتل كاره للإسلام، أو تمنع فهم رهاب الإسلام كسياق مجتمعي هيكلي يفسح المجال أمام هذا النوع من الجرائم.

> أولاً، معالجة رهاب الإسلام والتمييز ضد العرب والفلسطينيين كما لو كنا نعالج كافة أشكال العنصرية والتمييز العرقي- بصفتها مشكلة منظمة ومنهجية ومرخصة من قبل الخطابات والسياسات الرسمية والسائدة؛

الخاتمة والتوصيات

جادل هذا البحث أنّ صناعة رهاب الإسلام وصناعة اللوبي الإسرائيلي تتطابقان وتتداخلان مع بعضهما. وقد أثبتُّ أيضاً أنّ المجموعات المدافعة عن إسرائيل تشكّل شبكةً متينة تحظى بتمويل سخيّ ومعارف نافذين سياسياً. تستخدم هذه الصناعة العنصرية والتخويف لشنّ حملات مكارثية الطابع على الأصوات المعارضة بهدف تدمير المسيرة المهنية للباحثين والمربّين ومناصري العدالة في/ من أجل فلسطين.

42 وفقاً لأحدث إحصاء أجرته جامعة بيرزيت، تشكّل النساء 62.4% من الطلاب.

"Facts and Figures: 2017-2018," Birzeit University, 2018 تمّت زيارة الموقع في 10 نيسان/أبريل, http://www.birzeit.edu/en/about/facts.

43 Gregg Carlstrom, "Autopsy shows Palestinian teen 'burned alive'," Aljazeera, July 5, 2014, https://www.aljazeera.com/news/middleeast/2014/07/autopsy-shows-palestinian-teen-burned-alive-20147512213466184.html.

في 2 تموز/يوليو 2014، اختُطف المراهق الفلسطيني محمد أبو خضير في أولى ساعات الصباح بينما كان متوجّهاً إلى مسجد قريب للصلاة. أجبره راشد وقاصران آخران على ركوب سيارة، ثم أخذوه إلى حرش قريب من قرية دير ياسين الفلسطينية، حيث أرغموه على شرب الكيروسين وأضرموا فيه النار.

44 Sigal Samuel, "The Pinkwashing of Mohammed Abu Khdeir," Forward, July 7, 2014, https://forward.com/opinion/israel/201531/the-pinkwashing-of-mohammed-abu-khdeir/; Shaked Spier, "After Abu Khdeir murder, an ugly collision of homophobia and racism," 972 Magazine, July 27, 2014, https://972mag.com/after-abu-khdeir-murder-an-ugly-collision-of-homophobia-and-racism/94465/

45 Jonathan Katz and Richard Pérez-Peña, "In Chapel Hill Shooting of 3 Muslims, a Question of Motive," The New York Times, February 11, 2015, https://www.nytimes.com/2015/02/12/us/muslim-student-shootings-north-carolina.html; Rana Sweis, "Jordanians See U.S. Reporting Bias in Coverage of Student Killings". The New York Times, February 13, 2015, https://www.nytimes.com/2015/02/14/world/middleeast/online-commenters-see-reporting-bias-in-killing-of-3-muslims.html

ناقشت أيضاً أنّ استهداف فلسطين ليس أمراً استثنائياً في تاريخ القمع في الولايات المتحدة، ولا هو منفصل عن الخطاب العنصري والكاره للأجانب الذي يروّج له اليوم المنادون بتفوّق العرق الأبيض، والنازيون الجدد، والجماعات العنصرية الأخرى التي استمدّت الزخم والقوّة من انتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة. أخيراً، وضّحتُ الإطار المعادي للإسلام والعرب والفلسطينيين الذي ترتكز عليه هذه الصناعة، وسلّطت الضوء على الصور الاستشراقية الجنسية والجنسانية التي تجنّدها هذه الصناعة لتحقيق أجندتها.

بصفتي هدفاً متكرّراً لصناعة اللوبي الإسرائيلي الكارهة للإسلام التي تسعى إلى تفكيك برنامجي الأكاديمي، وقطع أواصر التنسيق الدولي بين هذا البرنامج وجامعة فلسطينية عريقة، وطمس إرث العدالة الاجتماعية لجامعة ولاية سان فرانسيسكو، أورد في ما يلي توصياتي لمكافحة عملية التخويف المنظّم، بما في ذلك رهاب الإسلام، والعنصرية ضد العرب والفلسطينيين، وكافة أشكال العنصرية والتمييز العرقي:

Recommendations

بصفتي هدفاً متكرّراً لصناعة اللوبي الإسرائيلي الكارهة للإسلام التي تسعى إلى تفكيك برنامجي الأكاديمي، وقطع أواصر التنسيق الدولي بين هذا البرنامج وجامعة فلسطينية عريقة، وطمس إرث العدالة الاجتماعية لجامعة ولاية سان فرانسيسكو، أورد في ما يلي توصياتي لمكافحة عملية التخويف المنظّم، بما في ذلك رهاب الإسلام، والعنصرية ضد العرب والفلسطينيين، وكافة أشكال العنصرية والتمييز العرقي:

- أولاً، معالجة رهاب الإسلام والتمييز ضد العرب والفلسطينيين كما لو كنا نعالج كافة أشكال العنصرية والتمييز العرقي- بصفتها مشكلة منظمة ومنهجية ومرخصة من قبل الخطابات والسياسات الرسمية والسائدة؛
- ثانياً، رفض محاولات اعتبار رهاب الإسلام والعنصرية ضد العرب والفلسطينيين كحالات استثنائية أو مصالح خاصة، بل مواجهتها بالجدية نفسها كما لو كنا نواجه مشكلة تفوّق العرق الأبيض، والعنصرية، ومعاداة السامية؛
- ثالثاً، رفض استخدام معاداة السامية بهذا الشكل المعيب لوصف كلّ من يجرؤ على انتقاد إسرائيل ومناصرة حقوق الفلسطينيين بمعاداة السامية، وتفكيك المعادلة الخاطئة التي تفترض أنّ إسرائيل واليهودية والصهيونية هي مفردات متساوية المعنى؛
- رابعاً، رفض كافة الاستراتيجيات المكارثية الطابع، القديمة منها والجديدة، التي تسعى إلى إسكات كلّ من يجرؤ على إعلاء الصوت والمطالبة بالعدالة في فلسطين وأينما كان، وتخويفه والتسلط عليه؛
- خامساً، الإصرار على أن تكون العدالة من أجل/ في فلسطين جزءاً لا يتجزأ من مفهوم العدالة غير القابل للتجزئة؛
- سادساً، المطالبة بمساءلة مفتوحة وشفافة وإجلاء الغموض المحيط بصناعتي رهاب الإسلام واللوبي الإسرائيلي؛
- سابعاً، إجراء تدقيق ماليّ في الوضع غير الربحي للمجموعات التي تستفيد من الملاذات الضريبية بغية إخفاء تمويلها لمنظّمات ومؤسسات دينية وجماعات عنصرية وكارهة للإسلام؛
- ثامناً، دعم بناء مؤسسات إنتاج المعرفة التي تجعل من العدالة محور مشروعها؛
- تاسعاً، دعم الباحثين الذين يتعرّضون للهجوم، وحماية الجامعات بصفتها صرحاً للتعلّم والتفكير النقدي، وتحدّي سياسة التخويف والاتكال على التمويل الخاص الذي يجعل مؤسسات التمويل العالي مساءلةً أمام شركات خاصة عوضاً عن التمويل العام.
- وعاشراً، تشجيع التبادل الأكاديمي ودعمه وتمويله بين مؤسسات التعليم العالي الأميركية والدولية، خاصّةً ضمن المجتمعات العربية والمسلمة والفلسطينية.

صناعة رهاب الإسلام المعاصر المرتكز على الهوية

سعيد بوامامة

إيفار *(IFAR)*: تدخل، تدريب، تحرّك، بحث

إنّ رهاب الإسلام، بعيداً عن كونه خوفاً لامنطقياً من الإسلام والمسلمين، هو شكل معاصر من أشكال العنصرية. فلا يخفى على أحد أنّ العلاقات الاجتماعية العنصرية قد اختبرت تبدّلات تاريخية عميقة، مما أتاح لها التأقلم مع تغييرات الأُطر وعلاقات القوى. ظهرت العنصرية في بادئ الأمر كظاهرة أيديولوجية ترافقت مع غزو العالم الجديد، ثم مع العبودية والاستعمار. وقد اتّخذت العنصرية، كعلاقة اجتماعية، شكلاً بيولوجياً أولاً قبل أن تضطر للتحوّل إلى شكلٍ ثقافي. أما اليوم، فهي مجسّدة في الانتماء الثقافي ذي المنحى الديني. بعد المرور سريعاً على تاريخ العلاقات الاجتماعية العنصرية، سيناقش القسم الثاني من هذا البحث العوامل المادية التي تشرح كيفية ظهور هذا الشكل التاريخي الجديد من العنصرية وتطوره. أما القسم الثالث، فيناقش عواقب تطور رهاب الإسلام في عالمنا.

العنصرية واقع تاريخي

من أكثر تعريفات العنصرية إقناعاً هو ذاك الذي يعرضه علينا ألبير ميمي: "العنصرية هي إسناد قيمٍ بشكلٍ معمّم ونهائي إلى اختلافات حقيقية أو وهمية، على نحوٍ يصبّ في مصلحة المتّهِم وعلى حساب الضحية، بهدف تبرير المتّهِم لامتيازاته الخاصة أو عدائيته."[46] انطلاقاً من هذا التعريف، يمكننا تسليط الضوء على السمات الأساسية التي تتيح تصنيف رهاب الإسلام كشكلٍ تاريخي جديد من العنصرية، لا كمجرّد خوف من الإسلام.

- العنصرية هي، قبل كلّ شيء، علاقة اجتماعية. بعبارة أخرى، إنها علاقة بين شخصين أو مجموعة من الأشخاص. يتطابق الخطاب المعاصر لرهاب الإسلام مع هذه الخاصية الأولى بما أنه يمارس تأثيره من خلال فرض التجانس على مجموعتين: المسلمين وآخرين. وعادةً ما يتمّ إخفاء مصادر التنوّع والتناقضات ضمن هاتين المجموعتين، ناهيك عن أوجه التشابه بينهما.
- تُعتبر هذه العلاقة الاجتماعية غير متساوية؛ بعبارة أخرى، تصنِّف المجموعتين ضمن تراتبية معيّنة، مبرّرةً هذه المعاملة التفضيلية، أي المعاملة التي تنطبق على إحداهما دون الأخرى. فمن خلال النظر بعينٍ ملؤها الشك إلى المسلمين- الذي يُعتبرون عندئذٍ من لون واحد- يشرّع الخطاب المعاصر لرهاب الإسلام تطبيق ممارسات الرصد والمراقبة الاستثنائية على جزء من المجتمع المحلي الوطني.
- تتمثّل الوظيفة الاجتماعية للعلاقة الاجتماعية بتبرير المعاملة غير المتساوية، وبالتحديد طريقة توزيع الامتيازات على إحدى المجموعتين مع تمييز المجموعة الأخرى. ومن آثار الخطاب المعاصر لرهاب الإسلام زيادة درجة التفاوت في الوصول إلى موارد السوق الشحيحة (فرص العمل، التعليم، السكن إلخ.) بسبب وصم أشخاص "بالمسلمين الخطرين".

إذا كان رهاب الإسلام يتطابق مع تعريف ألبير ميمي للعنصرية كعلاقة اجتماعية، فلا بدّ من الإشارة إلى أنّ أشكالاً أخرى سبقته، ارتكزت على وظيفة السياقات وعلاقات القوى. فمع أنّ العلاقات بين المجموعات البشرية قبل عصرنا الحديث قامت على بعض العلاقات غير المتساوية، إلا أنّ هذه العلاقات لم تنتشر بشكلٍ منهجي حتى قيام الإقطاعية والثورة الصناعية في أوروبا القديمة. وكان عالم الاقتصاد، إريك ويليامز، قد أكبّ على توثيق الروابط بين العبودية و"تكديس رؤوس الأموال التي موّلت الثورة

46 Albert Memmi, Le racisme [Racism] (Paris: Gallimard, 1982): 158.

الصناعية."[47] ومع أنه يمكن العثور على بعض عوامل الأيديولوجية العنصرية في عصر ما قبل الثورة الصناعية، إلا أنّ العنصرية لم تتحوّل إلى نظام صنّف العلاقات بين مختلف القارات وسكّانها إلا مع هذه الثورة. بالفعل، حملت العولمة الأولى معها العنصرية كأيديولوجية برّرت مصادرة الأملاك، والعنف، واستغلال العبودية، والاستعمار آنذاك.

استند الشكل التاريخي الأول للعنصرية إلى التعليلات البيولوجية، أي التأكيد المزدوج على وجود "أعراق بشرية" متمايزة وخاضعة للتصنيف. فطُرح انعدام المساواة البيولوجي كتبرير

بالفعل، حملت العولمة الأولى معها العنصرية كأيديولوجية برّرت مصادرة الأملاك، والعنف، واستغلال العبودية، والاستعمار آنذاك.

للعلاقات الاجتماعية العرقية غير المتساوية. وعلى مدى أكثر من أربعة قرون من العبودية وحوالى قرن من الاستعمار، بات مثال التفوق الطبيعي للرجل الأبيض متغلغلاً في عمق المجتمعات الاستعمارية والمقتنية للعبيد. لكن لا يمكن لهذا الإرث أن يختفي وحده، حتى في ظلّ اختفاء الظروف التي أدّت إلى نشأته. فما زالت المخيّلة واللاوعي الجماعي للمجتمعات التي كان لها باع طويل في الاستعمار واقتناء العبيد متأثّرين بهذا الإرث. وكما أفاد ماركس: "إنّ البشر يصنعون تاريخهم بأيديهم، ولكنهم لا يصنعوه على هواهم؛ لا يصنعوه على ضوء ظروف يختارونها بأنفسهم، بل في ظروف قائمة ومحدّدة ومنقولة لهم من الماضي. إنّ تاريخ جميع الأجيال الغابرة يجثم كالكابوس على أدمغة الأحياء."[48] من هنا، طالما أننا لم نبذل جهداً حقيقياً لتفكيك إرث الماضي، فإنّ التمثيل الاجتماعي العنصري الموروث من الماضي سيبقى موجوداً، وسيكون بالإمكان إحياؤه وتحديثه لتحقيق أغراض معاصرة.

يشرح فرانتز فانون، وبجدارة، الانحطاط التدريجي للتعليلات البيولوجية واستبدالها بشكلٍ جديد من العنصرية: أي تلك القائمة على التعليلات الثقافية. فوفقاً لفانون، فقدت نظرية التعليلات البيولوجية مصداقيتها بعد سقوط النازية، ثم بعد افتضاح أمر الجرائم الاستعمارية، مما دفع بالعنصرية إلى تغيير شكلها. من هذا المنطلق، لم يعد بإمكان فكرة الاختلافات البيولوجية المطلقة تبرير وجهة النظر العنصرية، مما جعل العنصرية قائمة بعد ذلك على تأكيد وجود اختلافات مطلقة ثقافية الطابع:

سعت العنصرية السوقية، البدائية، البسيطة جداً إلى أن تجد في الدلالات البيولوجية الأساس المادي لعقيدتها، لا سيّما بعد أن أثبتت الكتب المقدّسة عدم كفايتها في هذا المضمار. وسيكون من المضجر أن نذكّر بالجهود التي اتُّخذت في تلك الآونة: كالمقارنة بين أشكال الجماجم، وكمية طيات الدماغ وتركيبتها، وخصائص طبقات الخلايا في الغلاف الخارجي لقشرة المخ، ومقاييس العمود الفقري، وشكل النسيج الجلدي تحت المجهر إلخ. [...] لكن تميل المواقف العتيقة الطراز إلى الاختفاء في مطلق الأحوال. أما هذه العنصرية التي تطمح إلى الارتكاز على أسس منطقية [...]، فتتحوّل إلى عنصرية ثقافية. وما يثير الدهشة أنّ "القيم الغربية" تمتزج بتلك الدعوة الشهيرة إلى شنّ حرب "بين الصليب والهلال"[49].

تسلّط ملاحظات فانون هذه الضوء لا على الانتقال من الاعتلالات البيولوجية إلى الثقافية فحسب، بل على إمكانية ارتكاز الاعتلالات الثقافية هذه على المؤسسات الدينية أيضاً، وهنا الخطر. فبرأينا، يمسي رهاب الإسلام وفقاً لهذه الطريقة شكلاً من أشكال العنصرية الثقافية المرتكزة على المؤسسات الدينية. بالفعل، لا يتعلق الأمر بتصنيف الثقافات بشكلٍ عام فقط، بل الأديان أيضاً. لهذا السبب، قد نجد آثاراً على رهاب الإسلام في الخطابات التاريخية الاستعمارية. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الشكل من رهاب الإسلام الذي كان سائداً في الماضي يتداخل مع خطاب ثقافي أوسع. فيظهر رهاب الإسلام كنظام معزَّز بفعل الأشكال السابقة من العنصرية (أي تلك المرتكزة على دلالات بيولوجية وثقافية)، ولكن بطريقة عصرية.

مراحل ظهور رهاب الإسلام المعاصر

مع أنّ نصوص بعض المسؤولين الاستعماريين تأتي على ذكر "رهاب الإسلام" ووجوده منذ بداية القرن العشرين، إلا أنها تبقى نادرةً ومتفرّقة.[50] في الواقع، لم يظهر الشكل الجديد من العنصرية ويترسّخ إلا قرابة نهاية الثمانينيات. ولعلّ السياق الذي يندرج فيه هذا التسلسل التاريخي للأحداث هو انهيار التوازنات الدولية بعد

47 Eric Williams, Capitalism and Slavery [Capitalisme et esclavagisme], (Paris: Présence Africaine, 1968): 6.

48 Karl Marx, Le 18 brumaire de Louis Napoléon Bonaparte [The Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte], (Paris: Editions sociales, 1968: 15.

49 Frantz Fanon, Racisme et Culture: Pour la Révolution Africaine [Racism and Culture: Toward the African Revolution], Complete Works (Paris: La Découverte, 2011): 716.

50 حول هذا الموضوع، راجع: Abdellali Hajjat and Marwan Mohammed, Islamophobie [Islamophobia]. Comment les élites françaises fabriquent le "problème musulman" [How French elites manufacture the "Muslim problem"], La (Paris: .(Découverte, 2013

الحرب العالمية الثانية، نتيجة زوال الاتحاد السوفياتي. في هذا الإطار، يمكن تلخيص نتائج اختفاء العالَم الثنائي القطب على النحو التالي:

- بداية عملية العولمة، أي القضاء على الحدود الجمركية وأنظمة الحماية التي تعتمدها الدول؛
- تزايد حدّة المنافسة بين مختلف القوى العظمى للوصول إلى المواد الأولية الاستراتيجية والتحكّم بالأسواق؛ وقد انتشرت هذه المنافسة حول النفط والغاز والمعادن الاستراتيجية، التي كانت حتى تلك الآونة مكبوحة الجماح بسبب وجود "عدوّ مشترك"، لتطال سريعاً الشرق الأوسط وأفريقيا؛
- يمكن ملاحظة الآثار المتعدّدة لهذه المنافسة غير المضبوطة في عدّة جهات: فمن جهة يُسجّل إفقار غير مسبوق لبلدان في الجنوب، مما يوجد أرضيةً خصبةً لانتشار مشاعر الغضب والثورة الجماعية؛ ومن جهة أخرى ارتفاع مستوى انعدام الأمن بين العمّال في الشمال، مما يوجد بدوره أرضية خصبة لتنامي العنصرية من خلال البحث عن كبش فداء؛
- أخيراً، تدعو الحاجة إلى تبرير شنّ حروب جديدة خدمةً لما سمّاه الرئيس أيزنهاور في ما مضى
- "العقدة العسكرية- الصناعية" التي شعرت بالخطر لدى زوال العدوّ التاريخي. ففي عام 1961، حذّر أيزنهاور من اكتساب العقدة العسكرية- الصناعية لنفوذ غير مبرّر، سواء أكانت تسعى إلى ذلك أم لا."[51]

شكّلت هذه الدعامة السياسية والاقتصادية مصدراً لنظريات أيديولوجية جديدة، سرعان ما تطوّرت لاستحداث عدوّ تاريخيّ جديد، بهدف تبرير الاستمرار في الإنفاق على شراء الأسلحة. يخاطب هذا الإطار التحليلي الجديد جزءاً من السكّان البيض الذين شعروا بزعزعة الاستقرار والانعزال، فإذا بهم يحصلون على عدوّ جديد يستوفي وظيفة كبش الفداء. على حدّ علمنا، كان العالم المستشرق برنارد لويس أوّل من قدّم تفسيراً للنسخة المركّبة عن مفهوم رهاب الإسلام الجديد في مقاله الصادر عام 1990 بعنوان "جذور الغضب الإسلامي" [52]. كما طرح أيضاً مفهوم "صدام الحضارات" الذي سيطوّره صامويل هانتغتون في ما بعد.

لكنّ هانتغتون كان من أعدّ المصفوفة الأيديولوجية الأساسية لرهاب الإسلام المعاصر، تلك التي ترتكز، في منطقها الأساسي، على إنتاج عدوّ جديد يتمثّل بحضارة جديدة. نُشر عمله في 1996، لكنه سرعان ما أصبح النموذج الذي تحتذي به الإدارات الأميركية في إجراءتها وخطابها. وتجدر الإشارة إلى أنّ إطاره التحليلي، الذي تُرجم إلى الفرنسية عام 1997، يشهد توسّعاً سريعاً ضمن جزءٍ متزايد من الطبقات السياسية الأوروبية. زد على ذلك أنّ منطقه بات متجذراً في بعض الأفكار الأساسية التي تمّت قولبتها ضمن نظام من الأسباب والمسبّبات. في ما يلي نناقش هذه الأسباب والمسبّبات لتسليط الضوء على التسلسل المنطقي المفضي إلى التطوّر التدريجي لرهاب الإسلام المعاصر:

- تعريف الحضارات: بالنسبة إلى هانتغتون، لا يمكن تعريف مفهوم الحضارات وفقاً لعوامل مادية (أي التطوّر التقني، أو التنظيم الاقتصادي، أو نوع التحضّر إلخ.) أو سياسية (كالنظام السياسي، أو هياكل السلطة، أو الأيديولوجية السياسية المهيمنة) أو أيديولوجية (كمنظومة القيم، أو النظرة العالمية إلخ.). فيؤكّد أنّ الدين هو المعيار الذي يميّز حضارةً عن أخرى، والدين وحده هو صاحب القرار النهائي في تمييز الثقافات عن بعضها. لكنّ اختصار الشعوب والمجتمعات بالدين وحده يؤدي إلى جعل الأديان مسرحاً للمواجهات كافة. في هذا الإطار، يعتبر المؤلّف أنه لا يمكن تفسير المواجهات الحالية والمقبلة من خلال تحليل المخاطر الاقتصادية، والأوضاع الاجتماعية، وتضارب المصالح الاجتماعية. فمصدرها الوحيد، على ما يبدو، هو التنافر بين الأديان التي تُعتبر، بنظر أتباعها أزليةً ومتجانسةً.
- التخلي عن العالمية: تدفع المقاربة الثقافية المرتكزة على الدين بهانتغتون إلى انتقاد "وهم العالمية" انتقاداً شديد اللهجة. فقد آن الأوان، بالنسبة إليه، للتخلي عن وهم العالمية والترويج لقوّة الحضارات، وتماسكها، وحيويتها في عالمٍ مؤلّف من الحضارات." وحرصاً على عدم إرباك القارئ، يشير المؤلّف إلى أنّه يعتبر الإسلام "حضارةً" من الضروري حماية أنفسنا منها. من هذا المنطلق، نفهم إذاً لمَ يخلّف هذا الإطار التحليلي أصداءً إيجابية وفورية في عالم المنظّمات المنادية بتفوّق العرق الأبيض من جهة، وبين المتطرّفين اليمينيين في الدول الصناعية

51 Dwight David Eisenhower, Farewell Address, January 17, 1961, https://en.wikisource.org/wiki/Eisenhower%27s_farewell_address_(audio_transcript), 2018 تمت زيارة الموقع في 27 كانون الثاني/يناير.

52 Bernard Lewis, "The Roots of Muslim Rage," The Atlantic Monthly, September 1990, 47-60.

من جهة أخرى. في هذا الإطار، قد يبدو للوهلة الأولى أنه حريّ بنا التهليل لهذا الطلب بالتخلي عن العالمية التي أفضت إلى الاستعمار، لكننا ننسى، إن فعلنا ذلك، أنّ هذا الأمر لن يؤدي إلى فكرة السلام بين الحضارات؛ بل على العكس إنّ النتيجة الوحيدة لذلك المطلب هو تصوير الصدام بين الحضارات على أنه صدام حتمي ودائم.

- التخفيف من الثنائيات: يؤدي مفهوم الثنائيات إلى إنكار كلّ ما تتميّز به المجتمعات البشرية من غنى وتعقيد؛ بعبارة أخرى إلى إجراء سلسلة من التعارضات الثنائية. فوفقاً لهذا الإطار التحليلي، تُعتبر المجتمعات، والفئات الاجتماعية، والأفراد إما منتمين إلى الثقافة الغربية وإما لا. ينفي ذلك تنوّع الثقافة الغربية، لا بل تنوّع بقية ثقافات الكوكب أيضاً. أما الاختلافات ضمن "الغرب"، فتُعتبر أموراً ثانوية تخفي هويته المسيحية الحقيقية، تماماً كما تبدو الاختلافات بين الدول والأمم المسمّاة "بالمسلمة" مظهراً ليس إلا، يخفي لونها المتجانس في الأساس.
- استحداث فكرة العدوّ في الداخل: إنّ النتيجة المنطقية التي يمكن استخلاصها من تجانسات هنتغتون الثنائية هي استحالة اجتماع صفتي المسلم والغربي في شخص واحد. لذا، هناك توجّه إلى اعتبار رعايا البلدان الغربية الذين يعتنقون الديانة الإسلامية كطابور خامس ينبغي مراقبته، لا بل قمعه إذا دعت الحاجة إلى ذلك. من هنا، غالباً ما تحوم شبهات دائمة حول المواطنين المسلمين في كلّ دولة غربية.

ختاماً، تجدر الإشارة إلى أنّ تنظير هانتغتون لا يقتصر على المسلمين فقط، بل يشكّل أيضاً محاولةً فعليةً لتحقيق التطلعات النظرية والأيديولوجية للمذهب المنادي بتفوق العرق الأبيض. ففي كتابه من نحن؟ التحديات في وجه هوية أميركا الوطنية،[53] يصوّر لنا الهوية الأميركية وكأنها مهدّدة من قبل اللاتينيين. بالنسبة إليه، لا يمكن استيعاب مواطني بلدان أميركا اللاتينية ضمن "جوهر الثقافة الأنغلوسكسونية- البروتستانتية". كما يدعو أيضاً إلى حماية الهوية الوطنية المهدّدة من قبل ثقافة هؤلاء المهاجرين وديموغرافيتهم.

من يقف وراء نشوء رهاب الإسلام

لكن، لا يمكن حصر هذا التنامي السريع لرهاب الإسلام المعاصر بظهور نظريات التعليلات الثقافية الجديدة، بل ينبغي أن نسأل أنفسنا عن الأسباب التي جعلت هذه التفسيرات جذابة بنظر شريحة كبيرة من السكان في البلدان الصناعية. في هذا الإطار، لا بد من مراعاة الأبعاد التالية رغم كونها غير شاملة:

- إزدياد مستوى انعدام الأمن على نحوٍ يؤثّر على الفئات الاجتماعية التي كانت تحظى، حتى تلك الساعة، بدرجة من الحماية، مما يؤدي إلى زعزعة استقرار الفقراء البيض وأفراد الطبقة المتوسطية الدنيا الذين سيخشون انحدار مكانتهم. يستهدف الخطاب المرتكز على الهوية هذه الشريحة من السكان من خلال تزويدهم بكبش فداء.
- تسعى الحركة القائلة بتفوّق العرق الأبيض في الولايات المتحدة وحركة اليمين المتطرّف في أوروبا إلى تحديث خطابها السياسي لبلوغ شريحة أكبر من السكان. بالنسبة إليهما، من الضروري الابتعاد عن الخطاب العنصري التقليدي (القائم على التعليلات البيولوجية أو الثقافية) من أجل توسيع نطاق قاعدتهما. من هنا، يسبغ رهاب الإسلام المعاصر، من خلال عرض نفسه كمدافع عن القيم الجوهرية (كالديمقراطية، وحقوق المرأة، وحرية التعبير، واحترام الأقليات إلخ.)، نوعاً من الاحترام على ظاهرة العنصرية. لهذا اقترحنا تسميته "بالعنصرية المحترمة"[54] أثناء النقاشات التي جرت في فرنسا عام 2004 حول حظر الحجاب في المدارس، حيث تمّ إقصاء فتيات عن حقّهن بالتعليم باسم "الدفاع عن العلمانية".
- يهدف الخطاب السياسي والإعلامي في الولايات المتحدة وأوروبا إلى تبرير الحروب الخارجية التي تُشنّ في بلدان تضمّ، بشكلٍ كامل تقريباً، سكاناً مسلمين. فمن أفغانستان إلى الصومال فالعراق، ترافقت هذه الحروب مع تحاليل ومواقف ترتكز على التعليلات الثقافية.

مع أنّ هذه الأبعاد والجهات الفاعلة موجودة منذ نهاية الثمانينيات، إلا أنّها اتّخذت بعداً جديداً بعد هجمات 11 سبتمبر

53 Samuel Huntington, Who are We? The Challenges to America's National Identity (New York: Simon & Schuster, 2004): French translation: Qui sommes-nous ? Identité nationale et choc des cultures [National Identity and Culture Clash], (Paris: Odile Jacob, 2004).

54 بشأن هذا الموضوع، راجع كتابي التالي:
Saïd Bouamama, L'affaire du foulard islamique: La production d'un racisme respectable [The Islamic Headscarf Affair: The Creation of Respectable Racism], (Lille: Le Geai Bleu, 2004).

2001. فقد عُرض مفهوم الحرب على الإرهاب، منذ نشوئه، "كحرب حضارات"، لا سيّما في الدول حيث صوّرت نظرية صدام الحضارات، وترجمتها في الإعلام والسياسة، المسلمين والإسلام كمصدر خطر طيلة عقدٍ من الزمن.

لكن من الخطأ الاستخفاف بمقدار تجذّر رهاب الإسلام المعاصر. فتقودنا ثلاثة أسباب أساسية إلى الافتراض أنّ شريحةً كبيرةً من سكّان البلدان الصناعية منغمسة، بدرجة أو بأخرى، في رهاب الإسلام المعاصر. أولاً، يجب التنبّه إلى مدّة الهجوم الأيديولوجي الذي بات اليوم يمتدّ لعدة عقود. ثانياً، كما هو مذكور أعلاه، تتفق عدّة جهات (وكلٌّ لأسبابه الخاصة) على انتشار الأطروحات المعادية للإسلام (القائلين بتفوق العرق الأبيض، والإعلام وجزء من الطبقة السياسية، العقدة العسكرية- الصناعية إلخ.). أخيراً، تُعتبر شريحة من السكان غير آمنة اقتصادياً، وبالتالي تمسي أكثر تقبّلاً للخطابات التي تقدّم تفسيرات على شاكلة كبش فداء.

تنبؤات تتحقق من تلقاء ذاتها

بطبيعة الحال، ليست الخطابات والممارسات الكارهة للإسلام خالية من التأثير على رعايا الدول الصناعية المسلمين. في الواقع، إنّ التمييز و/أو الإهانة يوقظ لدى الأشخاص الأكثر ضعفاً انجذاباً لما يسمّيه الإعلام اليوم "بالجهاد"، لكننا نفضّل تسميته انجذاباً إلى العدمية الانتحارية. تفضح هذه الأقلية الضئيلة، في الحقيقة، الصدوع في مجتمعاتنا، لكنها تُقدَّم في الوقت عينه كنموذج لصحة هذه الأطروحات المعادية للإسلام. وتجدر الإشارة إلى أنّ برامج مكافحة "التطرف" التي ظهرت في معظم الدول الصناعية قد ارتكزت، بشكلٍ غالب، على منطق مماثل، مما أدّى إلى مجموعة من الارتباكات:

- تركيز على جانب العرض المتعلق بالتطرف وإخفاء لجانب الطلب: برأينا، السؤال الحقيقي يجب أن يكون: ما سرّ هذا الانجذاب إلى الأيديولوجيات القاتلة؟ فإذا كان العرض المتعلق بالتطرف فعالاً، فهذا لوجود طلب عليه أصلاً. أما صرف النظر عن الطلب، كما تفعل معظم برامج القضاء على التطرف، فيصعّب عملية أخذ الأسباب الجذرية في الاعتبار: أي التمييز، والشعور بالإهانة، وآثار الخطاب المعادي للإسلام، وردود الفعل تجاه الحروب وهكذا دواليك.
- خلط بين الكشف والوقاية: ترتكز معظم البرامج على فكرة "الكشف" التي تفترض البحث عن علاماتٍ للتطرّف: كاللحية، ونوع اللباس، والمفردات المستخدمة إلخ. لكنّ هذا الارتباك، الذي لفت إليه مؤلّفون عدة، ينطوي على خطر إجراء تحديد نمطي لفئات اجتماعية برمّتها بناءً على علامات خارجية. ويطغى التركيز على الكشف في هذا السياق على ضرورة اتّخاذ تدابير استباقية، بما يتيح أخذ سياق "التطرف المشترك" في الاعتبار، أي ذلك الذي يميّز وضعنا اليوم. في الواقع، نلاحظ تداخلاً بين "التطرف العنصري" وما يُسمّى "بالتطرف الجهادي". وحدها المقاربة الاستباقية تمكّن من معالجة هذين العاملين الداعمين لبعضهما البعض.

تغذي هذه الأخطاء رهاب الإسلام المعاصر من خلال تزويده بأهداف يمكن تحديدهم بناءً على المظهر الخارجي (كالثياب، واللحية إلخ.).

الخاتمة

رهاب الإسلام المعاصر هو شكل جديد من أشكال العنصرية، يلي الشكلين المرتكزين على الاعتلالات البيولوجية والثقافية. نجحت النظريات والمواقف المعادية للإسلام، لعدّة عقود، في التغلغل ضمن مجتمعات الدول الصناعية بفعالية لا تنفكّ تزداد قوّةً، بفضل مساهمة عدّة جهات في نشرها (كالمنادين بتفوق العرق الأبيض، والخطابات الإعلامية والسياسية، والعقدة العسكرية- الصناعية). كما ترسّخت هذه الفعالية بفضل تفكّك الفئات الاجتماعية الجديدة (الفقراء البيض والطبقة المتوسطة الدنيا)، مما منح رهاب الإسلام قاعدةً مجتمعيةً محتملة. لكن يبقى الأمل بسياسة وقاية استباقية وصارمة، تركّز على مختلف أشكال العدمية (بما فيها تلك المتعلقة بتفوق العرق الأبيض). وحدها هي تستطيع إيقاف هذا الوجه الجديد للعنصرية.

رهاب الإسلام: نحو تعريف قانوني وإطار عمل

(نُشر أولاً في موقع "كولومبيا لو ريفيو"، بتاريخ 1 نوفمبر 2016)

خالد أ. بيضون[55]

كلية القانون في جامعة ديترويت ميرسي جامعة كاليفورنيا بيركلي، مشروع البحث والتوثيق حول رهاب الإسلام

تتصاعد وتيرة رهاب الإسلام بدرجة مخيفة في الولايات المتحدة. كما تتزايد بسرعة مقلقة دراسة هذا الشكل من التعصّب، المتوافق عليه اليوم "كالخوف من المسلمين والتشكيك فيهم". ومما يشهد على هذا الارتفاع السريع، المنشورات القانونية ومن جملتها دراسات لباحثين يحللون فيها استراتيجيات الأمن القومي الجديدة التي تعتمدها الدول للتعامل مع انتهاكات الحريات المدنية والتهديدات ضد رعاياها المسلمين. لقد بات رهاب الإسلام، في فترة زمنية قصيرة، موضوعاً يستقطب قدراً هائلاً من الدراسة والاهتمام.

لكن رغم هذا الاهتمام المتزايد في صفوف الباحثين، ليس من تعريف واحد، ومقنع، ومتوافق عليه لرهاب الإسلام. وبالتحديد، ليس من تعريف قانوني يصف، بشكل مناسب، عدائية الدولة والأفراد الموجّهة ضد الرعايا المسلمين.

من هذا المنطلق، تسعى هذه المقالة إلى سدّ تلك الفجوة. إنها أول جهة تقدّم تعريفاً دقيقاً لرهاب الإسلام، خدمةً لمجموعة وافرة من الباحثين القانونيين ومساعدةً لهم، خلال معالجتهم مشكلة استهداف الدولة والأفراد والفريقين معاً للرعايا المسلمين في الولايات المتحدة. فضلاً عن ذلك، تهدف هذه المقالة إلى تيسير جهود المناصرة المكافحة لرهاب الإسلام. بالفعل، عند الوصول إلى طريق مسدود يتفاقم فيه التشكيك بالمواطنين المسلمين، ويتصاعد الخوف من "التطرف الشديد" في عقر الوطن، ويترسّخ التضييق على الحريات المدنية للأميركيين المسلمين، يصبح توفير تعريف قانوني وإطار عمل لفهم رهاب الإسلام خطوةً لا غنى عنها.

مقدّمة: ماذا يعني رهاب الإسلام في الحقيقة؟[56]

خلال السنوات الأخيرة، ظهر رهاب الإسلام كمصطلح له دلالات شعبية وسياسية. فتصدّر عناوين الأخبار في وسائل الإعلام والمطبوعات،[57] كما طغى على دراسات الباحثين، وورد مراراً على ألسنة السياسيين والمفكّرين،[58] كما بات محوراً للمؤتمرات والندوات القانونية.[59] فكان انتشار مصطلح "رهاب الإسلام" نتيجةً لتزايد الخوف والتشكيك في الأميركيين المسلمين- وهي الطريقة المتعارف عليها اليوم لفهم لبّ هذا المصطلح.

تتأتى محاولات فهم مصطلح "رهاب الإسلام" وتعريفه اليوم، إلى حدّ كبير، عن المنافع العملية والتحليلية المقترنة بضرورة قولبة هذه الظاهرة المعقدة ضمن مصطلح عمليّ. وقد أثبت مصطلح "رهاب الإسلام"، رغم تعرّضه لانتقاداتٍ من الباحثين والمناصرين على السواء،[60] أنه يخلّف وقعاً ويتميّز

55 أستاذ مساعد في القانون، كلية القانون في جامعة ديترويت ميرسي؛ عضو في هيئة التدريس التابعة، جامعة كاليفورنيا، بيركلي، مشروع البحث والتوثيق حول رهاب الإسلام. يودّ المؤلّف أن يشكر دونا أوستن، سحر عزيز، ديفون كاربادو، سيرا شودوري، كمبرلي كرينشو، إيرين درة، غرايس فرانكلين، جاستن هانسفورد، لوك هاريس، مارغاري هيل، جو لوندس، داليا مجاهد، جميلة مورغان، بريسيلا أوسن، سويون بارك، كميلة رشاد، قاسم رشاد، ليندا سرسور، بريسيلا يمين، وإزرا يونغ على كلّ ما قدموه من أفكار وتعليقات.

56 Tanya Basu, "What Does 'Islamophobia' Actually Mean? A Brief History of a Provocative Word," Atlantic, October 15, 2014, http://www.theatlantic.com/international/archive/2014/10/is-islamophobia-real-maher-harris-aslan/381411/

57 للاطلاع على مثال عن المصطلح كما يظهر في أبرز الصحف، راجع:

Arun Kundnani, "Opinion, The West's Islamophobia Is Only Helping the Islamic State," Washington Post, March 23, 2016, http://www.washingtonpost.com/posteverything/wp/2016/03/23/the-wests-islamophobia-is-only-helping-the-islamic-state/

58 تعهد السيناتور بيرني ساندرز، في ردّ على خطاب دونالد ترامب المعادي للإسلام وسياساته المقترحة، أن "يضع حداً لرهاب الإسلام". راجع:

Press Release, Council of Am. Islamic Relations, "CAIR Welcomes Bernie Sanders's Pledge to End Islamophobia and Racism," October 29, 2015, http://www.cair.com/press-center/press-release/13212-cairwelcomesbernie-sanders-s-pledge-to-end-islamophobia-and-racism.html/

59 على سبيل المثال، عقد مركز العرق والنوع الاجتماعي في جامعة بيركلي كاليفورنيا سبعة مؤتمرات عالمية حول رهاب الإسلام، كان آخرها في نيسان/أبريل 2016. راجع:

"Media & Events," Univ. of Cal., Berkeley Ctr. for Race & Gender, http://crg.berkeley.edu/content/islamophobia/media, last visited Aug. 9, 2016.

60 تتمحور المناقشات المحتدمة بين الباحثين والناشطين حول دلالة المصطلح، وتأثيره، ومدى ملاءمة بعض المصطلحات البديلة، مثل "التعصّب ضد المسلمين" أو "العنصرية ضد المسلمين" أو "العنصرية ضد الإسلام"، لمعرفة ما إذا كانت هذه المصطلحات أدوات أكثر دقة وعملية وفعالية لتوصيف الخوف والتشكيك والعنف ضد المواطنين المسلمين. راجع بشكل عام:

Jaideep Singh, "The Death of Islamophobia: The Rise of Islamo-Racism," Race Files, Feb. 23, 2016, http://www.racefiles.com/2016/02/23/ the-death-of-islamophobia-the-rise-of-islamo-racism/

[المشار إليه في ما يلي بـ Singh, The Death of Islamophobia] (يقدّم تحليلاً يبرّر أنّ مصطلح "العنصرية ضد الإسلام" هو الخيار الأنسب لوصف التحيّز والتعصّب ضد المسلمين، بدلاً من "رهاب الإسلام").

بالمرونة والقدرة على الاستمرارية.[61] فهو مستخدم أكثر من أي مصطلح آخر لشرح العداوة والتعصّب المتناميين ضدّ الأميركيين المسلمين.[62] بدءاً من يونيو 2016، ورد مصطلح "رهاب الإسلام" في 293 مقالة ضمن مجلات قانونية، أكثرها نُشر في 2011 أو ما بعده.[63]

يستمرّ هذا الاهتمام اليوم، لا سيّما في ظل توسّع سياسة مكافحة الإرهاب والالتزام المعزّز بمكافحة التطرّف، بعد الهجمات الإرهابية التي ارتكبها مواطنون مسلمون في أوروبا والولايات المتحدة.[64] ومن أبرز المسائل التي تنظر فيها البحوث الحالية حول رهاب الإسلام هو السؤال الكبير المطروح لمعرفة ما إذا كان يمكن دمج المسلمين في المجتمع الأميركي.[65]

مع استمرار تصاعد نبرة رهاب الإسلام، نتيجة توسّع نطاق المراقبة الحكومية[66] والخطاب السياسي الفاضح الذي يشوّه الحملة الرئاسية لعام 2016، [67] من المؤكد أن يستمر رهاب الإسلام بالتنامي كموضوع يستقطب اهتماماً كبيراً ودراسةً وافرةً ضمن أبحاث قانونية. بناءً عليه، مع كلّ يوم يمرّ، تتعاظم ضرورة مكافحة هذا الشكل الخطر والمستشري من التعصّب ضد الأميركيين المسلمين، وأولئك الذين يُعتقد أنهم أميركيون مسلمون. يستدعي كل ذلك إيجاد تعريف قانوني دقيق لرهاب الإسلام، فضلاً عن إطار عمل شامل يعالج مشاعر الخوف والتشكيك الصادرة عن الحلقات العامة والخاصة على السواء. في هذا الإطار، تُعتبر هذه المقالة أول من يوفّر تعريفاً شاملاً وإطار عمل جامع لرهاب الإسلام ضمن المنشورات القانونية، لتسدّ بذلك فجوةً في وقتٍ يتنامى فيه اهتمام الباحثين بهذا الموضوع بسرعة كبيرة.

تعرّف هذه المقالة برهاب الإسلام بافتراض أنّ الإسلام عنيف بطبيعته، ودخيل، وغير قابل للاستيعاب. زد على ذلك أنّ أشكال التعبير عن الهوية المسلمة باتت مقترنةً بتصوّر نزعة إلى الإرهاب لدى الشخص المعني. كما تجادل المقالة أنّ رهاب الإسلام متجذر في طريقة فهم الإسلام كنقيض للحضارة، وهو تصوّر تكرّسه أنظمة حكومية ومواطنون عاديون. أخيراً، تؤكّد المقالة أنّ رهاب الإسلام هو، أيضاً، عملية، وبالتحديد خطاب جدليّ تعتمده سياسات الدولة التي تستهدف المسلمين للمصادقة على الأفكار النمطية السائدة، وبالتالي تعزيز عداوة الأفراد ضدّ الرعايا المسلمين.

من هذا المنطلق، يمكن القول إنّ رهاب الإسلام له أبعاد ثلاثة: سياسة جماعية، وعداوة الأفراد، وخطاب يقوم من خلاله البعدان السابقان بتشريع وتعبئة التعصّب الكامن والمفضوح للأفراد والجهات الفاعلة الخاصة. فتكون النتيجة أكثر توسّعاً وتعقيداً بكثير من مجرّد "الخوف والنفور" من الإسلام والمسلمين.

من هذا المنطلق، يمكن القول إنّ رهاب الإسلام له أبعاد ثلاثة: سياسة جماعية، وعداوة الأفراد، وخطاب يقوم من خلاله البعدان السابقان بتشريع وتعبئة التعصّب الكامن والمفضوح للأفراد والجهات الفاعلة الخاصة. فتكون النتيجة أكثر توسّعاً وتعقيداً بكثير من مجرّد "الخوف والنفور" من الإسلام والمسلمين.[68]

يحقّق القسم الأول في رهاب الإسلام الفردي، أو بعبارة أخرى الخوف، والارتياب، والاستهداف العنيف الذي يتعرّض له المسلمون (وأولئك المعتقد أنهم مسلمون) على يد أفراد وجهات فاعلة خاصة. بعد ذلك، يتعمّق القسم الثاني في رهاب الإسلام الجماعي، وتلك العملية غير الخاضعة لدراسة متعمّقة التي تستخدمها الجهات الحكومية لتكريس مشاعر الخوف والتشكيك

---

61 "رغم استخدام مصطلحات أو عبارات أخرى لوصف هذا الإجحاف والتمييز، "ككراهية المسلمين" و"التحيّز ضد المسلمين" وغيرها، إلا أنّ الأكثر استخداماً وانتشاراً هو "رهاب الإسلام".

Bridge Initiative Team, "Islamophobia: The Right Word for a Real Problem," Bridge Initiative, April 26, 2015, http://bridge.georgetown.edu/ islamophobia-the-right-word-for-a-real-problem/

[المشار إليه في ما يلي بـ: Bridge Initiative, The Right Word].

مبادرة بريدج هي مشروع بحث في جامعة جورج تاون، هدفه رصد رهاب الإسلام في الولايات المتحدة، والبحث فيه، وتحليله. راجع:

"About," Bridge Initiative, http://bridge.georgetown.edu/about/, last visited Sept. 27, 2016.

62 Bridge Initiative, The Right Word, supra note 6

(اكتسب "رهاب الإسلام" زخماً كبيراً في الخطاب العام، وهو يُعتبر المصطلح الأوجز والأكثر انتشاراً الذي يُستخدم اليوم لوصف الإجحاف والتمييز.").

63 بين 2010 و2012، تصدّر مصطلح "رهاب الإسلام" 225 عملاً بحثياً، حيث ظهرت الكلمة 6240 مرّةً في غير مكانٍ ضمن هذه المقالات. شمل ذلك أعمالاً بحثية في مختلف المجالات الأكاديمية. المرجع نفسه.

64 يُعتبر حادث إطلاق النار العشوائي في ملهى بالس الليلي في أورلاندو، فلوريدا، في 12 حزيران/يونيو 2016 الذي ارتكبه أميركي مسلم من أصول أفغانية (عمر متين)، وأسفر عن مقتل تسعة وأربعين شخصاً وجرح ثلاثة وخمسين "الهجمة [الإرهابية] الأكثر دمويةً منذ 11/9". راجع:

Ana Swanson, "The Orlando Attack Could Transform the Picture of Post-9/11 Terrorism in America," Wash. Post: Wonkblog, June 12, 2016, http://www.washingtonpost.com/news/wonk/wp/2016/06/12/the-orlando-attack-couldtransformthe-picture-of-post-911-terrorism-in-america/ [http://perma.cc/KY6Q-AGNG].

65 يهيمن موضوع "تصوّر المسلمين كجزء من أميركا" على المنشورات الأكاديمية، مما يعكس انتشار الخطاب الشعبي والسياسي المتعلق باستيعاب المسلمين في الجسم السياسي.

Edward E. Curtis IV, "The Study of American Muslims: A History," in The Cambridge Companion to American Islam, Juliane Hammer & Omid Safi eds. (Cambridge: Cambridge University Press, 2013): 15, 26, emphasis omitted.

66 قاد البيت الأبيض، خلال ولاية الرئيس باراك أوباما، عملية توسيع نطاق ضبط الأمن المرتكز على مكافحة التطرف العنيف. راجع بشكل عام:

"Fact Sheet: The White House Summit on Countering Violent Extremism," White House, Feb. 18, 2015, http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2015/02/18/fact-sheet-white-housesummitcountering-violent-extremism.

ومن الأرجح أن تسرّع الهجمات الإرهابية الأخيرة التي ارتكبها مجرمون مسلمون، لا سيّما هجوم أورلاندو الذي سماه الرئيس أوباما "التطرف الناشئ محلياً" من هذا التوسّع. راجع:

Kevin Liptak, "Obama Cites 'Homegrown Extremism,' Escalates Call for Gun Control," CNN, June 13, 2016, http:// www.cnn.com/2016/06/13/politics/obama-orlando-gun-control-homegrownextremism/.

67 "Islamophobia in the 2016 Elections," Bridge Initiative, Apr. 25, 2015, http://bridge.georgetown.edu/islamophobia-and-the-2016-elections/ #

[المشار إليه في ما يلي بـ : Bridge Initiative, Islamophobia in the 2016 Elections].

68 Bridge Initiative, The Right Word, supra note 6.

في المسلمين، من خلال سنّ سياسة المراقبة الرسمية، والتحديد النمطي، والهجرة وتوسيع نطاقها. ثم يكشف القسم الثالث العملية المترسّخة في الخطاب التي ترتكز عليها سياسة الدولة من أجل تكوين الأفكار النمطية الشعبية عن الإسلام والرعايا المسلمين، والتصديق عليها، فتعزيز عنف الأفراد تجاه المواطنين المسلمين الفعليين، وأولئك الذين يُعتقد أنهم مسلمون، لا سيّما في الفترات الاجتماعية السياسية، كفترة "الحرب على الإرهاب" التي طال أمدها. أما الجزء الرابع، فيركّز على المنافع الاستراتيجية التي يمكن أن يحصل عليها الباحثون والمناصرون في المجال القانوني من خلال نشر التعريف الذي توصّلت إليه هذه المقالة.

رهاب الإسلام الفردي

التعريف

تعرّف هذه المقالة برهاب الإسلام الفردي على أنه الخوف، والارتياب، والاستهداف العنيف الذي يتعرّض له المسلمون على يد أفراد وجهات فاعلة خاصة. وتتجلى هذه العداوة عادةً من خلال استخدام جهات فاعلة غير تابعة للدولة الشتائم الدينية أو العرقية، أو الاحتجاجات الجماعية والمهرجانات السياسية، أو العنف ضدّ المواطنين المسلمين.

صحيحٌ أنّ هذا النوع من رهاب الإسلام يقتات من السياسات والبرامج الحكومية، إلا أنه يرتكز على الأنشطة والسلوكيات المعادية للمسلمين التي تنفّذها كيانات غير تابعة للدولة.

التحليل

في 13 نوفمبر 2015، "شنّت ثلاثة فرق من المقاتلين التابعين للدولة الإسلامية، بشكلٍ منسّق، هجوم باريس الإرهابي" موقعةً 129 قتيلاً و352 جريحاً.[69] وبعد ثلاثة أسابيع تقريباً، أقدم مجرمان مسلمان (اسمياً) بإطلاق النار على أربعة عشر من الأبرياء وقتلهم في المركز الداخلي الإقليمي، في سان برناردينو، كاليفورنيا، في خطوة أعلن الرئيس باراك أوباما أنها عملٌ إرهابي.[70] فكرّس هذان الهجومان الأجواء العدائية التي كانت منتشرة تجاه المسلمين في الولايات المتحدة، بتأجيج من المحرّضين على الكراهية والسياسيين الذين اتّخذوا من المسلمين كبش فداء.

تلا هذه الهجمات ارتفاع ملحوظ في جرائم الكراهية المرتكزة على دوافع دينية وعرقية ضد المسلمين.[71] "فقد ارتفع معدّل جرائم الكراهية ضد الأميركيين المسلمين والمساجد في مختلف أنحاء الولايات المتحدة بثلاثة أضعاف في أعقاب الهجمتين الإرهابيتين في باريس وسان برناردينو في كاليفورنيا، مع تسجيل حوالى اثني عشر حادثاً خلال شهر واحد."[72] وبالإضافة إلى الخطاب السياسي السائد، تغذي طريقة تصوير المسلمين والإسلام في الإعلام التقليدي ووسائل التواصل الاجتماعي الأفكار النمطية الشعبية المحيطة بالدين وأتباعه، مما عزّز مشاعر العداوة والعنف التي أطلقت لها جهات خاصة العنان بعد الأزمة. وانتشر الهلع من جديد بعد الهجوم على ملهى للمثليين في أورلاندو، في 12 يونيو 2016، من تصاعد جرائم الكراهية ضد الأميركيين المسلمين، مع العلم أنّ هذه الجرائم كانت قد حصدت في السنوات الماضية قتلى من المسلمين الفعليين وأولئك الذين توحي هيئتهم بأنهم مسلمون. ولعلّ بعض الأمثلة الأخيرة على ذلك تشمل مقتل ثلاثة طلبة جامعيين من الأميركيين المسلمين في تشابل هيل، كارولاينا الشمالية، في فبراير 2015؛[73] وحرق ثمانية وسبعين مسجداً بشكل متعمّد عام 2015 أو نهبها أو تدميرها؛[74] وموجة الاحتجاجات المناهضة للمسلمين التي اكتسحت البلاد؛[75] وتنامي الشتائم والمفردات التي تصبّ في خانة رهاب الإسلام الفردي والتي أمست جزءاً من الحياة العادية بسبب حملة ترامب؛[76] ومؤخراً القتل المستهدف لإمام مسلم معروف ومساعده في كوينز، نيويورك[77].

69 Adam Nossiter, Aurelien Breeden & Katrin Bennhold, "Three Teams of Coordinated Attackers Carried Out Assault on Paris, Officials Say; Hollande Blames ISIS," New York Times, Nov. 14, 2015, http://www.nytimes.com/2015/11/15/world/europe/ paristerroristattacks.html (on file with the Columbia Law Review).

70 Paloma Esquivel, Joseph Tanfani, Louis Sahagun & Sarah Parvini, "Obama: "This Was an Act of Terrorism Designed to Kill Innocent People,"" L.A. Times, Dec. 6, 2015, http://www.latimes.com/local/lanow/la-me-ln-san-bernardino-terror-probe-widens-asobamaset-to-speak-20151206-story.html.

71 تنظر جهات فاعلة خاصة إلى الهوية المسلمة عادةً من منظور مصطلحات الهوية الإثنية-العرقية، بما يتوافق مع التصوير الكاريكاتوري للمسلمين على أنهم مهاجرون، ودخلاء، وعرب. راجع: Khaled A. Beydoun, Antebellum Islam, 58 Howard Law Journal 141, (2014) 70-163).

72 Eric Lichtblau, "Crimes Against Muslim Americans and Mosques Rise Sharply," New York Times, Dec. 17, 2015, http://www.nytimes.com/2015/12/18/us/politics/crimes-againstmuslimamericans-and-mosques-rise-sharply.html (on file with the Columbia Law Review).

73 "Three Muslim Students Killed at North Carolina Campus," Al Jazeera, Feb. 11, 2015, http://www.aljazeera.com/news/2015/02/students-murdered-university-north-carolinacampus150211093231033.html,

[المشار إليه في ما يلي بـ" Three Muslim Students"].

74 "There were 78 instances where mosques were targeted--counting vandalism, arson, and other destruction--in 2015, according to the report compiled by the Council on American-Islamic Relations. Thirty-four of the incidents from 2015 came in November and December. There were 20 total in 2014, the group counted." Talal Ansari, "There Was a Huge Increase in Attacks on Mosques Last Year," Buzzfeed News, June 20, 2016, http://www.buzzfeed.com/talalansari/there-was-a-huge-increase-in-attacks-on-mosques-last-year.

75 Niraj Warikoo, "Anti-Muslim Rallies Across USA Making Muslims Wary," USA Today, Oct. 10, 2015, http:// www.usatoday.com/story/news/nation-now/2015/10/09/anti-islamralliesacross-usa-making-muslims-wary/73672674/

76 "لكنّ ترامب أتقن القيام بذلك. ففي حملته، كان رهاب الإسلام أشبه بخطاب بليغ منمّق سياسياً، يصاغ بدقة ويُنشر بطريقة استراتيجية، ومصمّم لتحريض مناصريه على كراهية صفيقة، وتعزيز الكراهية العنصرية المتكشفة في مهرجاناته السياسية التحفيزية."

Khaled A. Beydoun, "Donald Trump and Electing Islamophobia," Al Jazeera, Mar. 13, 2016, http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/2016/03/donald-trump-electingislamophobia160313104258994.html.

77 قُتل الإمام مولانا أكونجي، 55 سنة، ومساعده ثراء الدين، 64 سنة، رمياً بالرصاص في 14 آب/أغسطس 2016، بينما كانا يخرجان من مسجدهما الكائن في أوزون بارك، كوينز.

Pilar Melendez & Ray Sanchez, "New York Imam, His Assistant Killed Near Mosque," CNN, Aug. 14, 2016, http://www.cnn.com/2016/08/13/us/new-york-imam-shooting/.

كان أكونجي إمام المسجد، الكائن في حيّ بنغالي صغير في نيويورك. المرجع نفسه.

صحيحٌ أنّ التعصّب الشعبي ضدّ المسلمين يُقابَل، أكثر فأكثر، بموجات من الإدانة والاستنكار من قبل وسائل الإعلام الرئيسية و(بعض) السياسيين،[78] إلا أنه ينبع من صور وأفكار نمطية متجذّرة في عمق مؤسسات الدولة[79]. كذلك، يتوافق هذا التعصّب مع الإجراءات التي صدرت حديثاً لضبط الأمن والتحديد النمطي، كقانون توحيد وتعزيز أميركا بتوفير الأدوات المناسبة اللازمة لاعتراض الإرهاب وقمعه (قانون باتريوت) لعام 2001، وضبط الأمن المقترن بمكافحة التطرف العنيف، وسياسات الدولة المقترحة، "كحظر المسلمين" الذي دعا إليه المرشح الجمهوري للانتخابات الرئاسية الأميركية، دونالد ترامب.[80] لكن، تماشياً مع الأمثلة الواردة أعلاه عن رهاب الإسلام الفردي، ما زالت التعريفات السائدة لمصطلح رهاب الإسلام تحدّد معالم هذه الظاهرة على ضوء المصطلحات التي يستخدمها الأفراد بشكلٍ غالب.

لعلّ التعريف الأكثر شيوعاً لرهاب الإسلام، الوارد في دراسة مهمّة أجراها مركز التقدّم الأميركي، يكشف تركيزاً واضحاً على رهاب الإسلام الفردي. فتعرّف الدراسة التي حملت عنوان " Fear, Inc. " رهاب الإسلام على أنه: "الخوف والكراهية والعدائية المفرطة تجاه الإسلام والمسلمين... الناجمة عن أفكار نمطية سلبية، تؤدي إلى تحيّز، وتمييز، وتهميش المسلمين وإقصائهم عن الحياة الاجتماعية والسياسية والمدنية في أميركا."[81]

يلحظ التعريف، بشكلٍ فعال، العلاقة بين الأفكار النمطية القائمة والعداوة التي تعزّزها وتسهلها. لكنّ صياغته بهذا الشكل العمومي لا يفسّر فعلاً دور القانون، والسياسات، والجهات الفاعلة الحكومية، في إفساح المجال أمام "التحيّز، والتمييز والتهميش والإقصاء."[82] فضلاً عن ذلك، إنّ تفسير رهاب الإسلام "كخوف مفرط" يبرز التركيز على رهاب الإسلام الفردي، محددةً إياه كنشاط منحرف أو شاذ، عوضاً عن كونه سلوكاً منطقياً أو استراتيجياً يحقّق مصالح الدولة.[83]

لكنّ رهاب الإسلام الفردي لا يشمل وجهات نظر شاذة أو سلوكاً منحرفاً حصراً. فيتضمّن رهاب الإسلام أيضاً الأفكار والأنشطة المتوافقة مع الرسائل المناهضة للمسلمين التي تبعث بها سياسة الدولة اليوم على نحوٍ لاذع وصارخ، فضلاً عن أجهزة الأمن القومي التابعة للدولة والمتخصّصة في ضبط الأمن.

رهاب الإسلام الجماعي

التعريف

تعرّف هذه المقالة برهاب الإسلام الجماعي على أنه الخوف والارتياب من المسلمين من قبل المؤسسات، وتحديداً الوكالات الحكومية، الذي يظهر من خلال سنّ سياسات معيّنة والنهوض بها. ترتكز هذه السياسات على افتراض مفاده أنّ الهوية المسلمة مقترنة بتهديد يطال الأمن القومي. ومع أنّ هذه السياسات تُصاغ عادةً ضمن إطار محايد ظاهرياً إلا أنها عادةً ما تستهدف المواطنين المسلمين بشكلٍ غير متناسب،كما تعرّض حرياتهم المدنية للخطر، أو تشلّها أو تقلّصها بدرجات متفاوتة.[84]

رغم تأطير مفهوم رهاب الإسلام الجماعي كشكلٍ جديد من أشكال التعصّب، إلا أنه يسلّط الضوء في المقام الأول على أنّ رهاب الإسلام امتدادٌ حديث "للاستشراق"،[85] هذا الخطاب الرئيسي الذي يدرج الإسلام- بصفته عقيدة، وأشخاص، ودائرة جغرافية متصوّرة- كنقيض حضاريّ للغرب. من هنا، إنّ ربط رهاب الإسلام بالاستشراق، وهو الشكل المعرفي السابق الذي تفرّع عنه الصور الحديثة، المغلوطة وغير المغلوطة منها، عن المسلمين، هو خطوةٌ أساسية أولى لفهم رهاب الإسلام الجماعي. بعبارة أخرى، ما كان يمكن فهم أسس رهاب الإسلام (الحديث) ومساره، لو لم يكن من تحليل الاستشراق وفهمه.

التحليل

بعد هجمات 11/9 الإرهابية، لاحظ البروفسور ليتي فولب كيف ساهمت الهجمات الإرهابية التي شارك فيها مجرم مسلم

---

78 راجع مثلاً:

Nihad Awad, “Opinion, Obama Condemned Islamophobia in America. It's Time Republicans Did Too,” The Guardian, Dec. 7, 2015, http://www.theguardian.com/commentisfree/2015/dec/07/obama-condemned-islamophobia-republicans-should.

79 للاطلاع على استعراض شامل للأفكار النمطية الاستشراقية والسلبية المكوَّنة عن الإسلام والمسلمين والتي أثّرت على قرارات المحاكم، راجع:

Marie A. Failinger, “Islam in the Mind of American Courts: 1800 to 1960,” 32 B.C. J.L. & Soc. Just. 1 (2012). For a historical perspective, see Khaled A. Beydoun, “Between Muslim and White: The Legal Construction of Arab American Identity,” 69 N.Y.U. Ann. Surv. Am. L. 29, 37 (2014)

[المشار إليه في ما يلي بـ" Beydoun, Between Muslim and White "].

(تمّ الادعاء أنّ الهوية العربية والمسلمة كرّست الفكرة أنّ المسلمين غير متوافقين مع القيم الأميركية والتصورات السائدة لمفهوم الجنسية التي كانت تنصّ، ما بين 1790 و1952، على ضرورة اعتبار المهاجر الوافد أبيض اللون بنظر محكمة مدنية كي توافق المحكمة على تجنيسه).

80 تعمّق هذا المؤلّف في اقتراح ترامب قبلاً:

"أدينت دعوات دونالد ترامب إلى فرض حظر على المسلمين القادمين إلى الولايات المتحدة، وفي الآونة الأخيرة على القيام "بتدقيق صارم" لأيّ شخص يحاول الهجرة إلى الولايات المتحدة. فقد اعتبرت هذه الدعوات خروجاً عن تقاليد البلاد القائمة على التسامح الديني والترحيب بالمهاجرين. لكنّ اقتراحات ترامب تعكس، في الواقع، توتّرات قديمة العهد وبغيضة اتّسمت بها سياسة الهجرة الأميركية، أي تلك التي حدّت من وصول المهاجرين المسلمين العرب والجنوب آسيويين، وحظّرت عليهم نيل الجنسية حتى منتصف القرن العشرين."

81 ساهمت دراسة مؤثرة نشرها مركز التقدم الأميركي عام 2011 في تعميم المصطلح في الدوائر الإعلامية والبحثية والسياسية.

Wajahat Ali et al., “Fear, Inc.: The Roots of the Islamophobia Network in America” Center for American Progress, August 26, 2011, http://cdn.americanprogress.org/wp-content/uploads/issues/2011/08/pdf/islamophobia.pdf.

82 المرجع نفسه.

83 المرجع نفسه.

84 من الأمثلة على رهاب الإسلام الجماعي، قانون مكافحة الإرهاب وتفعيل عقوبة الإعدام لعام 1996 وقانون باتريوت اللذان استهدفا المجتمعات المسلمة بشكلٍ غير متناسب. راجع القسم 2. ب أدناه (الذي يحلّل هذه السياسات من منظور هيكلي).

85 راجع بشكلٍ عام إدوارد سعيد، الاستشراق (1979) (الذي استحدث وأطّر نظرية الاستشراق. بموجب هذه النظرية، يُعتبر الغرب المضاد والنقيض الأعلى مرتبةً للشرق الأوسط أو "الشرق"، الأدنى مرتبةً).

في "إعادة انتشار فوري للأفكار النمطية الاستشراقية"[86]. تُعتبر هذه الأفكار النمطية متجذّرة ضمن الشعبية، وبشكلٍ أبرز ضمن الذاكرة المؤسساتية للوكالات الحكومية، بما فيها السلطة القضائية[87]، ووزارة الأمن القومي في يومنا هذا، فضلاً عن أجهزة إنفاذ القوانين المكافحة للإرهاب.[88] تصف هذه الأفكار النمطية الإسلام والمسلمين كمفهوم وأشخاص غير قابلين للاستيعاب، مخرّبين، عنيفين، لديهم نزعة متأصلة نحو الإرهاب.[89] وقد نجحت في حثّ الوكالات الحكومية على سنّ سياسات- كتلك التي أبصرت النور خلال "الحرب الحالية التي طال أمدها على الإرهاب"- هدفها مراقبة المواطنين المسلمين، وملاحقتهم قضائياً، وحرمانهم من الدخول. تفترض هذه السياسات أنّ المسلمين ككلّ مذنبون، كما تقلّص من حرياتهم المدنية.

فأفسح قانون باتريوت المجال أمام درجة غير مسبوقة من التعديات الحكومية التي طالت، بصورة قانونية، "الحقوق المدنية للأميركيين من خلال... توسيع نطاق صلاحيات المراقبة الإلكترونية الخاصة بالحكومة"، مما استهدف الرعايا المسلمين على نحو غير متناسب.

صحيح أنّ عدداً من السياسات الحكومية الحديثة تندرج ضمن فئة رهاب الإسلام الجماعي، إلا أنّ قانون باتريوت (وتشريع الهجرة المرفق به)، وسياسات ضبط الأمن الناشئة ضمن إطار مكافحة التطرف العنيف، يبقيان المثالين الأبرز على ذلك. ففي أعقاب 11/9، أنشأت إدارة بوش وزارة الأمن القومي موكلةً إليها مهمّةً أساسية هي توسيع نطاق برنامجها الخاص بمكافحة الإرهاب، مع التركيز بشكل خاص على "التطرف الإسلامي"، في خطوة بلغت أوجها مع سنّ قانون باتريوت بعد شهرين على هجمات 11/9. [90] فأفسح قانون باتريوت المجال أمام درجة غير مسبوقة من التعديات الحكومية التي طالت، بصورة قانونية، "الحقوق المدنية للأميركيين من خلال... توسيع نطاق صلاحيات المراقبة الإلكترونية الخاصة بالحكومة"[91]، مما استهدف الرعايا المسلمين على نحو غير متناسب.[92]

11/9 وتوسيع نطاق رهاب الإسلام الجماعي

لا يخفى على أحد أنّ تشكيك الدولة بالأميركيين المسلمين ومراقبتها لهم بشكلٍ منهجي بدأ قبل 11/9 بوقت طويل.[93] لكن لما كان الإرهابيون مسلمون، فقد ركّزت الدولة برامجها الموسّعة الخاصة بمكافحة الإرهاب على المواطنين والرعايا الأجانب المسلمين. ومع إنشاء وزارة الأمن القومي في 25 نوفمبر 2002، [94] باتت المراقبة الإلكترونية الركن الأساسي الاستراتيجي في برنامج مكافحة الإرهاب داخلياً، خاصّةً بعد الهجمة الإرهابية الأكثر دمويةً في التاريخ الأميركي.[95] فسمح قانون باتريوت بمراقبة المواطنين وغير المواطنين عن كثب، وبالتحديد أولئك المشتبهين بارتكاب أعمال إرهابية أو بامتلاك روابط بهيئات عابرة للحدود الوطنية، مصنّفة كمنظمات إرهابية، مما شلّ جدياً النشاط الديني والسياسي للأميركيين العرب والمسلمين؛ وباتت هذه الفئات الديموغرافية تُربط روتينياً بالتهديدات التي تطال الأمن القومي. "لعلّ الضرر الأكثر الذي خلّفه القانون [باتريوت] على الحريات المدنية، لا سيما بالنسبة إلى الأميركيين العرب والمسلمين، هو خفض المعايير التي يجب أن تستوفيها أجهزة إنفاذ القوانين من أجل فحص الأشخاص وممتلكاتهم، وتفتيشهم، وتوقيفهم."[96] بعد 11/9، تمّ تضييق الرابط المحدّد بين الهوية المسلمة والإرهاب، مما أتاح للدولة تجاوز الضمانات الدستورية في حال كان المواطن مسلماً. كما قامت إدارة بوش، بالإضافة إلى توسيع نطاق قدراتها في مجال المراقبة، بإجراء إصلاحات هيكلية لوظائف الدولة في مجال الهجرة والأمن القومي، خاصّةً في ظلّ تزايد المخاوف من خطر المسلمين. وضمّت وزارة الأمن القومي الجديدة وظائف الدولة التي كانت منضوية سابقاً ضمن وكالات قائمة بذاتها، وذلك في مجال الهجرة، والجمارك، وإدارة الطوارئ.[97]

---

86 Leti Volpp, The Citizen and the Terrorist, 49 UCLA L. Rev. 1575, 1586 (2002).

87 راجع: Failinger, supra note 25, at 13-28 (يحلّل القرارات القضائية المتعلقة بالإسلام أو مسلمين، مما يظهر هيمنة مجموعة مشتركة من الأفكار النمطية السلبية). راجع بشكل عام: Beydoun, Between Muslim and White, supra note 25, at 37 (يناقش عشر حالات تجنيس تتعلق بالتماسات قدّمها مهاجرون من مناطق يغلب عليها المسلمين، مجادلاً أنّ الهوية المسلمة- أو ما يُشتبه بأنه هوية مسلمة- تضاربت مع الأفكار المركّبة السائدة عن اللون الأبيض).

88 صحيحٌ أنّ المحاكم كانت الآليات الأبرز التي اعتمدتها الدولة لنشر الأفكار الاستشراقية (والعدائية ضد المسلمين) في حقبة التجنيس (1790-1952)، إلا أنّ عصرنا هذا يعطي الأولوية لأجهزة الدولة المتخصصة في ضبط الأمن، وبشكل خاص وزارة الأمن القومي، ووزارة إنفاذ القوانين المحلية.

89 راجع: See Khaled A. Beydoun, "Islamophobia Has a Long History in the United States," BBC Magazine, Sept. 29, 2015 [hereinafter Beydoun, Islamophobia], http://www.bbc.com/news/magazine-34385051.

90 Uniting and Strengthening America by Providing Appropriate Tools Required to Intercept and Obstruct Terrorism (USA PATRIOT Act) Act of 2001, Pub. L. No. 107-56, 115 Stat. 272 (codified in scattered titles of the U.S.C. (2012)); see also USA PATRIOT Improvement and Reauthorization Act of 2005, Pub. L. No. 109-177, 120 Stat. 192 (2006) (codified in scattered titles of the U.S.C.).

91 Kevin R. Johnson & Bernard Trujillo, "Immigration Reform, National Security After September 11, and the Future of North American Integration," 91 Minn. L. Rev. 1369, 1369 (2007).

92 راجع بشكل عام: Susan M. Akram & Kevin R. Johnson, "Race, Civil Rights and Immigration Law After September 11, 2001: The Targeting of Arabs and Muslims," 58 N.Y.U. Ann. Surv. Am. L. 295, 327-45 (2002) (يناقش تأثير قانون باتريوت على الحقوق المدنية للمسلمين في أميركا).

93 يُعزى إلى قانون مكافحة الإرهاب وتفعيل عقوبة الإعدام، غالباً، أنه افتتح هذه الفترة من المراقبة المشدّدة. فشكّل هذا القانون الذي صدر عام 1996بدايةً لضبط أمن الرعايا المسلمين والمجتمعات المسلمة. أدى أحد جوانب هذا القانون إلى إجراء تحقيقات متفاوتة في الأنشطة السياسية والاجتماعية للأميركيين المسلمين، فيما ساهم جانب آخر في ترحيل المسلمين ذوي الارتباطات- الحقيقة أو الوهمية- بالأنشطة الإرهابية. Beydoun, Islamophobia, supra note 35.

94 Homeland Security Act of 2002, Pub. L. No. 107-296, 116 Stat. 2135 (codified in scattered sections of 5, 6, 18, 44, and 49 U.S.C.).

95 للاطلاع على ملخص عن هجمات 11/9، راجع:

September 11th Fast Facts, CNN (Sept. 7, 2015), http://www.cnn.com/2013/07/27/us/ september-11-anniversary-fast-facts/.

96 Heena Musabji & Christina Abraham, "The Threat to Civil Liberties and Its Effect on Muslims in America," 1 DePaul J. for Soc. Just. 83, 99 (2007).

بالإضافة إلى خوض حربين في الخارج،[98] وتوسيع نطاق المراقبة المحلية وضبط الأمن في الداخل، شهدت حقبة ما بعد 11/9 سنّ سياسة ثانية حملت عدة أوجه شبه مع قرار حظر المسلمين الذي طُبّق في عصر التجنيس. ففي يونيو 2002، أنشأ المدعي العام جون أشكروفت نظام الأمن القومي المتعلق بتسجيل حركة الدخول والخروج، وهو برنامج شامل لتتبّع المهاجرين استهدف، بشكلٍ كاد يكون حصرياً، المسلمين المهاجرين، وغير المهاجرين، والسكان المقيمين. وقد اشترط بند "التسجيل الخاص" في هذا النظام على

كافة المواطنين المراهقين والراشدين الذكور من 25 بلداً مختلفاً أن يوافقوا على أخذ بصماتهم وتسجيلهم على يد الحكومة الفدرالية وإلا يتمّ ترحيلهم فوراً إلى بلدانهم الأم. وباستثناء وحيد هو كوريا الشمالية، كانت كافة البلدان المتبقية من البلدان الخمسة والعشرين المدرجة على نشرة التسجيل الخاص إما عربية أو مسلمة.[99]

رغم حلّ نظام الأمن القومي المتعلق بتسجيل حركة الدخول والخروج عام 2011، إلا أنه أعاد الاعتبار، بشكلٍ صريح، إلى الفرضية الاستشراقية الأساسية، ومفادها أنّ المسلمين يشكّلون خطراً على الأمن القومي. فباتت الأصول الجغرافية، بالإضافة إلى العرق والدين، علامات على أرجحية وجود خطر على الأمن القومي. بالفعل، كان هذا التشريع، بدرجة أو بأخرى، شكلاً من أشكال "حظر المسلمين"، قبل اقتراح ترامب الشهير بمنع كافة المسلمين من الدخول إلى الولايات المتحدة في 7 ديسمبر 2015.[100] في هذا الإطار، يُعتبر بند "التسجيل الخاص" ضمن نظام الأمن القومي المتعلق بتسجيل حركة الدخول والخروج، شأنه شأن قانون باتريوت الصادر بعد 11/9 والذي خضع لمزيد من التدقيق والدراسة، مثالاً بارزاً على رهاب الإسلام الجماعي.

رهاب الإسلام الجماعي ومكافحة التطرف

يؤدي الخوف المتزايد من "تطرّف" المسلمين، اليوم، إلى توسيع الآليات المعتمدة حالياً لمكافحة التطرف، أو ضبط الأمن المتّصل بمكافحة التطرف العنيف.[101] وضبط الأمن ضمن إطار مكافحة التطرف العنيف هو "النموذج الناشئ من مكافحة الإرهاب وسياسات الأمن القومي التي تكتسح المدن الأميركية، لا سيّما المجتمعات حيث يتمركز سكان أميركيون مسلمون."[102] يركّز ضبط الأمن ضمن إطار مكافحة التطرّف العنيف على المسلمين بشكلٍ متفاوت، موسّعاً نطاق مراقبة الدولة لتطال المجتمعات حيث يتمركز المسلمون والمساحات التي يتجمّعون فيها (لا سيّما

> ففي يونيو *2002*، أنشأ المدعي العام جون أشكروفت نظام الأمن القومي المتعلق بتسجيل حركة الدخول والخروج، وهو برنامج شامل لتتبّع المهاجرين استهدف، بشكلٍ كاد يكون حصرياً، المسلمين المهاجرين، وغير المهاجرين، والسكان المقيمين.

المساجد).[103] مرّةً جديدة، ترتكز هذه الممارسة الحكومية على الفكرة النمطية التي أرست الأساس لها، وخلطت بين الهوية المسلمة ونقيض الحضارة، لا بل تعاملت مع الهوية المسلمة، نتيجةً لذلك، على أنها تهديد مفترض للأمن القومي.[104] ويُحاط ضبط الأمن في إطار مكافحة التطرف العنيف "بخبراء متخصصين في العملية التي يتحوّل المسلمون من خلالها إلى إرهابيين."[105] في هذا الإطار، تركّز نظرية مكافحة التطرف العنيف، على غرار قانون باتريوت، وما سبقه من تشريعات وسياسات،[106] على الرعايا المسلمين والمناطق الجغرافية الإسلامية، حصرياً، باعتبارهم مصادر مفترضة للإرهاب. جديرٌ بالذكر أنّ ضبط الأمن ضمن إطار مكافحة التطرف العنيف يُنفّذ بالتنسيق مع وزارة الأمن القومي،

97 Khaled A. Beydoun, "Between Indigence, Islamophobia and Erasure: Poor and Muslim in "War on Terror" America," 104 Calif. L. Rev. (forthcoming 2016) [hereinafter Beydoun, Between Indigence] (manuscript at 23) (on file with the Columbia Law Review)

("كرّست وزارة الأمن القومي أنظمة الهجرة والاغتراب الخاصة بالدولة، وعملت كنقطة ارتكاز لحملات المراقبة وضبط الأمن الفدرالية والمحلية التي اكتسحت البلاد ضمن إطار مكافحة الإرهاب، وبإيجاز من قانون باتريوت الأميركي." (citing USA PATRIOT Act, Pub.L. No. 107-56, 115 Stat. 272 (codified in scattered titles of the U.S.C)). راجع أيضاً: USA PATRIOT Improvement and Reauthorization Act of 2005, Pub. L. No. 109-177, 120 Stat. 192 (codified in scattered titles of the U.S.C).

98 Yaser Ali, "Shariah and Citizenship--How Islamophobia Is Creating a Second-Class Citizenry in America," 100 Calif. L. Rev. 1027, 1042-43 (2012)

(يصف اعتماد الحكومة على "خوف البلاد من هجمة أخرى من المسلمين- وأولئك الذين يشبهون "المسلمين" في مواصفاتهم" لتبرير شنّ "حربين مكلفتين في أفغانستان والعراق").

99 Arsalan Iftikhar, "Arab Americans," in Anti-Immigration in the United States: A Historical Encyclopedia, Kathleen R. Arnold ed., (Santa Barbara, Calif.: Greenwood, 2011): 40, 43.

100 Jenna Johnson, "Trump Calls for "Total and Complete Shutdown of Muslims Entering the United States," Washington Post, Dec. 7, 2015, http://www.washingtonpost.com/news/post-politics/wp/2015/12/07/donald-trump-calls-for-total-and-complete-shutdownofmuslims-entering-the-united-states/.

101 "تفترض نظرية التطرف أنّ انتقال المسلم إلى الإرهاب أمرٌ متوقع"، وبالتالي يمكن الوقاية من التطرف من خلال مراقبة الرعايا (المسلمين) الذين يُعتقد أنهم على وشك اعتماد أيديولوجية متطرفة واعتقالهم. Amna A. Akbar, "Policing "Radicalization,"' 3 U.C. Irvine L. Rev. 809, 811 (2013).

102 Beydoun, Between Indigence, supra note 43 (manuscript at 24-25).

102 Id. (manuscript at 27-30).

104 تنظر شرطة نيويورك إلى الهوية المسلمة- لا سيما المسلمين الذكور- كإشارة على التطرف. فوفقاً لشرطة نيويورك، يُعتبر المسلمون الذين يعيشون في أحياء مسلمة مغلقة في أولى مراحل التطرف الأربع: وتُعتبر كامل طبقة الأفراد مُجملة ضمن هذه البوتقة، وتشكّل بالتالي "تهديداً" محتملاً. على المستوى العملياتي، يعني تحليل شرطة نيويورك أنّ كامل السكان المسلمين الذكور الشباب تقريباً في المناطق الحضرية، المقيمين في الولايات المتحدة، يشكّلون خطراً كونهم جميعاً في مرحلة "ما قبل التطرف".

Aziz Z. Huq, "Modeling Terrorist Radicalization," 2 Duke F. for L. & Soc. Change 39, 46 (2010).

105 Akbar, supra note 47, at 817.

106 تتضمّن هذه السياسات إنفاذ قانون التجنيس عام 1790 لتجنّب تجنيس المهاجرين المسلمين. راجع بشكل عام: Beydoun, Between Muslim and White, supra note 25. راجع أيضاً إقرار قانون مكافحة الإرهاب وتفعيل عقوبة الإعدام: AEDPA, Pub. L. No. 104-132, 110 Stat. 1214 (المدوّن ضمن أقسام متفرقة 8، 18، 22، 28 و 42 (2012)) الذي أُقرّ قبل خمس سنوات من سنّ قانون باتريوت.

107 Samuel J. Rascoff, "Establishing Official Islam? The Law and Strategy of Counter Radicalization," 64 Stan. L. Rev. 125, 153-55 (2012).

ووزارات إنفاذ القوانين المحلية، ومخبرين من المجتمع المحلي،[107] ليشكّل الظاهرة الأحدث ولربما الأفظع لرهاب الإسلام الجماعي- مما يعيد نشر الأفكار المتجذرة بأنّ الإسلام متطرف في جوهره، وأنّه من الضروري مراقبة ممارسي الشعائر الإسلامية بصفتهم متطرفين محتملين، لا سيما من يمارس هذه الشعائر بشكل لافت وواضح للعيان.[108] نتيجة لذلك، يشلّ ضبط الأمن، ضمن إطار مكافحة التطرف العنيف، قدرة المسلمين الأميركيين على ممارسة إيمانهم بحرية، كما يقلّص بشكل صارم من حرية ممارسة دينهم، وحرية القول، وحقوق الخصوصية.

> يُعتبررهاب الإسلام أيضاً خطاباً جدلياً نظامياً، وسلساً، ومسيّساً بدرجة كبيرة بين الدولة والمجتمع: خطاباً تحدّد بموجبه الدولة شكل الآراء أو المواقف الشعبية المتعلقة بالإسلام والرعايا المسلمين داخل الحدود الأميركية وخارجها، وتعيد تشكيلها وتؤكّدها.

تمّت تجربة برامج ضبط الأمن الرسمية، في مجال مكافحة التطرف العنيف، في بوسطن، ولوس أنجلوس، ومينيابوليس عام 2014.[109] أما شرطة نيويورك، فقد بدأت باعتماد هذه التكتيكات منذ عام 2002، منهمكةً في التجسّس على المجتمعات المسلمة، وناشرةً المخبرين في وسطها، لا سيما في المساجد والمراكز المجتمعية ضمن منطقة الولايات الثلاث.[110] وعلى غرار قانون مكافحة الإرهاب وتفعيل عقوبة الإعدام، وقانون باتريوت، ونظام الأمن القومي المتعلق بتسجيل حركة الدخول والخروج، ترتكز الصيغة الرسمية لضبط الأمن ضمن إطار مكافحة التطرف العنيف على التصوّر بأنّ الهوية المسلمة نفسها، أو مجرّد التعبير عنها، إنما هي علامة على التطرف الفعلي أو المحتمل. في هذا الإطار، توسّع الدولة نطاق ملاحقتها للراديكاليين، ومحاولتها تحقيق هدفها المراوغ المتعلق بتحديد المسلمين العرضة للتطرف، لا سيما بعد الهجمات الأخيرة في بلجيكا، وباريس، وأورلاندو. فضلاً عن ذلك، يتوسّع كذلك نطاق الافتراض الجماعي بأنّ الهوية المسلمة وثيقة الصلة بالإرهاب، مما يوضّح حجم هذه الظاهرة ويعززها.

رهاب الإسلام كخطاب جدلي بين الدولة والمجتمع

يندرج خطاب التطرف ضمن ظاهرة رهاب الإسلام الموجودة مسبقاً في الولايات المتحدة، مما يضفي شرعيةً على المشاعر المعادية للمسلمين.[111]

رهاب الإسلام المترسّخ في الخطاب

يُعتبررهاب الإسلام أيضاً خطاباً جدلياً نظامياً، وسلساً، ومسيّساً بدرجة كبيرة بين الدولة والمجتمع: خطاباً تحدّد بموجبه الدولة شكل الآراء أو المواقف الشعبية المتعلقة بالإسلام والرعايا المسلمين داخل الحدود الأميركية وخارجها، وتعيد تشكيلها وتؤكّدها. من هنا، يركّز البعد الثالث لرهاب الإسلام على "رهاب الإسلام المترسّخ في الخطاب"، وهي العملية التي تساهم سياسات الدولة من خلالها في تشريع المفاهيم الخاطئة، والصور المشوّهة، والأفكار النمطية المتجذّرة في أذهان المواطنين العاديين.

مرّةً جديدةً، نكرّر أنّ رهاب الإسلام هو افتراض الدولة والأفراد أنّ المسلمين مذنبون. لكن ينبغي فهم ذلك كعملية أيضاً، وبالتحديد العملية التي تؤدي من خلالها سياسات الدولة، على غرار قانون باتريوت وبرامج مكافحة التطرف العنيف، إلى المصادقة على الأفكار النمطية الشعبية والمرسّخة التي تصوّر المسلمين كغرباء، وغير قابلين للاستيعاب، وميالين إلى التطرف،[112] مغذيةً عدائية الأفراد واستهدافهم العنيف للمواطنين المسلمين. تتجلى هذه العملية بشكلٍ واضح ومكثّف في أعقاب الهجمات الإرهابية، كهجمات 11/9 الإرهابية أو "تفجيرات بوسطن"[113] في أبريل 2013، وهي آونةٌ شهدت سنّ سياسات رهاب الإسلام الجماعي بشكلٍ اعتيادي، أو تعزيزها أو توسيع نطاقها.[114]

لعلّ تصديق الدولة على أفكار نمطية واسعة الانتشار عن الإسلام والمسلمين في المجتمع، من خلال إقرار برامج المراقبة، وإجراءات التحديد النمطي الديني والعرقي، وتضييق الخناق على

---

108 "يشكّل ضبط أمن المجتمعات المحلية، ضمن إطار مكافحة الإرهاب، كما هو متصوّر حالياً، نقيضاً للخطاب القائل بالتمكين وتبادل الثقة، كما يُعتبر سلاحاً آخر في عدة الحكومة الفدرالية التي تكرّس الفكرة النمطية حول "الآخر الإرهابي".

Sahar F. Aziz, “Policing Terrorists in the Community,” 5 Harv. Nat'l Security J. 147, 149 (2014).

109 Akbar, supra note 47, at 845-68

(دراسة تكتيكات ضبط الأمن الجديدة لمكافحة التطرف المعتمدة لدى أجهزة إنفاذ القوانين الفدرالية والمحلية). تركّز خطابات والإجراءات الأمنية الهادفة إلى مكافحة التطرف، بشكلٍ يكاد يكون حصرياً، على المجتمعات المسلمة التي تتقاطع أحياناً لا بل يُخلط بينها وبين مجتمعات الأميركيين العرب غالباً. المرجع نفسه. ص. 811.

110 "منذ العام 2002 على الأقل، ... نشطت [الشرطة] في التحديد النمطي الديني ومراقبة المسلمين من دون أساس يدعو إلى الاشتباه بهم، وذلك في مدينة نيويورك وما يتعداها."

“Factsheet: The NYPD Muslim Surveillance Program,” American Civil Liberties Union, http://www.aclu.org/factsheet-nypd-muslim-surveillance-program, last visited Aug. 9, 2016.

111 Akbar, supra note 47, at 876.

112 قد يشكّل القانون "في بعض الأحيان تعبيراً عن الإرادة الشعبية" منفّذاً إجراءات عقابية يدعو إليها جمهور غاضب في أوقات الأزمات.

Muneer I. Ahmad, “A Rage Shared by Law: Post-September 11 Racial Violence as Crimes of Passion,” 92 Calif. L. Rev. 1259, 1318 (2004).

113 John Eligon & Michael Cooper, “Blasts at Boston Marathon Kill 3, Injure 100,” New York Times, Apr. 15, 2013, http://www.nytimes.com/2013/04/16/us/explosions-reported-atsiteof-boston-marathon.html (on file with the Columbia Law Review).

114 عام 2014، قامت السلطات بتطبيق برامج تجريبية صارمة لضبط الأمن في مجال مكافحة التطرف العنيف في أعقاب تفجيرات بوسطن، وكذلك في لوس أنجلوس ومينيابوليس. راجع:

Shelley Murphy, “Boston to Host Anti-Extremist Pilot Program,” Boston Globe, Sept. 24, 2014, http://www.bostonglobe.com/metro/2014/09/23/boston-site-program-prevent-residents-from-joining-extremistgroups/ YpEpq2cYvlTZ6u8AFkbarL/story.html.

سياسات الهجرة، يشكّل جزءاً لا يتجزأ من رهاب الإسلام المترسّخ في الخطاب القائم. فيُعتبر هذا التبادل- الذي يمتصّ المجتمع الأوسع بموجبه الافتراضات والشكوك التي تلصقها الدولة بالمسلمين من خلال سياسات (رهاب الإسلام الجماعي) كقانون باتريوت وسياسات مكافحة التطرف العنيف، ثم تحدّد نظرتها إلى المواطنين المسلمين بما يتوافق مع التوصيفات الكامنة ضمن هذه السياسات- خطاباً جدلياً مستمراً يربط سياسات الدولة بالكراهية والعنف اللذين أطلق لهما المجتمع العنان.

تأييد الدولة لرهاب الإسلام الفردي وتعزيزها له

نزع الاهتمام الطاغي بموضوع رهاب الإسلام نحو حالات رهاب الإسلام الفردي والقصص التي تتقصّد الإثارة والضجة. على سبيل المثال، تصدّرت عناوين الصحف ومواضيع البحث أخبارٌ عن "تكثيف الدعوات إلى استبعاد اللاجئين السوريين وعزل الأميركيين المسلمين"[115]، وتجمّعات معادية للمسلمين بقيادة ناشطين متطرّفين[116]، وحرق للمساجد، [117] ومقتل ثلاثة طلاب جامعيين أميركيين مسلمين في يناير 2015 [118]. لكنّ هذا التركيز على حالات رهاب الإسلام الفردي التي تتقصّد الإثارة لا يغفل عن الخوف والريبة تجاه المسلمين فقط، وهي مشاعر تديرها الأجهزة الحكومية بشكل مبرمج، بل تتغاضى أيضاً عن العملية التي يعبّئ رهاب الإسلام الجماعي من خلالها العدائية بين الأفراد، وهو أمرٌ لا يقلّ عن الأول أهمية.

تغضّ التعريفات السائدة لرهاب الإسلام النظر عن هذه العلاقة المتداخلة بين السياسة الحكومية من جهة والآراء المكوّنة عن المسلمين (والإسلام) والمتأثرة بالانطباعات من جهة أخرى. فعلى غرار أشكال التعصّب الأخرى، يتكوّن رهاب الإسلام بتأثيرٍ من الصور التي تروّج لها وسائل الإعلام،[119] والخطاب السياسي والرسائل السياسية،[120] لا بل البرامج والسياسة الحكومية وهنا الأهم. بالفعل، بلغ هذا التطوّر السريع لبرامج رهاب الإسلام الجماعي ذروته الثانية مع سياسة مكافحة التطرف العنيف، بعد خمسة عشر عاماً على هجمات 11/9، مما أوصل إلى المجتمع الأوسع رسالة مفادها أنه يجب النظر إلى الإسلام بعين الشك.

فجعل هذا الأمر من المسلمين والأميركيين المسلمين، في أفضل الحالات، تهديدات محتملة، وفي أسوئها إرهابيين في عقر دارنا.

لاحظ الأستاذ منير أحمد، في كتابه "غضب مشرّع بحكم القانون" الذي ألّفه في أعقاب هجمات 11/9 الإرهابية، ما يلي:

> على غرار مرتكبي جرائم ما بعد 11 سبتمبر، تدّعي الدولة أنّ لها علاقة وطيدة مع الأمة...

في الواقع، في اللحظات التي يتمّ فيها توسيع نطاق رهاب الإسلام الجماعي بحجة معالجة ما يُعتقد أنه تطرف إسلامي، كتهديد تنظيم الدولة الإسلامية والتطرف الناشئ في الداخل، تساهم سياسات رهاب الإسلام في إذكاء انفعالات كارهي الإسلام وحثهم على العنف ضدّ المواطنين المسلمين أو المؤسسات الإسلامية، باسم الانتقام والمواطنة والوطنية.

> فضلاً عن ذلك، زعمت الدولة أنها تتصرف باسم ضحايا الهجمات الإرهابية، مستحضرةً ذكراهم كتبرير لمجموعة واسعة من سياسات مكافحة الإرهاب... وعبر سياسات التحديد النمطي العرقي التي اعتمدتها الدولة،
>
> وقوانين الهجرة التي نفّذتها وفق اعتبارات عرقية... اعتبرت أنّ جميع الأشخاص الذين "يشبهون المسلمين" هم إرهابيون، منفّذةً أعمالاً انتقامية ضدّهم"[121]

استمرّ هذا الخطاب نفسه بعد هجمات باريس، وسان برناردينو، وبلجيكا[122]، وأورلاندو، حيث دفع رهاب الإسلام الفردي المكثّف بالدولة إلى توسيع نطاق برامج مكافحة التطرف العنيف. ولعلّ القوانين التي أُقرّت بعد 11/9، يلي ذلك إجراءات المراقبة والتحديد النمطي التي صيغت بدقة بحيث تمتدّ حتى يومنا هذا، خلّفت دلالات جمّة على المجتمع الأميركي. فقد أعاد هذا الأخير نشر أفكار نمطية استشراقية راسخة في العمق روّجت للإسلام كنقيض حضاري للحضارة الأميركية، وللمسلمين كأصحاب

115 Shirin Sinnar, “Opinion, Preparing American Muslim Daughters for What Awaits,” Mercury News, Nov. 25, 2015, http://www.mercurynews.com/opinion/ci_29156471/shirinsinnarpreparing-american-muslim-daughters-what-awaits.

116 Justin Wm. Moyer, “Armed Anti-Muslim Protestors Stage “Strange” Protest Outside Mosque in Clock Kid's Hometown,” Washington Post, Nov. 23, 2015, http://www.washingtonpost.com/news/morning-mix/wp/2015/11/23/armed-anti-muslim-protestersstagestrange-protest-outside-mosque-in-clock-kids-hometown/.

117 Sarah Parvini, Man Sentenced to 6 Years in Prison for Coachella Valley Mosque Arson, L.A. Times (Mar. 1, 2016), http://www.latimes.com/local/lanow/la-me-ln-coachellamosquefire-sentencing-20160301-story.html [http://perma.cc/9RXX-Q8B7].

118 Three Muslim Students, supra note 18.

119 راجع بشكلٍ عام: Jack G. Shaheen, Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People (Northhampton, Mass.: Olive Branch Press, 2001) (يقدّم لائحةً تاريخيةً شاملةً بالصور المضللة التي تروّج لها السينما والتلفزيون للهوية العربية، والشرق الأوسطية، والشمال أفريقية، والمسلمة)؛ Jack G. Shaheen, The TV Arab (Bowling Green, OH.: Bowling Green State University Popular Press, 1984) (يقدّم لائحةً أساسية بالصور المضللة للأميركيين المسلمين والعرب التي ظهرت على التلفزيون في أوائل الثمانينيات).

120 للاطلاع على مراجعة وتحليل شاملين لخطاب رهاب الإسلام واستراتيجيته التي طغت على السباق الرئاسي لعام 2016، راجع: Bridge Initiative, Islamophobia in the 2016 Elections, supra note 12, at 2.

121 Ahmad, supra note 58, at 1319.

122 “Victims of the Brussels Attack,” BBC News, April 15, 2016, http://www.bbc.com/news/world-europe-35880119.

طباع عنيفة وأشخاص لا يمكن استيعابهم في المجتمع.[123] وعوضاً عن الطعن في هذه الأفكار النمطية، تقوم برامج المراقبة العرقية والدينية بتعزيزها وتثبيتها، مما يؤكد لكارهي الإسلام الأفراد أنّ مخاوفهم وشكوكهم وغضبهم أمرٌ مبرّر. في الواقع، في اللحظات التي يتمّ فيها توسيع نطاق رهاب الإسلام الجماعي بحجة معالجة ما يُعتقد أنه تطرف إسلامي، كتهديد تنظيم الدولة الإسلامية والتطرف الناشئ في الداخل، تساهم سياسات رهاب الإسلام في إذكاء انفعالات كارهي الإسلام وحثهم على العنف ضدّ المواطنين المسلمين أو المؤسسات الإسلامية، باسم الانتقام والمواطنة والوطنية.[124]

بالفعل، يمكن اعتبار برامج وسياسات رهاب الإسلام الجماعي أيضاً كدعوات (كامنة) إلى التحرّك، وكأنها تنبّه المواطنين الأفراد إلى ضرورة أخذ حذرهم من المتطرفين المسلمين الفعليين والمحتملين، دافعة إياهم إلى التصرّف. بناءً عليه، يمسي رهاب الإسلام المترسّخ في الخطاب تجسيداً ثالثاً لكيفية تسلل رهاب الإسلام إلى مجتمعنا. كما يُظهر كيف تتفاعل سياسات الدولة مع مشاعر العدائية لدى الأفراد- تلك المتجذرة في تعابير وأفكار نمطية تُستخدم منذ قرون طويلة والمجسّدة من خلال "الحرب على الإرهاب"- بهدف تغذية النفور نحو المسلمين والعنف ضدهم.

نشر التعريف على نطاق واسع

يشهد حاضرنا اليوم أعلى درجات من الخلاف والانقسام في ما يتعلق بفهم الدولة والجمهور للهوية الأميركية المسلمة. من جهة أخرى، من الملاحظ أنّ الصورة المكوّنة عن الإسلام تتأثر بالانطباعات الاستشراقية إلى حدٍّ كبير، وأنه غالباً ما يوصف بمصطلحات عنصرية بقدر الدينية منها. لكنّ طريقة فهم الدولة للإسلام (والمسلمين) تطوّرت في السنوات الأخيرة، ومردّ ذلك، بشكلٍ جزئي، إلى سياسات الأمن القومي المنصبة على منع التطرف.[125] ومع أنّ النظرة الشعبية والهيكلية تجاه المسلمين ما زالت ترتكز على أفكار نمطية من الفصيلة نفسها (دعاة عنف وحروب[126]، أجانب، خارجين عن السيطرة ومشاغبين، "أعداء ينتمون إلى عرق آخر"[127])، فإنّ هذا التباين في وجهات النظر الذي تتّسع فجوته بشكلٍ تدريجي يتطلّب اعتماد تعريف لرهاب الإسلام يمكّن من فهم أشكاله المتعدّدة وبالتالي الحذر منها.

لما كان كارهو الإسلام الأفراد يتصوّرون المسلمين عادةً باستخدام مصطلحات عنصرية شاملة أكثر مما ينبغي، أو ذات صلة بالحضارة الإسلامية حصراً، فيجدر باستراتيجيات مكافحة هذا النوع من العدائية أن تستهدف لا المجتمعات المسلمة فحسب، بل تلك التي يُعتقد، عن طريق الخطأ، أنها مسلمة أيضاً. على سبيل المثال، يعتقد كارهو الإسلام الأفراد عادةً أنّ الرجال الأميركيين السيخ مسلمون، فيمسي هؤلاء إذاً من الضحايا الأكثر ضعفاً واستهدافاً من قبل رهاب الإسلام الفردي.[128] بالفعل، باتت عمامة السيخ نفسها هدفاً أساسياً من أهداف كارهي الإسلام الذين "يفترضون عن طريق الخطأ أنّ تلك العمامات رمزٌ على تديّن وإيمان راسخ بالعقيدة الإسلامية."[129] فيستوفي الرجال السيخ، بعمائمهم ولحاهم وبشرتهم السمراء، الصورة الكاريكاتورية المرسومة عن "الإرهابي المسلم" أكثر مما يفعل معظم الرجال المسلمين أنفسهم، مما أدى إلى إجراء تحديد نمطي لهذه المجموعة بالذات، وارتكاب جرائم كراهية، وعمليات قتل مستهدف.[130]

فضلاً عن ذلك، غالباً ما يتمّ الخلط بين الجنوب آسيويين، واللاتينيين، والسود[131]، والرجال والنساء ثنائي العرق وغير المسلمين من جهة والهوية المسلمة من جهة أخرى. نتيجةً لذلك، يهدّد رهاب الإسلام الفردي غير المسلمين، إلى جانب المسلمين الممارسين لشعائرهم الدينية، مما يتطلّب اعتماد تعريف وهيكلية

123 راجع: Volpp, supra note 32, at 1586 (الذي يجادل بأنّ الأفكار النمطية تصنّف الحضارات الأخرى كـ"بدائية، ووحشية، واستبدادية").

124 راجع: Ahmad, supra note 58, at 1323-24 (الذي يجادل بأنّ "ممارسة الدولة لسلطاتها" بعد 11/9 يقدّم شرعيةً لأعمال العنف الفردية المنفّذة ضد العرب والمسلمين والجنوب آسيويين).

125 يُعتبر تطوّر طريقة فهم الدولة للإسلام والمسلمين، بدرجة كبيرة، نتيجةً لتطوّر مصالحها - وبالتحديد في ما يتعلق بالدفع باتجاه تطبيق برامج لمكافحة التطرف. على وجه التحديد، تطوّرت طريقة فهم الدولة للتشعبات الطائفية في الإسلام، يدلّ على ذلك ربطها "التطرف" بالتقاليد الإسلامية السلفية وبناء الائتلافات الاستراتيجية مع المسلمين الذين يرفضون هذا التقليد. بالفعل، فهمت الجهات الفاعلة ضمن الدولة أنّ التطرف هو "ظاهرة سنية". غير أنّ هذا التطوّر الضيّق النطاق للإسلام لم يؤثّر على الأفكار النمطية الأساسية للإسلام والمسلمين، أي تلك التي تحدّد شكل سياسات الدولة، بل على العكس يُعتبر، هذه المرة أيضاً، أكثر تأثراً بمصالح الدولة. راجع بشكلٍ عام:

generally Mitchell D. Silber & Arvin Bhatt, NYPD Intelligence Div., "Radicalization in the West: The Homegrown Threat" (2007), http://eurabia.parlamentnilisty.cz/UserFiles/ document/NYPD.pdf

(يحدّد إطار نظرية التطرف التي اعتمدتها وزارة الأمن القومي، تلك التي تشرف على تنفيذ استراتيجية إنفاذ القوانين في مجال مكافحة التطرف في الولايات المتحدة).

126 Beydoun, Between Muslim and White, supra note 25, at 47-48.

127 John Tehranian, White Washed: America's Invisible Middle Eastern Minority (New York: New York University Press, 2009): 68-72; see also John Tehranian, "Performing Whiteness: Naturalization Litigation and the Construction of Racial Identity in America," 109 Yale L.J. 817 (2000).

كان هذا أول مقال في مجلة قانونية يركّز حصراً على التماسات المهاجرين من العالم العربي والشرق الأوسط، مؤكّداً أنهم يندرجون ضمن التعريف المتعارف عليه للبياض، مع العلم أنّ هذا كان شرطاً أساسياً للتجنيس بين 1790 و1952. تُبرز هذه الالتماسات المتعلقة بعملية التجنيس التعابير الدينية والثقافية التي كان هؤلاء المهاجرون يواجهونها في الإجراءات المدنية.

128 "وقع الأميركيون السيخ بشكلٍ خاص ضحية التمييز وجرائم الكراهية، بعد الاعتقاد أنهم عرب أو مسلمون. ويسود هذا الاعتقاد لا بسبب عمائمهم فحسب، بل بسببٍ لحاهم الطويلة أيضاً، وكلا الأمرين رمزان دينيان من رموز السيخ."

Vinay Harpalani, "DesiCrit: Theorizing the Racial Ambiguity of South Asian Americans," 69 N.Y.U. Ann. Surv. Am. L. 77, 162 (2015).

129 Amardeep Singh, "The New Wave of Islamophobia: Being Sikh or Muslim in the Age of Donald Trump," Salon, January 3, 2016, http://www.salon.com/2016/01/03/the_new_wave_of_islamophobia_being_sikh_or_muslim_in_the_age_of_donald_trump/

130 يثبت مقتل بالبير سنغ سودي، وهو صاحب محطة وقود في أريزونا، بعد أيام على هجمات 11/9 الإرهابية، حجم الخلط النمطي بين الرجال السيخ والإرهابيين المسلمين، ووقوعهم ضحية ذلك بعد الأزمة.

Tamar Lewin, "Sikh Owner of Gas Station Is Fatally Shot in Rampage," New York Times, Sept. 17, 2001, http://www.nytimes.com/2001/09/17/us/sikh-owner-of-gas-station-is-fatally-shot-in-rampage.html (on file with the Columbia Law Review); see also Tiffani B. Figueroa, "'All Muslims Are like That": How Islamophobia Is Diminishing Americans' Right to Receive Information," 41 Hofstra L. Rev. 467, 483 (2007)

131 "عندما أسافر أنا وأبنائي، غالباً ما يحسبون أننا عرب أو مسلمين."

Adrien Katherine Wing, "Civil Rights in the Post-9/11 World: Critical Race Praxis, Coalition Building, and the War on Terrorism," 63 La. L. Rev. 717, 722 (2003). Professor Adrien Wing is a Black law professor with five Black sons. Id. at 720.

عمل يوفّران الحماية، والمناصرة، وبناء الائتلافات بين أشخاص من شتى الانتماءات الدينية.

هذا من جهة. أما من جهة أخرى، فتلتزم برامج مكافحة رهاب الإسلام الجماعي الناشئة بمراقبة المسلمين استناداً إلى اعتبارات دينية أساساً. فكما هو مبيّن في القسم 2، تنظر سياسة ضبط الأمن، ضمن إطار مكافحة التطرف العنيف، إلى التطرف وفق اعتبارات دينية أو سياسية بدرجة كبيرة. فتكوّن الدولة رأيها بشأن من أو ما يشكّل تهديداً، استناداً إلى ما تلاحظه من آراء دينية محافظة أو متطرفة، وسياسات شاذّة منتهجة، أو انتماءات طائفية، أو تعبير بارز عن الإيمان، فضلاً عن عوامل أخرى[132]. بسبب هذا التركيز على الممارسات الدينية، من الأرجح أن تكون مجموعة الأهداف المحتملة لرهاب الإسلام الجماعي أصغر بكثير من تلك التي يستهدفها رهاب الإسلام الفردي. فضلاً عن ذلك، مع ترسيخ الدولة التزامها بضبط الأمن بموجب برامج مكافحة التطرف العنيف، وتوسيع نطاق ذلك، من الأرجح تضييق نطاق رهاب الإسلام الجماعي أكثر أكثر، بحيث ينحصر بمجموعات أميركية مسلمة ومناطق جغرافية محدّدة، تُعتبر أكثر اقتراناً بالتطرف.

نتيجةً لذلك، يجب أن تصبّ التدخلات البحثية والعملية المعنية برهاب الإسلام الجماعي تركيزها على الخطوط الدينية والسياسية العريضة التي ترتكز عليها الدولة لتحديد الإرهابيين المسلمين والتهديدات الراديكالية.[133] فمن شأن نشر تعريف رهاب الإسلام من منظور هيكلي وجماعي، كما هو وارد في الجزء 1، أن يميّز بين النظرة الحكومية والنظرة الفردية إلى المواطنين المسلمين وطريقة مراقبتهم وضبطهم؛ وليس هذا فحسب، بل سيمكّن ذلك أيضاً من إجراء تحليل أكثر دقة وانتظاماً لهذا النوع من رهاب الإسلام.

أخيراً، أحاول، من خلال تعريفي، أن أدكّ الجدار التحليلي القائم بين رهاب الإسلام الفردي والجماعي، ذلك التي يكرّس رهاب الإسلام الجماعي كشكل مشروع من أشكال رهاب الإسلام. فلا يخفى على أحد أنّ الخطاب الشعبي واللحظة السياسية الراهنة قد رسّخا فهماً عاماً لرهاب الإسلام بصفته عنفاً فردياً منحرفاً عن القوانين، فقط لا غير. وبالتالي، يُنظر إلى سياسات الدولة وتدابير ضبط الأمن التي تستهدف المسلمين كأمرٍ منفصل ومختلف عن موجة الكراهية التي تكتسح الولايات المتحدة. ولا ريب في أنّ هذا التأطير المحدود يقلّص من فعالية الجهود الشعبية والسياسية والقانونية لمكافحة رهاب الإسلام؛ وحريّ بتلك الجهود أن تتعمّق في أدوار الدولة المتعدّدة للنهوض بسياسات رهاب الإسلام وتمكين العنف المرتكب من قبل الأفراد.

لا يخفى على أحد أنّ التعصب المعقّد والمتعدّد الأبعاد يتطلّب صياغة مفهوم لا يقلّ عنه تعقيداً وتعدّديةً في الأبعاد. وهذا بالضبط ما حاول هذا البحث أن يوفّره. فمن شأن التعريف الذي يشمل رهاب الإسلام المرتكب من قبل أفراد، ودور الدولة، وذلك الخطاب الجدلي السلس بين الاثنين، أن يزوّد المناصرين والباحثين بإطار عمل يفهمون من خلاله مختلف أبعاد رهاب الإسلام بشكلٍ أفضل، فيفصّلون بالتالي التدخلات المناسبة للتصدي له.

الخاتمة

يسعى هذا البحث إلى تزويد الباحثين في المجال القانوني بتعريف دقيق وشامل لرهاب الإسلام، بغية المضي قدماً في إجراء الأبحاث القانونية المرتكزة على هذا الشكل المتزايد من العدائية. فضلاً عن ذلك، من خلال تسليط الضوء على الأبعاد الثلاثة لرهاب الإسلام، وكيفية عملها بشكلٍ مستقل ومشترك، يسعى هذا البحث إلى تسهيل تنفيذ تدخلات عملية ضدّ سياسات الدولة التي تنتهك حريات المسلمين المدنية، والتصدي لجرائم الكراهية والعنف المرتكب من قبل الأفراد ضد المسلمين والمواطنين الذين توحي هيئتهم أنهم مسلمون.

ومع أنّ النقاشات التي تشكّك في فعالية مصطلح رهاب الإسلام والتعريفات المرتبطة به ما زالت مستمرة، إلا أنّ "رهاب الإسلام" اكتسب ثقلاً واسعاً في الخطاب العام، وعليه، يُعتبر المصطلح الأشهر والأكثر إيجازاً المستخدم اليوم لوصف الإجحاف والتمييز" ضدّ المسلمين.[134] بالفعل، لعلّ استخدام هذا المصطلح بشكلٍ متزايد في المساحات الشعبية والبحثية يخلّف أصداءً إيجابية تفوق ما يُنسب إليه من قيود، لا سيما في ما يتعلق بتصوير العدائية ضد المسلمين كـ"رهاب"، مما قد يؤدي

132 راجع: Akbar, supra note 47, at 833-35 (حيث يتحدث عن تقرير بارز صادر عن شرطة نيويورك يصف عوامل مختلفة يُعتقد أنها مرتبطة بالتطرف، ومنها "الحج إلى مكة"، و"إطلاق لحية" و"تسديد رهن المنزل كاملاً لأنّ الإسلام يحرّم دفع الفوائد على القروض" (تعديلات على النص الأصلي) (مقتطف من: Silber & Bhatt, supra note 71, at 59)).

133 راجع: المرجع نفسه ص. -833 44 (محاولة "معالجة حدود" تقرير التطرف الصادر عن شرطة نيويورك).

134 Bridge Initiative, The Right Word, supra note 6.

إلى تصنيف هذه العدائية بالمنحرفة وغير المنطقية، عوضاً عن اعتبارها منهجيةً واستراتيجية.[135] لكن بالكاد يمكن القول إنّ هذه الانتقادات تنحصر برهاب الإسلام . فقد كانت سهامها موجهةً في ما مضى نحو مصطلحات "معاداة السامية"، و"رهاب المثليين" وغيرها من "الأوصاف المتعارف عليها" التي تسعى إلى تفسير أنظمة التعصّب المعقدة، والسلسة، والمتعدّدة الأبعاد على نحو استراتيجي.[136]

يجب استبدال البحث عن المصطلح الأمثل بمحاولة تفصيل أداةٍ أقوى، وبالتحديد إيجاد تعريف دقيق وشامل لرهاب الإسلام: تعريف يكشف عن أبعاده الهيكلية، ويدرس كيف تقوم جهات خاصة بشنّه، كما يحلّل التداخل الحيوي بين المؤسسات والأفراد. وتعتبر الحاجة إلى هذه الأداة ملحّةً، اليوم أكثر مما مضى، في وقتٍ يسيطر فيه رهاب الإسلام ومجسّاته الخطرة على خطابنا، ويروّج المرشحون الرئاسيون لفرضيات حظر المسلمين ونشر قوات الشرطة في الأحياء المسلمة،[137] فيما تستمر جرائم الكراهية بالارتفاع، فضلاً عن مراقبة المجتمعات الأميركية المسلمة بغرض مكافحة التطرف. قد يكون رهاب الإسلام مصطلحاً ناقصاً فعلاً، لكنه ما زال يَظهر كأداة قوية لتوسيع نطاق الفهم، والمناصرة، والتدخلات القائمة على الفكر التي تكافح عدائية الدولة والمجتمع تجاه المسلمين وأولئك الذين توحي هيئتهم أنهم مسلمون.

135 Singh, The Death of Islamophobia, supra note 5.

136 المرجع نفسه، راجع: Bridge Initiative, The Right Word, supra note 6 ("تُعتبر كلمات مثل "معاداة السامية" و"العنصرية" و"رهاب المثليين"- وكلها لديها مشاكل على صعيد اللغة أو المفهوم- أوصافاً متعارف عليها... فلم يعد لدى الأكاديميين والجمهور بشكل عام هواجس في ما يتعلق بنواقص هذه المصطلحات لغوياً، بل باتوا يستخدمونها دونما قيود لتحديد أنماط الإجحاف والتمييز ضد الفئات المذكورة").

137 Khaled A. Beydoun, "Ted Cruz Has Already Won: His Absurd Plan the Police Muslim Is Already Happening," Salon, Mar. 26, 2016, http://www.salon.com/2016/03/26/ted_cruz_has_already_won_his_absurd_plan_to_police_muslims_is_already_happening/.

مكافحة التطرّف العنيف: الإضرار بالحقوق المدنية والمجتمعات المحلية بناءً على أمل زائف بالنجاح

منار وحيد

الاتحاد الأميركي للحريات المدنية

مقدّمة

لطالما كانت برامج مكافحة التطرف العنيف موجودة في الولايات المتحدة وخارجها، وبالتحديد منذ سنوات عديدة. وكانت النسخة الأميركية من هذه البرامج قد تبلورت، بدرجة كبيرة، على ضوء برنامج الوقاية في المملكة المتحدة، هو الذي نال نصيبه من التشهير وسوء السمعة بسبب عدم فعاليته ووصمه المجتمعات المسلمة.[138] اعتُبر البرنامج الأميركي لمكافحة التطرّف العنيف مثيراً للمشاكل وغير مثمر، يُلحق الوصم بمجتمعاتٍ محلية ويقصيها، مهدّداً حقوقها المدنية والإنسانية.[139]

في الولايات المتّحدة، بدا هدف الحكومة المزعوم جديراً بالثناء للوهلة الأولى: أي الوقاية من العنف من خلال تعزيز المجتمعات المحلية.[140] لكنّ المبادرات نفسها ترتكز، للأسف، على نظريات غير علمية وفاقدة للمصداقية، تستهدف المجتمعات المسلمة بشكلٍ ظالم، منتهكةً حقوقها الدستورية.

ولا يخفى على أحد أنّ هذه المخاوف قد نمت في ظلّ الإدارة الحالية. فقد ساهم التمييز المتزايد ضد المسلمين، من خلال مجموعةٍ متنوعة من السياسات، في استشراء المضايقات والهجمات ضدّ مجتمعاتهم. نتيجةً لذلك، بات استهداف المجتمعات المسلمة، من خلال مبادرات مكافحة التطرف العنيف، عاملاً أكثر خطورة ساهم في ترسيخ هذه البيئة. بالفعل، اتّخذت إدارة ترامب من التشهير بالمجتمعات المسلمة ووصمها ركناً أساسياً من أركان أجندتها. بطبيعة الحال، يؤدي تقويض الثقة بالمجتمعات المحلية إلى نشوء بيئة غير مشجّعة على التواصل مع الحكومة أو الإبلاغ عن الجرائم. وعندما يمتنع الأفراد عن الإبلاغ عن الجرائم، كالتحرّش، أو العنف الأسري، أو الاعتداءات، تمسي مجتمعات بأكملها أقل أماناً. فتكون النتيجة أنّ هيكلية برامج مكافحة التطرف العنيف، المتّسمة بإشكاليتها في المقام الأول، ستضرّ بسلامة المجتمعات، وتؤثّر سلباً على محاولات تعزيزها، من دون أن تكون فعالةً في الوقاية من العنف.

الوضع الراهن

عام 2011، أطلق البيت الأبيض "خطة التطبيق الاستراتيجية لتمكين الشركاء المحليين من منع التطرف العنيف في الولايات المتحدة."[141] وقد ورد في الخطة أنها تسعى إلى منع المتطرّفين العنيفين ومناصريهم من "الإيحاء إلى الأفراد أو المجموعات في الولايات المتحدة بارتكاب أعمال عنف، أو تحويلهم إلى التطرف، أو تمويلهم، أو تعبئتهم."[142] تعزيزاً لهذا الهدف، أعلنت الحكومة عن مبادرتها لمكافحة التطرف العنيف عام 2014. فسعت قمة مكافحة التطرف العنيف التي نظمها البيت الأبيض إلى النهوض بتلك الجهود في 2015 [143]، ومجدداً عام 2016، مع إنشاء وزارة الأمن القومي الأميركية فرقة عمل خاصة بمكافحة التطرف

138 راجع:

Communities and Local Government Committee, "Preventing Violent Extremism," House of Commons, Sixth Report of Session 2009-2010 (2010), https://publications.parliament.uk/pa/cm200910/cmselect/cmcomloc/65/65.pdf.

139 راجع مثلاً:

Daniel Hurst, "Refugees May Face Monitoring and Further Restrictions, Leaked Document

Suggests," The Guardian, Feb. 4, 2016, https://www.theguardian.com/australia-news/2016/feb/05/refugees-may-face-monitoring-further-restrictions-leaked-document; David Batty, "Prevent Strategy "Sowing Mistrust and Fear in Muslim Communities,"' The Guardian, Feb. 3, 2016 https://www.theguardian.com/uk-news/2016/feb/03/prevent-strategy-sowing-mistrust-fear-muslim-communities; Christopher Werth, "British Efforts to Curb Islamic Radicalization Seen as Ineffective," L.A. Times, Dec. 4, 2014, http://www.latimes.com/world/europe/la-fg-britain-terrorism-bill-20141204-story.html; Shalailah Medhora, "Turnbull Defends anti-Extremism Programs Despite No Proof They Work," The Guardian, Nov. 24, 2015, https://www.theguardian.com/australia-news/2015/nov/24/turnbull-defends-anti-extremism-programs-despite-no-proof-they-work.

140 راجع بشكلٍ عام:

Office of the President, "Strategic Implementation Plan for Empowering Local Partners to Prevent Violent Extremism in the United States," The White House (Dec. 2011), https://obamawhitehouse.archives.gov/sites /default/files/sip-final.pdf.

144 المرجع نفسه.

142 المرجع نفسه، 1-2

143 Office of the President, "Fact Sheet: The White House Summit on Countering Violent Extremism," The White House, Feb. 18, 2015, https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/2015/02/18/fact-sheet-white-house-summit-countering-violent-extremism.

العنيف، من أجل تنسيق الجهود الحكومية ونسج الشراكات تحقيقاً لتلك الأهداف.[144] لكن في الفترة المتبقية من تطبيق إدارة أوباما لمبادرات مكافحة التطرف العنيف المزعومة هذه، ازدادت مخاوف المنظمات والمجتمعات حيال التهديدات التي طالت الحقوق الأساسية، وانقسام المجتمعات المحلية، وتقويض العلاقات مع أجهزة إنفاذ القوانين، وإلقاء ظلال من الشك على مجتمعات كاملة من دون أي مبرّر.

> لكنّ التركيز على هذه العلاقات بصفتها الحلّ لمشكلة الإرهاب أو التطرف أوجد علاقات تمّ بموجبها النظر إلى المجتمعات المسلمة من منظور إنفاذ القوانين بشكلٍ أساسي. وسرعان ما أصبح من الواضح أنّ هذه البرامج كانت مدخلاً إلى فرض مراقبة لا مبرر لها من قبل أجهزة إنفاذ القوانين.

سعت هذه المبادرات إلى معالجة مشكلة الإرهاب أو "الإرهاب الناشئ في الداخل" من خلال نسج علاقات بين القادة المحليين والدينيين وأجهزة إنفاذ القوانين، وغيرهم. لكنّ التركيز على هذه العلاقات بصفتها الحلّ لمشكلة الإرهاب أو التطرف أوجد علاقات تمّ بموجبها النظر إلى المجتمعات المسلمة من منظور إنفاذ القوانين بشكلٍ أساسي. وسرعان ما أصبح من الواضح أنّ هذه البرامج كانت مدخلاً إلى فرض مراقبة لا مبرر لها من قبل أجهزة إنفاذ القوانين. على سبيل المثال، ضمن إطار هذه الجهود، طلبت وكالات إنفاذ القوانين من المعلّمين ومزوّدي الخدمات الاجتماعية والعقلية، أو بالأحرى اشترطت عليهم، مراقبة الأطفال الذين يتولون رعايتهم والمعرّضين لخطر التحوّل إلى "متطرّفين"[145]، وهو مصطلح مبهم وعام جداً. فوفقاً لتوجيهات المركز الوطني لمكافحة الإرهاب، يجب أن يقيّم المعلّمون والعاملون الاجتماعيون التلاميذ استناداً إلى مقياس من خمس نقاط، مستخدمين عوامل مثل "التصوّر بالتعرض لمعاملة غير عادلة"، أو التعبير عن "اليأس والعبثية"، و"التماهي مع هوية مجموعة معيّنة (وفقاً للعرق، أو الجنسية، أو الدين، أو الإثنية)".[146]

كما أصدر مكتب التحقيقات الفدرالي موقعاً إلكترونياً جديداً عام 2016، موجّهاً نحو المعلّمين، والأهل، والمراهقين، طالباً من المستخدمين الإبلاغ عن الأشخاص الذين تظهر عليهم "علامات تحذيرية" بارتكابهم أعمال عنف.[147] وقدّم الموقع أمثلةً عن ذلك، كالتقاط صورٍ للمباني أو التحدّث عن الرغبة في السفر إلى أماكن "تبدو مشبوهة".[148] كما طبّقت الحكومة مبادرات تجريبية محلية لتحقيق تلك الأهداف في بوسطن، ولوس أنجلوس، ومينيابوليس.[149] اتّبعت هذه المبادرات ممارسات المراقبة نفسها للطلاب الذين يُزعم أنهم يمثّلون تهديداتٍ متنامية بناءً على هذه العوامل العادية. على سبيل المثال، طُلب من موظّفي المدارس في مينيابوليس مراقبة التلاميذ في قاعة الغداء وبعد انتهاء الدوام المدرسي لتحديد علامات على معتقدات متطرفة،[150] وفي بوسطن، طُلب من وكالات إنفاذ القوانين ومؤسسات الخدمات الاجتماعية وخدمات الصحة العقلية إنشاء "قنوات اتصال رسمية وغير رسمية" للإبلاغ عن هذه التهديدات، أو تحسينها.[151]

خلال السنة الأولى من ولاية إدارة ترامب، طرأت بعض التغييرات على مبادرات مكافحة التطرف العنيف الخاصة بالحكومة، مع أنه لا يزال يتعيّن عليها صياغة استراتيجية عامة بهذا الشأن. فتشير التقارير الأولية إلى أنّ الإدارة قد تصرف النظر عن مبادرات مكافحة التطرف العنيف القليلة التي تركّز على غير المسلمين، وتركّز عوضاً عن ذلك، وبشكل صريح، على استهداف المجتمعات المسلمة ومراقبتها، مع احتمال إعادة تسمية هذه البرامج "بمكافحة التطرّف الإسلامي العنيف" أو "مكافحة التطرف الإسلامي الراديكالي".[152] ورغم انحسار التقارير القائلة بإعادة تسمية هذه البرامج بحيث تستهدف المسلمين بشكل صريح، تستمر الحكومة بربط التطرف، على نحو يكاد يكون حصرياً، بالمسلمين والإسلام، مما يكشف بالتالي عن نواياها بوضوح.

فضلاً عن ذلك، صعّدت إدارة ترامب نهجها المرتكز على مكافحة الإرهاب وإنفاذ القوانين الذي تعتمده في التعامل مع المجتمعات المسلمة، مستخدمةً آلية مكافحة التطرف العنيف كواحدةٍ من أدواتها. على وجه التحديد، أعيد توزيع منح مكافحة التطرف العنيف التي سبق وتمّ تخصيصها لجهات معيّنة، بحيث

144 "Press Release, Countering Violent Extremism Task Force," Dep't of Homeland Security, Jan. 8, 2016, https://www.dhs.gov/news/2016/01/08/countering-violent-extremism-task-force.

145 راجع:

Federal Bureau of Investigation, Office of Partner Engagement, "Preventing Violent Extremism in Schools," January 2016, https://info.publicintelligence.net/FBI-PreventingExtremismSchools.pdf.

146 راجع:

Murtaza Hussain, Cora Currier, and Jana Winter, "Is Your Child a Terrorist? U.S. Government Questionnaire Rates Families At Risk for Extremism," The Intercept, Feb. 9, 2015, https://theintercept.com/2015/02/09/government-develops-questionnaire-see-might-become-terrorist/.

147 راجع:

Federal Bureau of Investigation, "When to Report Violent Extremism" https://cve.fbi.gov/where/?state=report. Last accessed March 27, 2018.

148 المرجع نفسه.

149 Office of Public Affairs, "Pilot Programs are Key to Our Countering Violent Extremism Efforts," Dep't of Justice, Feb. 18, 2015, https://www.justice.gov/archives/opa/blog/pilot-programs-are-key-our-countering-violent-extremism-efforts.

تكون أكثر تركيزاً على إنفاذ القوانين. بالفعل، لدى وصول دونالد ترامب إلى سدّة الرئاسة، كان قد سبق للإدارة السابقة إعلان تخصيص مِنح لـ31 منظّمة بغية إدارة قسمٍ من اعتمادات ميزانية بعشرة ملايين دولار كان الكونغرس قد وضعها عام 2016. [153] بعد بضعة أشهر، جمّدت إدارة ترامب هذه المنح، ثم اقترحت تقليص الميزانية حتى وصولها إلى صفر بحلول السنة المالية 2018. [154] في 23 يونيو 2017، أعلنت وزارة الأمن القومي عن مراجعتها للجهات الحاصلة على المنح.[155] وفقاً لمسؤولين في الوزارة، أجري هذا التغيير في المستفيدين من المنح بناءً على معايير تدرس الشراكة مع أجهزة إنفاذ القوانين، والخبرات السابقة في جهود مكافحة التطرف العنيف وما يتّصل بها، والقدرة على مواصلة العمل عند انتهاء دورة المنح.[156] جديرٌ بالذكر أنّ الحاصلين الجدد على المنح في يونيو 2017 كانوا، بمعظمهم، من الوكالات التي يرتكز عملها على إنفاذ القوانين.

مكافحة التطرف العنيف: ممارسة باطلة ولا أساس لها من الصحة

تفترض مبادرات مكافحة التطرف العنيف أنّ اعتناق أفكار متطرفة أو راديكالية، أو التعبير عنها، يجعل الأفراد يسلكون، حكماً، طريقاً تفضي بهم نحو العنف في نهاية المطاف، وأنّ هناك "مؤشرات" يمكن ملاحظتها لتحديد الأشخاص الذين قد يقدمون على أعمال إرهابية أو غير ذلك من أشكال العنف.[157] لكنّ هذه الفرضية خاطئة، مما يدحض مجمل المفهوم الذي تقوم عليه هذه المبادرات.

وفقاً للباحثين، ما من معايير محددة يمكن التعويل عليها للتنبؤ بمرتكبي الأعمال الإرهابية المحتملين.[158] فقد خلصت عدة دراسات تجريبية إلى أنّ قرار الشخص بالمشاركة في أعمال العنف السياسي يكون قراراً معقّداً عادةً، حيث ينطوي على عدة معايير بيئية وفردية، لا يكون أي منها عاملاً ضرورياً أو كافياً لتحديد كلّ حالة كحالة إرهاب محتملة، كما لا يندرج أيّ منها ضمن مسارٍ أو عملية مستقيمة تؤدي إلى العنف حكماً.[159] فليس من مؤشرات معروفة على العنف، بما في ذلك التدين الشديد،[160] مما يعني أنّ التركيز على المسلمين كردّ على التطرف ليس تمييزياً فحسب، بل غير فعال أيضاً.

بما أنه ليس من أنماط أو مؤشرات معروفة على أعمال العنف التي يرتكبها "متطرفون"، فيجدر بأجهزة إنفاذ القوانين أن تركّز على السلوك العنيف والتصرف الجرمي عوضاً عن استهداف الأشخاص بناءً على معتقداتهم. وبالتالي، يمكن لهذه الأجهزة فتح تحقيق عندما تكون هناك شكوك معقولة تدعو إلى الاعتقاد بأنّ جريمةً ما قد ارتُكبت أو تُرتكب في الوقت الحالي. فالتركيز على برامج لا أساس لها، كمكافحة التطرف العنيف، يبدّد موارد أجهزة إنفاذ القوانين على إجراء تحديد نمطي لمجتمعات برمّتها، عوضاً عن التعامل مع التهديدات الفعلية، مما يجعل كافة المجتمعات أقل شعوراً بالأمان. لذا من الضروري أن تركّز أجهزة إنفاذ القوانين على التحقيقات القائمة على الأدلة حفاظاً على أمان المجتمعات.

فليس من مؤشرات معروفة على العنف، بما في ذلك التدين الشديد، مما يعني أنّ التركيز على المسلمين كردّ على التطرف ليس تمييزياً فحسب، بل غير فعال أيضاً.

الانتهاكات الدستورية والإضرار بالحقوق المدنية

إذاً أشارت الدراسات ، كما ورد أعلاه، إلى أنّ مبادرات مكافحة التطرف العنيف غير قائمة على أساس متين. وليس هذا فحسب، بل إنها أيضاً تلحق ضرراً عميقاً بالمجتمعات المسلمة، وحقوق وسبل حماية جميع من يعيش على أرض الولايات المتحدة. بالفعل، تنتهك هذه البرامج حقوقاً دستورية، كحرية التعبير والحريات الدينية، فضلاً عن حقوق الأفراد المدنية من خلال إجراء تحديد نمطي متحيّز لملامحهم وفرض آليات المراقبة على مجتمعات برمّـتها.

150 راجع:

C-Span, "Minneapolis Public Schools CVE Program," March 9, 2015, https://www.c-span.org/video/?c4530677/minneapolis-public-school-cve-program.

151 United States Attorney's Office, "A Framework for Prevention and Intervention Strategies: Incorporating Violent Extremism into Violence Prevention Efforts," Dep't of Homeland Security, Feb. 2015, p. 8, https://www.dhs.gov/sites/default/files/publications/Boston%20Framework_1.pdf.

152 Julia Edwards Ainsley, Dustin Volz, & Kristina Cooke, "Exclusive: Trump to Focus Counter-Extremism Program Solely on Islam-Sources" Reuters, Feb. 1. 2017, https://www.reuters.com/article/us-usa-trump-extremists-program-exclusiv/exclusive-trump-to-focus-counter-extremism-program-solely-on-islam-sources-idUSKBN15G5VO.

153 Office of the Press Secretary, "Statement by Secretary Johnson Announcing First Round of DHS's Countering Violent Extremism Grants," Dep't of Homeland Security, Jan. 13, 2017, https://www.dhs.gov/news/2017/01/13/statement-secretary-jeh-johnson-announcing-first-round-dhss-countering-violent.

154 Julia Edwards Ainsley, "White House Budget Slashes 'Countering Violent Extremism' Grants," Reuters, May 23, 2017, https://www.reuters.com/article/us-usa-budget-extremism/white-house-budget-slashes-countering-violent-extremism-grants-idUSKBN18J2HJ.

155 "DHS Countering Violent Extremism Grants," Dep't of Homeland Security, June 13, 2017, https://www.dhs.gov/cvegrants.

156 Jennifer Hansler, "DHS Shifts Focus of Funding to Counter Violent Extremism," CNN, July 4, 2017, http://www.cnn.com/2017/07/01/politics/cve-funding-changes/index.html.

157 راجع مثلاً: Strategic Implementation Plan, supra note 3 at 13.

158 راجع مثلاً:

Decl. of Marc Sageman, Latif. V. Holder, No. 3:10-cv-00750, 2015 WL 1883890 (D. Or. Aug. 7, 2015), https://www.aclu.org/legal-document/latif-et-al-v-holder-et-al-declaration-marc-sageman; See Jamie Bartlett, Jonathan Birdwell, and Michael King, "The Edge of Violence: A Radical Approach to Extremism," DEMOS (2010) https://www.demos.co.uk/files/Edge_of_Violence_-_web.pdf.

159 National Defense Research Institute, "Social Science for Counterterrorism," RAND (2009), https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/monographs/2009/RAND_MG849.pdf.

يصون التعديل الأول على الدستور حرية المعتقد، والدين، والتعبير، وتكوين الجمعيات. فقد أقرّ الآباء المؤسسون لبلادنا بأهمية هذه الحقوق، مما جعلها تحتلّ هذه المكانة المميّزة في تاريخنا ودستورنا. بالفعل، تتمتع كافة الآراء، مهما كانت متطرفة، بحماية التعديل الأول، والأمر نفسه ينطبق على الآراء الراديكالية التي تبقى، في نهاية المطاف، أفكاراً.

> عندما تستهدف الحكومة الأشخاص بناءً على معتقداتهم أو أفكارهم، فهي لا تمنع العنف فعلاً؛ بل جلّ ما تفعله هو تبديد الموارد على استراتيجية لا أساس لها، مع تقويض حرية الكلام والتعبير التي يتمتع بها الشعب الأميركي

من هذا المنطلق، تثير مبادرات مكافحة التطرف العنيف مخاوف دستورية كبيرة، كونها تستهدف الأشخاص بناءً على أفكارهم ومعتقداتهم، لا على سوء سلوكهم. بالفعل، تستهدف هذه المبادرات، على نحو غير عادل ولا مبرّر، المجتمعات المسلمة برمّتها، مما يؤثّر على حقّها بحرية التعبير، وتكوين الجمعيات، والحريات الدينية. فمن شأن مراقبة هذه المجتمعات أن تشلّ حرية التعبير وتكوين الجمعيات، خاصةً وأنه من الأرجح أن يمتنع الأشخاص عن تبادل الآراء إذا عرفوا أنهم يخضعون لمراقبة الحكومة. في الوقت عينه، تنتهك هذه البرامج أيضاً، عبر استهداف من يبدو عليه أنه مسلم أو من يعتبر نفسه مسلماً، الضمانات الدستورية بالمساواة بين الأديان، كونها تعزل مجموعة واحدة من المعتقدات الدينية عن غيرها وتميّز ضدها.

للأسف، لا يُعتبر هذا النوع من المراقبة أو الرصد بجديد على التاريخ الأميركي؛ فالتاريخ حافل بالكثير من اللحظات المعيبة التي تشمل مراقبة مجتمعات لا تلقى معتقداتها قبولاً لدى الحكومة، أو تُعتبر مهينة بنظرها.[161] من الأمثلة البارزة على ذلك مراقبة د. مارتن لوثر كنغ وغيره من القادة والناشطين في مجال الحقوق المدنية الذين صنّفتهم الحكومة كراديكاليين وخطر يهدّد الأمن القومي.[162] بالفعل، إذا استعدنا الماضي، سنلاحظ بشكلٍ واضح أنّ حركة الحقوق المدنية اعتمدت على قادة أقوياء مارسوا حقوقهم المدنية بالتعبير عن آرائهم المختلفة وبذل جهود المناصرة، وأنه ما كان يجدر بمكتب التحقيقات الفدرالي التجسس عليهم. في الواقع، كانت لجنة مجلس الشيوخ المختارة لدراسة العمليات الحكومية المتعلقة بالأنشطة الاستخباراتية قد خلصت في تقريرها النهائي إلى أنّ أنشطة مكتب التحقيقات الفدرالي في مجال المراقبة والرصد تنتهك القوانين والحقوق الدستورية المتعلقة بحرية التعبير وتكوين الجمعيات.[163] لكن كما هي الحال بالنسبة إلى عدة سياسات حالية تستهدف المجتمعات المسلمة، زعم مكتب التحقيقات الفدرالي أنه كان "يحمي الأمن القومي" و"يمنع نشوب العنف" في فترة حركة الحقوق المدنية.[164] كما تواصل الحكومة استهداف المجتمعات عبر مراقبتها عن كثب، بموجب الفرضية الزائفة نفسها، رغم أنّ هذا الأمر يصب في إطار سوء استخدام السلطة ويخلّف أثراً على الحقوق الدستورية.

عندما تستهدف الحكومة الأشخاص بناءً على معتقداتهم أو أفكارهم، فهي لا تمنع العنف فعلاً؛ بل جلّ ما تفعله هو تبديد الموارد على استراتيجية لا أساس لها، مع تقويض حرية الكلام والتعبير التي يتمتع بها الشعب الأميركي. وعندما تعرف المجتمعات أنّ تصريحاتها وتصرّفاتها تخضع لمراقبة الحكومة، تنشأ عندئذ بيئةٌ من الخوف والرقابة الذاتية التي تؤدي إلى كمّ الأفواه والقضاء على حرية التعبير وحرية تكوين الجمعيات. نسجاً على المنوال نفسه، يوحي استهداف المسلمين أنّ مجرد ممارسة الشعائر الإسلامية ستؤدي إلى إخضاع الشخص لمراقبة الحكومة، مما يشلّ قدرة المسلمين على ممارسة شعائرهم الدينية.

استدامة الوصم والتأثير على الأرض

حتى وقت قريب، كانت الجهود التي تبذلها الحكومة الفدرالية في مجال مكافحة التطرف العنيف تركّز، كما كانت تزعم، على مختلف أنواع التطرف، بغضّ النظر عن الانتماء الديني. لكن حتى ما قبل سنّ سياسات إدارة ترامب المتعدّدة ضد المسلمين، كانت برامج مكافحة التطرف العنيف تركّز، بشكلٍ طاغٍ، على المجتمعات المسلمة. على سبيل المثال، ركّزت البرامج التجريبية في بوسطن، ولوس أنجلوس، ومينيابوليس على السكّان المسلمين. في الواقع، اعتبرت بعض أجهزة إنفاذ القوانين، من خلال مراقبة

160 Faiza Patel, "ReThinking Radicalization," The Brennan Center for Justice (2011), http://www.brennancenter.org/sites/default/files/legacy/RethinkingRadicalization.pdf.

161 راجع مثلاً: Michael German, "Radically Wrong: A Counterproductive Approach to Counterterrorism," American Civil Liberties Union, Feb. 14, 2013 https://www.aclu.org/blog/national-security/radically-wrong-counterproductive-approach-counterterrorism.

162 راجع مثلاً: David J. Garrow, "The FBI and Martin Luther King," The Atlantic (July/Aug. 2001) https://www.theatlantic.com/magazine/archive/2002/07/the-fbi-and-martin-luther-king/302537/.

163 Supplementary Detailed Staff Reports on Intelligence Activities and the Rights of Americans, Final Report of the Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities, U.S. Senate, 94th Congress, 2d Session, Report No. 94-755 (1976) available at https://archive.org/details/finalreportofsel03unit.

164 المرجع نفسه، ص. 5-6.

هذه المجتمعات، أنّ جميع أفرادها مشتبه بهم، حتى أولئك غير المشاركين، مصنّفة إياهم جميعاً "كراديكاليين"[165]. فبنظر أجهزة إنفاذ القوانين، يبدو أفراد هذه المجتمعات مريبين، بغضّ النظر عما يفعلونه. فإذا تعاونوا مع السلطات، كانت هذه الأخيرة تُخضعهم للمراقبة، وتتوقّع منهم الإبلاغ عن الشباب العرضة للانحراف؛ أما إذا لم يتعاونوا، فتصنفهم كراديكاليين. لقد توجّهت أجهزة إنفاذ القوانين على المستوى المحلي والفدرالي، ومستوى الولاية نفسها، نحو مجتمعاتها، وقرارها متّخَذٌ مسبقاً: أفراد هذه المجتمعات، يمثّلون، بطريقة أو بأخرى، لبّ المشكلة.

كما تمّت ملاحظته أثناء تطبيق هذه المبادرات، تحمّل هذه الجهود الأشخاص الذين لا خبرة لهم في مجال "التطرّف العنيف" مسؤولية الكشف عن التهديدات والإبلاغ عنها، بناءً على حالات عادية، جاعلةً المدارس ووكالات الخدمات الاجتماعية وخدمات الصحة العقلية مساحات تنعدم فيها الثقة ويسود الخوف. فيجدر بالمدارس أن تكون مساحةً لازدهار الفضول والتعبير عن النفس. أما مراكز الصحة العقلية، فيجب أن تكون مساحات آمنة يطلع فيها الزائر الأخصائيين عن كفاحه اليومي ومخاوفه الحميمة، بحماية أجواء من السرية. فضلاً عن ذلك، يجب أن تكون الخدمات الاجتماعية متاحةً لأولئك الذين يحتاجون إلى المساعدة على ضوء المؤهلات والكفاءات المتوافرة. بالفعل، يجب أن تكون هذه الأجواء مساحاتٍ محميةً بنظر المحتاجين إليها أو المستكشفين لهوياتهم. أما التواطؤ بين طاقم العمل والمهنيين في تلك المساحات ووكالات إنفاذ القوانين بغرض التجسّس على الأفراد والإبلاغ عنهم، فيفسد هذه العلاقات ويقوّض عامل الثقة. فاستهداف الأفراد من دون الاستناد إلى وقائع وأسس موثوق بها سيضرّ بحرية الكلام والتعبير، كما يؤذي العلاقات القائمة على السرية مع مزوّدي خدمات الصحة العقلية. وهكذا، تكون النتيجة حشر المجتمعات المسلمة في زوايا المجتمع، والحدّ من وصولهم إلى التعلّم والموارد التي يستفيد منها الآخرون، مع شلّ مشاركتهم ضمن مجتمعاتهم الخاصة.

في هذا الإطار، إنّ الحديث عن تأثير وصم المسلمين، واستدامة صورتهم كأفراد مشتبه بهم، ليس من باب المبالغة. لقد وصف أبرز وجهاء المسلمين والأفراد المقيمين في بوسطن، ولوس أنجلوس، ومينيابوليس كيف ساهم التدقيق الحكومي غير المبرّر الذي واكب مشاريع مكافحة التطرف العنيف المحلية في عزلهم عن جيرانهم وتصويرهم كمشتبه بهم لا لشيء إلا بسبب معتقدتهم، وعرقهم، وإثنيتهم.[166] بالفعل، يبعث التركيز على المجتمعات المسلمة رسالةً خاطئةً إلى المجتمعات المحلية والجمهور بشكلٍ عام، مفادها أنّ المسلمين مريبون بطبيعتهم وميالون إلى العنف. لكنّ الأدلة أثبتت أنّ هذا الأمر غير صحيح.[167] وبالتالي، فإنّ الحكومة لا تكتفي بالترويج لخطاب مغلوط، بل تساهم أيضاً في تكريس بيئة يخضع فيها المسلمون لتمييز متزايد وهجوم بسبب معتقدهم، سواء كأفراد أم من خلال مؤسساتهم الدينية.

> على المجتمعات المسلمة رسالةً خاطئةً إلى المجتمعات المحلية والجمهور بشكلٍ عام، مفادها أنّ المسلمين مريبون بطبيعتهم وميالون إلى العنف.

الخاتمة

استثمرت الحكومة الأميركية، طيلة سنوات متعدّدة، في مبادرات مكافحة التطرف العنيف غير المستندة إلى أساس سليم. أما طلبات المجتمعات المتأثرة بذلك بالحصول على المزيد من المعلومات حول هذه البرامج، فغالباً ما قوبلت بصمت مطبق. زد على ذلك التغاضي عن المخاوف الدستورية، والتداعيات على الحقوق المدنية، والتأثير السلبي الذي تخلّفه هذه البرامج على المجتمعات المسلمة. مع ذلك، يستمر التسلل إلى داخل المجتمعات المسلمة واستهدافها- كلّ الفرق أنّ الأمر يحدث اليوم في ظلّ حكومة تصنّفهم، بكلّ صراحة ووضوح، على أنهم أصل المشكلة. من واجب وكالات إنفاذ القوانين إجراء التحقيقات، ومن هدفها منع العنف، ومن التزاماتها احترام القانون. غير أنّ مبادرات مكافحة التطرف العنيف تفشل، للأسف، في تحقيق الجوانب الثلاثة كلها. فعوضاً عن إجراء تحقيقات قائمة على الأدلة،

165 راجع مثلاً:

Cora Currier, “Spies Among Us: How Community Outreach Programs to Muslims Blur Lines between Outreach and Intelligence,” The Intercept, January 21, 2015, https://theintercept.com/2015/01/21/spies-among-us-community-outreach-programs-muslims-blur-lines-outreach-intelligence/.

166 راجع مثلاً:

Statement of Muslim Organizations, Council on American-Islamic Relations-Minnesota et al, “Minnesota Muslims Concerned About New ‘Stigmatizing, Divisive and Ineffective’ CVE Pilot Program,” May 1, 2015, http://files.ctctcdn.com/bd15115b001/d068ad69-9ad8-46a0-bdcd-b9d57454ed20.pdf; Tamara Audi, “US. Muslim Community Divided Over White House Outreach Plan,” Wall Street Journal, April 20. 2015, https://www.wsj.com/articles/u-s-muslim-community-divided-over-white-house-outreach-plan-1429555173; Statement of Muslim Student Associations, Muslim Students Association West, “Muslim Students Associations Across CA against Federal Government’s Countering Violent Extremism Programs,” (Feb. 21, 2015), https://us4.campaign-archive.com/?u=30d739eaae2442c8d20aad278&id=25a5c44b43&e=%5BUNIQID; “Letter from Muslim Justice League et al. to Lisa O. Monaco, Assistant to the President for Homeland Security and Counterterrorism,” (Feb. 13, 2015) available at http://www.brennancenter.org/sites/default/files/analysis/Boston%20Organizational%20Letter%20re%20CVE%20Concerns.pdf; Press Release, Asian Americans Advancing Justice—Los Angeles et al., “Los Angeles Based Groups Serving American Muslim Communities Question Federal Government’s “Countering Violent Extremism” Programs As Ill-Conceived, Ineffective, And Stigmatizing,” (Nov. 13, 2014) available at https://www.advancingjustice-la.org/sites/default/files/20141113%20-%20MR%20-%20CVE%20Statement.pdf.

167 راجع: The Edge of Violence: A Radical Approach to Extremism, supra note 20 (يشرح أنّ المعتقدات والممارسات الدينية ليست عوامل تكهن بنشوب أعمال عنف).

تقوم أجهزة إنفاذ القوانين بإجراء تحديد نمطي متحيّز ومراقبة مجتمعات برمّتها من دون أساس. وباسم منع العنف، تستخدم هذه الأجهزة نظريات باطلة وغير فاعلة كأساس لاستراتيجيتها. وبدل احترام القانون، تنتهك الدستور والحقوق المدنية للشعب الأميركي، مساهمةً في ترسيخ بيئة تتفشى فيها الهجمات ضدّ المسلمين.

تقليص نطاق التهديد:
استراتيجية شاملة لمكافحة رهاب الإسلام

إدوارد أحمد ميتشل

مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية مكتب جورجيا

لا يُعتبر رهاب الإسلام بظاهرة جديدة، على أكثر من صعيد. فعلى مر التاريخ الأميركي، تعرّضت كلّ الأقليات الدينية تقريباً لحملة منهجية من التعصّب والتمييز قبل أن تنضوي أخيراً تحت لواء المجتمع الأميركي وتحصل على حقوق التصويت كاملةً. تلك كانت حال الكاثوليك، والصاحبيين (الكويكرز)، واليهود.

عانت تلك الأقليات الدينية من شتى أنواع الاضطهاد، بدءاً بمشاعر التشكيك والارتياب التي نمت حيالهم رويداً رويداً، مروراً بالتمييز المشروع ضدهم، ووصولاً إلى العدائية المصحوبة بأعمال عنف. تختلف القرون، وتختلف معها المجتمعات المحلية، لكنّ التعصّب يبقى هو نفسه. في الحالات كافة، سقط قتلى. أُحرقت دور عبادة. وأيّدت المحاكم القوانين التمييزية.

لكن في نهاية المطاف، نجح كل مجتمع من هذه المجتمعات الدينية في التغلّب على موجات المعارضة. فيلقى الكاثوليك اليوم قبولاً تاماً كأعضاء يشاركون مشاركةً كاملةً في المجتمع الأميركي. وينطبق الأمر نفسه على الصاحبيين، والمورمونيين، واليهود. بالفعل، بلغت هذه المجتمعات الدينية، وغيرها من المجتمعات التي كانت محرومةً من حقوقها تاريخياً، أعلى مراتب السلطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الولايات المتحدة.

لكنّ هذه النتيجة الإيجابية بدت، حتى وقتٍ طويل، غير مرسومة في الأفق، إن لم نقل مستحيلة. فقد تعرّض الصاحبيون للتمييز لفترة طويلة تعود إلى حقبة الحرب الثورية، بسبب معتقداتهم الدينية السلمية. "خلال الحرب، حُرم الصاحبيون من حقوقهم. وقد دأب الأميركيون على جمع الصاحبيين الأثرياء الذين اعتقدوا أنهم يشكّلون خطراً، فنقلهم إلى أماكن آمنة بعيداً عن مناطق النزاع وعن بيوتهم. ولم يستردّ الصاحبيون حقهم في الاقتراع إلا شيئاً فشيئاً بعد انقضاء الحرب."[168]

تعرّض الأميركيون اليهود بدورهم للنبذ والتهميش لفترة طويلة تعود إلى حقبة تأسيس البلاد. "بعد الثورة، استمرت الولايات المتحدة، حتى الأكثر تسامحاً واعتدالاً منها، بحرمان اليهود من الجنسية وحقوق التصويت، رغم السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، على ألا يتمّ ذلك في العلن. في الواقع، لم تمنح الولايات المتحدة اليهود حقوق الجنسية كاملةً حتى القرن التاسع عشر."[169] في وقت لاحق، عُرف عن الولايات المتحدة موقفها المشين برفض دخول اليهود الهاربين من المحرقة إلى أراضيها.[170]

لكن لعلّ أفضل مثال على تفاصيل التنكيل الأميركي هو ذاك الذي اختبره الأميركيون الكاثوليك على مرّ التاريخ. ففي حقبة الاستعمار، لم يُقابَل الكاثوليك بالترحيب- في صياغة ملطّفة

168 John Kaminski, "Religion and the Founding Fathers," The Newsletter of the National Historical Publications and Records Commission, Vol. 30.1 (March 200., https://www.archives.gov/files/nhprc/annotation/2002/2002-mar.pdf

169 المرجع نفسه.

170 Daniel Gross, "The United States Turned Away Thousands of Jewish Refugees Fearing They Were Nazi Spies," Smithsonian Magazine, 18 November, 2015, https://www.smithsonianmag.com/history/us-government-turned-away-thousands-jewish-refugees-fearing-they-were-nazi-spies-180957324/

للواقع- لا سيّما وأنّ أوائل المهاجرين البريطانيين إلى أميركا الشمالية كانوا قد حملوا معهم عدائيةً شديدةً للكاثوليكية.

استمرّ التعصّب ضد الكاثوليك بعد تأسيس الولايات المتحدة، منتقلاً من الخطاب العام إلى السياسات العامة؛ حتى أنّ رئيس قضاة المحكمة العليا العتيد، جون دجاي، جادل قائلاً إنّ دستور ولاية نيويورك يجب أن يفرض على المواطنين التخلي عن ولائهم لأيّ سلطات أجنبية في المسائل "الكنسية"، بعبارة أخرى ولائهم للبابا.[171]

ازدادت المشاعر المعادية للكاثوليكية بشكل ملحوظ عندما وصل أفواج من المهاجرين الإيرلنديين إلى السواحل الأميركية في القرن التاسع عشر. فبقيت نظريات المؤامرة، والمذابح المنظمة، والتهميش الاقتصادي مخاوفَ تطارد أولئك المهاجرين. "استمرّت المخاوف من المؤامرات الكاثوليكية تسيطر على الحكومة بين العشرينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر، مما دفع إلى اندلاع أعمال شغب دموية في مدن مثل بوسطن وفيلادلفيا."[172]

في تلك الآونة، نجح حزب "لا أدري"، لفترة وجيزة، في تحويل التعصّب ضد الكاثوليك إلى حركة سياسية ناجحة نوعاً ما، مستخدماً كلمات ستبدو مألوفةً لأي طالب يدرس رهاب الإسلام في عصرنا الحديث.

فقد دعا الحزب، في برنامجه الحزبي الصادر عام 1856، إلى "قوانين هجرة أكثر صرامة وفعالية"، و"عداوة أبدية لكلّ من يحاول الالتزام بمبادئ كنيسة أو دولة أجنبية"، ومن أقواله أيضاً "بلدنا، بلدنا كله ولا شيء غير بلدنا" و"تعيش القوانين الأميركية والتشريعات الأميركية؛ والموت لكلّ مصادر النفوذ الأجنبي، أكانت في مراتب عليا أم متدنية!"[173]

في نهاية الأمر، ضعفت أركان حزب لا أدري قبل أن ينحلّ ويندثر أخيراً، لكنّ مشاعر معاداة الكاثوليك التي بثّها الحزب استمرت لعقود. فأقرّت عدة ولايات قوانين تفرض على الأطفال ارتياد مدارس رسمية، لمنعهم من ارتياد مدارس كاثوليكية خاصة. كما واجه السياسيون الكاثوليك عداوةً جليةً.[174] أما حركة الكو كلوكس كلان، فقد "لاقت رواجاً في العديد من المدن كعامل مقاومة بهدف التصدي للتأثير السياسي الكاثوليكي الناشئ."[175]

لكنّ الكاثوليك كسبوا المعركة في نهاية المطاف. فقد بنوا دور العبادة الخاصة بهم ومدارسهم الخاصة في مختلف أنحاء البلاد. أمّنت لهم هذه الخطوة مساحات آمنة لتعليم مجتمعاتهم، وتنظيمها، والنهوض بها. كما أنشأوا منظمات متفانية في الدفاع عن حقوقهم في المحاكم القانونية، وعن سمعتهم في محاكم الرأي العام. فضلاً عن ذلك، شاركوا في العملية السياسية نفسها التي كانت قد نبذتهم في ما مضى، ليشكّلوا كتلةً اقتراعيةً كبيرةً، قبل أن ينتقلوا إلى الفوز بالانتخابات بصفتهم الشخصية، وتُوّجت جهودهم بفوز الرئيس كينيدي بالانتخابات عام 1960.

لكنّ هذا التغيير لم يحدث بين ليلةٍ وضحاها. مع ذلك، أصبحت القوانين المعادية للكاثوليك، في نهاية الأمر، باطلةً أو لاغية. وفقدت المنظّمات المعادية للكاثوليك سلطاتها المالية والسياسية، حتى أصبحت غير ذات أهمية. كما تمكّن الكاثوليك والبروتستانت من حلّ خلافاتهم عندما وجدوا أنهم يتشاطرون الموقف نفسه في النقاشات السياسية حول الإجهاض وغيرها من المسائل المهمة بالنسبة إلى المحافظين الاجتماعيين.

بدءاً من 2017، كان 67% من الأميركيين "يكنّون مشاعر ودية" تجاه الكاثوليك.[176] ومع أنّ بعض الأميركيين ما يزالون يكنّون ضغينةً تجاههم، إلا أنهم لا يشكّلون تهديداً خطيراً أو ثابتاً يحدق بالحقوق القانونية للمجتمع الكاثوليكي أو سلامته الشخصية.

اليوم، ما من شكّ في أنّ المسلمين الأميركيين يحتلون فسحةً كبيرةً من المكانة التي كان يشغلها الكاثوليك وغيرهم من الأقليات الدينية المشبوهة في ما مضى. في الواقع، يمكن القول إنّ التاريخ يكرّر نفسه بدرجة باهرة من الاتساق.

يسهب الناشطون، والمنظمات، والسياسيون المعادون للمسلمين، اليوم، في حديثهم عن مخاطر الإسلام المزعومة، بالدرجة نفسها من الهستيريا التي كان مناصرو حزب "لا أدري" يستخدمونها في ما مضى ضد الكاثوليكية. فقد اتُّهم كلٌّ من المسلمين والكاثوليك بأنهم مهاجرون خطرون، لا يمكن استيعابهم ثقافياً، ويدينون بالولاء إلى قوى أجنبية.

فضلاً عن ذلك، اتُّهم الكاثوليك بأنهم يخضعون لمتحكّم أجنبي هو الكنيسة. أما في حالة المسلمين الأميركيين، فيمكن أن يكون هذا المتحكّم الأجنبي هو الإخوان المسلمون، أو حماس، أو

171 Sewell Chan, "Is Anti-Catholicism Dead?," The New York Times, July 23, 2008, https://cityroom.blogs.nytimes.com/2008/07/23/is-anti-catholicism-dead/

172 Daniel Gross, "The United States Turned Away Thousands of Jewish Refugees Fearing They Were Nazi Spies," Smithsonian Magazine, 18 November, 2015, https://www.smithsonianmag.com/history/us-government-turned-away-thousands-jewish-refugees-fearing-they-were-nazi-spies-180957324/

173 "Guide to the Know-Nothing Platform, 1856." Collection Guides, Duke University, https://library.duke.edu/rubenstein/scriptorium/americavotes/know-nothing.html

`174 Josh Zeitz, "When America Hated Catholics," POLITICO Magazine, September 23, 2015, https://www.politico.com/magazine/story/2015/09/when-america-hated-catholics-213177

175 المرجع نفسه.

176 "How Americans Feel About Different Religious Groups," Pew Research Center, February 15, 2017, http://www.pewforum.org/2017/02/15/americans-express-increasingly-warm-feelings-toward-religious-groups/

القاعدة، أو تنظيم الدولة الإسلامية، استناداً إلى نظرية المؤامرة التي تُحاك في كلّ حالة.

ونظراً إلى أوجه الشبه بين التعصب ضد الكاثوليك والتعصب ضد المسلمين، لعلّه من العزاء لنا، أو لربما من المنطقي الافتراض أنّ المسلمين الأميركيين سيختبرون في نهاية المطاف، حتماً، النتيجة الإيجابية نفسها التي اختبرها الكاثوليك.

في الواقع، تشكّل بعض الحقائق الديموغرافية أسباباً تدعو إلى التفاؤل بالنسبة إلى المسلمين الأميركيين. فبدءاً من 2017، أفاد 58% من الأميركيين، ممّن يتراوح سنهم بين 18 و29 سنة، أنهم يكنّون "مشاعر ودية" للمسلمين، في حين أنّ 44% فقط من الأميركيين في الـ65 وما فوق أعربوا عن مشاعر مماثلة.[177] فإذا كُتب لهذه التوجّهات الاستمرارية، قد يتجاوز المسلمون الأميركيون، عاجلاً أم آجلاً، التحدي الذي تغلّب عليه الكاثوليك من قبلنا.

لكنّ النجاح ليس مضموناً، لا سيما وأنّ النضال الذي يختبره المسلمون الأميركيون يُعتبر فريداً من نوعه بطرق أساسية متعدّدة.

أولاً، لا يُعتبر الإسلام جديداً فعلاً بالنسبة إلى أميركا. فقد وصل المسلمون إلى شواطئها قبل أن تصبح أميركا نفسها أميركا. بالفعل، كان العديد من العبيد الأفارقة الذين نُقلوا إلى أميركا الشمالية من المسلمين، كما أنّ المسلمين قاتلوا في كافة النزاعات الأميركية الأساسية منذ الحرب الثورية، لا بل إنّ الآباء المؤسّسين تحدّثوا عن ضرورة ضمان الحرية الدينية "للمحمّديين" على وجه التحديد. فضلاً عن ذلك، كانت المغرب ذات الأغلبية المسلمة أوّل بلد يعترف بالولايات المتحدة رسمياً.[178]

ولا يخفى على أحد أنّ المسلمين الأميركيين، على غرار محمد علي وكريم عبد الجبار، وكلاهما مسلمان فخوران بإسلامهما ويجهران به، قد حقّقوا شعبية منذ عقود. وحتى مالكوم إكس نفسه الذي يُعتبر، ربما، أحد أكثر الرجال إثارة للجدل في تاريخه، أصبح يحظى باحترام واسع، ويلقى تقديراً حتى يومنا هذا في عالم الأفلام[179] والأدب.[180]

لكنّ أياً من هذا التاريخ الإيجابي لم يلهم ما يكفي من النوايا الحسنة لحماية المسلمين الأميركيين من وصمة نظريات المؤامرة أو تهديد التمييز.

أما الجانب الآخر الذي يميّز رهاب الإسلام عن غيره من الظواهر، فهو جانبه العرقي.[181] فالأكثرية الساحقة من المسلمين الأميركيين هم من ذوي البشرة الملوّنة. في الواقع، يمثّل المسلمون الأميركيون الفئة الدينية الأكثر تنوّعاً عرقياً في الولايات المتحدة.[182] لهذا ربما، تتضمّن النعوت الملصقة بالمسلمين، والكلمات التي تُرشّ بالرذاذ على جدران المساجد، وتلك الموجّهة

بالفعل، كان العديد من العبيد الأفارقة الذين نُقلوا إلى أميركا الشمالية من المسلمين، كما أنّ المسلمين قاتلوا في كافة النزاعات الأميركية الأساسية منذ الحرب الثورية، لا بل إنّ الآباء المؤسّسين تحدّثوا عن ضرورة ضمان الحرية الدينية "للمحمّديين" على وجه التحديد. فضلاً عن ذلك، كانت المغرب ذات الأغلبية المسلمة أوّل بلد يعترف بالولايات المتحدة رسمياً.

نحو غير المسلمين الذين يستوفون الصورة النمطية المرسومة عن المسلم (كالسيخ بشكلٍ خاص) عنصراً عرقياً في أغلب الأحيان.

مع أنّ الكراهية الإثنية أدّت دوراً مشابهاً في ازدياد مشاعر الكراهية ضدّ الإيرلنديين الكاثوليك، لكن يبقى المهاجرون الإيرلنديون، في الواقع، من الأوروبيين البيض، مما سهّل، من دون شكّ، قبول هذه الفئة في نهاية المطاف. والأمر نفسه ينطبق على الصاحبيين، والمورمونيين، واليهود.

هذا من جهة. أما من جهة أخرى، فتجدر الإشارة إلى أنّ الأقليات العرقية- كالسكان الأصليين والأميركيين الأفريقيين- قد عانوا ظلماً منهجياً لمئات السنين، في ظروف لا تبشّر بقرب نهايتها. ولما كان المسلمون الأميركيون، بدرجة كبيرة، من ذوي البشرة الملوّنة ممّن يواجهون مشاعر عدائية بسبب دينهم وإثنيتهم على السواء، فقد يدوم رهاب الإسلام وقتاً أطول من المشاعر المعادية للكاثوليك مثلاً.

من الجوانب الأخرى التي تميّز رهاب الإسلام عن غيره، الأدوار المتداخلة والتفاعلية التي تؤديها الهجمات الإرهابية، والحملات السياسية، والتغطية الإعلامية غير المتناسبة، والسياسات الحكومية، في تغذية رهاب الإسلام بشكلٍ غير طبيعي.

177 المرجع نفسه.

178 James Hutson, "The Founding Fathers and Islam," Information Bulletin, Library of Congress, Vol. 61, No. 5 (May 2002), https://www.loc.gov/loc/lcib/0205/tolerance.html; Kerry Dolan, "Why Morocco Matters to the U.S.," Forbes, November 21, 2013, https://www.forbes.com/sites/kerryadolan/2013/11/21/why-morocco-matters-to-the-u-s/#5aa1fd124f75

179 Roger Ebert, "Reviews: Malcolm X," RogerEbert.com, November 18, 1992, https://www.rogerebert.com/reviews/malcolm-x-1992

180 Madison Gary, "All Time 100 Non-Fiction Books: The Autobiography of Malcolm X," Time Magazine, August 17, 2011, http://entertainment.time.com/2011/08/30/all-time-100-best-nonfiction-books/slide/the-autobiography-of-malcolm-x-as-told-to-alex-haley/

181 Amy McCaig, "Islamophobia Represents a Form of Racism Mixed with Cultural Intolerance," Rice University News, September 14, 2017, http://news.rice.edu/2017/09/14/islamophobia-represents-a-form-of-racism-mixed-with-cultural-intolerance/

182 "Muslim Americans Exemplify Diversity, Potential," Gallup, March 2, 2009, http://news.gallup.com/poll/116260/muslim-americans-exemplify-diversity-potential.aspx

مع أنّ أشكال رهاب الإسلام تعود حتى الثمانينيات- فيكفي تحديد من هو الشرير في بعض أشهر أفلام الحركة الهوليوودية للتأكّد من ذلك- إلا أنّ رهاب الإسلام لم يشكّل تهديداً جسدياً سائداً ومستمراً بالنسبة إلى المسلمين الأميركيين حتى ارتكاب القاعدة لهجمات 11/9. [183]

بالفعل، في أعقاب هجمات 11/9 مباشرةً، تضاعفت جرائم الكراهية ضد المسلمين، ومن يُعتقد أنهم مسلمون، بين ليلةٍ وضحاها. فتعرّضت عدة مساجد للتخريب. وتربّع المحلّلون على عرش الموجات الإذاعية، جاعلين من الجهاد إحدى الكلمات المألوفة والشائعة.

مع أنّ أشكال رهاب الإسلام تعود حتى الثمانينيات- فيكفي تحديد من هو الشرير في بعض أشهر أفلام الحركة الهوليوودية للتأكّد من ذلك- إلا أنّ رهاب الإسلام لم يشكّل تهديداً جسدياً سائداً ومستمراً بالنسبة إلى المسلمين الأميركيين حتى ارتكاب القاعدة لهجمات *11/9*.

مع أنّ المتطرفين اليمينيين ارتكبوا أكثرية الهجمات الإرهابية داخل الولايات المتحدة منذ 11/9، إلا أنّ وسائل الإعلام توحي العكس تماماً من خلال تضخيم الهجمات العنيفة المرتكبة من قبل مسلمين.[184] فوفقاً لدراسة أجرتها جامعة رايس، "أحيطت الهجمات العنيفة التي ارتكبها مسلمون بتغطية أكبر بنسبة 449% في المتوسط، بالمقارنة مع تلك التي ارتكبها غير المسلمين."[185]

بالإضافة إلى ذلك، يسارع المراسلون الصحفيون إلى إدراج هذه الهجمات ضمن إطار الدين، ولا يتوانون عن استخدام مصطلحات مثل "الأصولية الإسلامية" و"الإسلام الراديكالي" و"الجهاد" بكلّ سخاء.

لم تلقَ مثل هذه المعاملة إلا مجموعات قليلة أخرى. فمع أنّ مرتكب تفجير مدينة أوكلاهوما كان محارباً أميركياً قديماً اعتبر نفسه وطنياً معارضاً لتجاوزات الحكومة الفدرالية، لم تقدم أي وسيلة إعلامية على وصف تيموثي ماكفاي أو أي متطرف يميني آخر كـ"وطني راديكالي"، أو حتى كـ"وطني".

يواجه المسلمون، ما بين القنوات الإخبارية التي تعمل على مدار الساعة، والتغطية الإخبارية الإلكترونية، والصحف، والمجلات، والأفلام الهوليوودية، بيئةً إعلاميةً مشحونةً برهاب الإسلام على نحو أكثر انتشاراً بكثير مما واجهه الكاثوليك وغيرهم من الأقليات الدينية المستهدفة في الماضي.

بطبيعة الحال، أدت السياسة أيضاً دوراً هائلاً في تجلي مظاهر التعصب ضد المسلمين في الحياة العامة، هذه المظاهر التي كانت قد ركدت في السنوات التالية لهجمات 11/9، لكن ما لبث أن ارتفعت حدّتها من جديد عام 2010 [186] لأسباب متنوعة، منها:

- نهاية عهد الرئيس جورج و. بوش الذي تكتّم على رهاب الإسلام ضمن الحزب الجمهوري من خلال التحدث عن الإسلام والمسلمين بطريقةٍ ودية، حتى أثناء اتّباعه سياسات اعتُبرت ضارة بالنسبة إلى المسلمين.[187]
- ردود فعل انتقامية على الرئيس أوباما الذي وُجّهت إليه اتّهامات شتى بدءاً بالتصرف بودٍّ مع المسلمين ووصولاً إلى كونه مسلماً هو نفسه.[188]
- الجدل الذي أثير حول ما سُمي "بمسجد غراوند زيرو"، وهي قضية سياسية لاذعة كانت بمثابة الصرخة الجامعة ومناسبةً لظهور جماعات الكراهية المعادية للمسلمين؛
- فوز حركة حزب الشاي في انتخابات منتصف المدة التشريعية لذلك العام، مما منح الناشطين المعادين للمسلمين قوة سياسية.

لأسباب بديهية، بلغ رهاب الإسلام ذروته خلال ظهور تنظيم الدولة الإسلامية وما رافق ذلك من أحداث دموية، فضلاً عن حملة دونالد ج. ترامب الرئاسية الذي جاهر خلالها بعدائيته للمسلمين.

أخيراً، تجدر الإشارة إلى الدور الفريد من نوعه الذي تؤديه الوكالات الحكومية أحياناً في نشر مشاعر العدائية ضد المسلمين.

فخلال السنوات الأخيرة من عمر إدارة بوش، أقدمت وزارة العدل، بطريقة علنية ومريبة وغير لائقة، على تصنيف 300 منظمة

183 "Data: Hate Crimes Spiked Against Muslims After 9/11," Public Radio International, September 12, 2016, https://www.pri.org/stories/2016-09-12/data-hate-crimes-against-muslims-increased-after-911

184 Miriam Valverde, "A Look At the Data on Domestic Terrorism and Who's Behind It," PolitiFact, August 16, 2017, http://www.politifact.com/truth-o-meter/article/2017/aug/16/look-data-domestic-terrorism-and-whos-behind-it/

185 Craig Considine, "The Racialization of Islam in the United States: Islamophobia, Hate Crimes and 'Flying While Brown,'" Religions, 8, no. 165 (2017), http://www.mdpi.com/2077-1444/8/9/165

186 "Hate Crime Statistics 2010," U.S. Department of Justice, accessed April 6, 2018. https://ucr.fbi.gov/hate-crime/2010/narratives/hate-crime-2010-incidents-and-offenses

187 "Islam is Peace," White House Historic Archives, September 17, 2001, https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2001/09/20010917-11.html

188 Kathleen Parker, "If Obama is a Muslim, is Trump a Russian Spy?" The Washington Post, January 6, 2017, https://www.washingtonpost.com/opinions/if-obama-is-a-muslim-is-trump-a-russian-spy/2017/01/06/26fe7128-d45c-11e6-a783-cd3fa950f2fd_story.html?utm_term=.e9f14aa360ac

تابعة لمسلمين أميركيين "كمتواطئة مع المتآمرين من دون أن تتم إدانتها" وذلك في إطار مقاضاتها لمؤسسة الأراضي المقدّسة.[189] ومع أنّ محكمةً فدراليةً حكمت في وقت لاحق أنّ الحكومة انتهكت بذلك حقوق تلك المجموعات بموجب التعديل الخامس، فما زال المتعصّبون ضد المسلمين يستشهدون بتلك الحادثة لذم المسلمين الأميركيين.[190]

في عهد إدارة أوباما، أنشأت الحكومة الفدرالية، رسمياً، برنامج مكافحة التطرف العنيف. ورغم تسميته العامة، ركّز البرنامج بشكلٍ خاص على التهديد الناجم عن المجموعات الإسلامية المتطرفة،[191] مهملاً التهديد الأكثر شيوعاً الصادر عن المجموعات اليمينية وتلك المنادية بتفوق العرق الأبيض."

أما بالنسبة إلى إدارة ترامب، فقد حولت تعصّبها الصريح ضد المسلمين إلى سياسة حكومية، معيّنةً أشخاصاً معروفين بتطرفهم ضد المسلمين في مناصب حكومية، ومكرّسةً حظر دخول المسلمين ضمن إجراء مؤسساتي، ومذكّرةً الشعب الأميركي، مراراً وتكراراً، بضرورة "خشية الإرهاب الإسلامي الراديكالي".[192]

ثم كيف ننسى الحوادث الأخرى على المستوى الوطني والمحلي التي ألقت وكالات حكومية، بموجبها، بظلالٍ هائلة من الشك على المسلمين، كبرنامج التجسس الذي اعتمدته شرطة نيويورك،[193] وقبل ذلك بكثير الجهود التي بذلها مكتب التحقيقات الفدرالي لمراقبة الأميركيين الأفريقيين المسلمين أثناء حركة الحقوق المدنية، والتسلل إلى مجموعاتهم.[194]

خلاصة القول: لطالما كان المجتمع الأميركي المسلم أسير الأحداث المحلية والدولية المتكررة. فيبدو أنّ المسلمين يعيشون على بعد هجمة إرهابية، أو حملة انتخابية، أو سياسة حكومية واحدة من اشتعال نيران التعصّب ضدهم.

على ضوء هذه العوامل وغيرها من العوامل المميّزة الأخرى، لا يمكن للمسلمين الأميركيين النوم قريري العين آملين أن تكون نهايتهم سعيدةً حتماً كما الكاثوليك. كما لا يمكنهم الانتظار ريثما يموت المتعصبون المسنون، ويهرم الشباب القائلون بالتعددية.

في الواقع، لما كان رهاب الإسلام يتأتى عن مجموعة معقدة من العوامل المترابطة- المحلية منها والدولية-، تبقى الطريقة الأكيدة والوحيدة للتغلّب عليه على المدى الطويل هي إجراء معالجة استباقية للعوامل الكامنة التي تذكيه. من هنا، لإلحاق الهزيمة برهاب الإسلام، يجدر بالمسلمين الأميركيين أن يفعلوا ما فعله الأميركيون الكاثوليك، لا بل أكثر من ذلك أيضاً.

من هذا المنطلق، اتّبعت منظمات الأميركيين المسلمين- بما فيها المنظمة التي أنتمي إليها، أي مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية- استراتيجيةً متعددة المستويات لمكافحة رهاب الإسلام.

تتمثّل المهمة الرسمية لمجلس العلاقات الأميركية الإسلامية الذي تأسس عام 1994 بتحسين مستوى فهم الإسلام، وصون الحقوق المدنية، وتمكين المسلمين الأميركيين. له حوالى 30 فرعاً موزّعاً في مختلف أنحاء البلاد، وهو يُعرّف عن نفسه اليوم كأكبر منظمة للمناصرة والمدافعة عن حقوق المسلمين المدنية في الولايات المتحدة.

من أبرز المشاريع التي نفّذها المجلس في السابق انتقاد مظاهر رهاب الإسلام في فيلم الحركة "ترو لايز" (أكاذيب حقيقية)[195]، وإقناع شركة نايكي بسحب حذاءٍ رياضي من الأسواق كُتبت عليه

على ضوء هذه العوامل وغيرها من العوامل المميّزة الأخرى، لا يمكن للمسلمين الأميركيين النوم قريري العين آملين أن تكون نهايتهم سعيدةً حتماً كما الكاثوليك. كما لا يمكنهم الانتظار ريثما يموت المتعصبون المسنون، ويهرم الشباب القائلون بالتعددية.

كلمة الله بالعربية.[196] لكنّ الهجمات الإرهابية، على غرار تفجير مدينة أوكلاهوما الذي تمّ ربطه في بداية الأمر وبشكل خاطئ بالشرق الأوسط[197]، وهجمات 11/9، دفعت بمجلس العلاقات الأميركية الإسلامية إلى دائرة الضوء في الولايات المتحدة، حيث انهمك في مكافحة رهاب الإسلام في كلّ من المحاكم القانونية ومحاكم الرأي العام.

189 U.S. v. North American Islamic Trust, U.S. Court of Appeals, No. 09-10875 (Fifth Circuit. 20 October 2010).

190 "About Frank Gaffney, Jr.," Southern Poverty Law Center, accessed April 6, 2018. https://www.splcenter.org/fighting-hate/extremist-files/individual/frank-gaffney-jr

191 Eric Rosand, "Fixing CVE in the United States requires more than just a name change," Brookings Institute, February 16 2017, https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2017/02/16/fixing-cve-in-the-united-states-requires-more-than-just-a-name-change/

192 Maha Hilal, "Trump's Year in Islamophobia," Institute for Policy Studies, December 21, 2017, http://www.ips-dc.org/trumps-year-islamophobia/

193 Matt Apuzzo & Adam Goldman, "After Spying on Muslims, NYPD Agrees to Greater Oversight," The New York Times, March 6, 2017, https://www.nytimes.com/2017/03/06/nyregion/nypd-spying-muslims-surveillance-lawsuit.html

194 Zaheer Ali, "What Happened To Malcolm X?" CNN, February 17, 2015, https://www.cnn.com/2015/02/17/opinion/ali-malcolm-x-assassination-anniversary/index.html

195 "Arab-Americans Protest 'True Lies,'" The New York Times, July 16, 1994, https://www.nytimes.com/1994/07/16/movies/arab-americans-protest-true-lies.html

196 Carlyle Murphy, "Nike Pulls Shoes That Irked Muslims," The Washington Post, June 25, 1997, https://www.washingtonpost.com/archive/business/1997/06/25/nike-pulls-shoes-that-irked-muslims/b02211fb-c120-4780-9ce4-4c01225c8e92/?utm_term=.fd36867156e5

197 Carla Hall, & Larry Stammer, "Terror in Oklahoma City: American Muslims Feel Sting of Accusations in Bombing's Wake," The Los Angeles Times, April 22, 1995, http://articles.latimes.com/1995-04-22/news/mn-57460_1_oklahoma-city-bombing

وهنا في أتلانتا، يزاول المجلس، من خلال فرع جورجيا، العمل نفسه وإن على نطاق ضيّق. فلما كانت جورجيا ولايةً جنوبية ريفية ومحافظة سياسياً، يمكن أن تشكّل أرضيةً خصبة لنموّ المشاعر المعادية للمسلمين.

أما أتلانتا، قلب الولاية النابض بالحياة، فمدينةٌ متنوّعة ذات روابط تاريخية بحركة الحقوق المدنية، تعيش فيها شريحة كبيرة، ومقبولة بشكلٍ عام، من السكّان الأميركيين الأفريقيين المسلمين. كما يعيش مسلمو جورجيا القادمون من خلفيات متنوّعة أخرى في المدينة وضواحيها. وتضمّ مدينة كلاركستون، بدورها، شريحةً كبيرةً من اللاجئين المسلمين، لا سيما من الصومال.

بالإضافة إلى ذلك، تضمّ جورجيا شركات كبرى، ووسائل إعلام، وأندية رياضية، ومكتبة رئاسية، فضلاً عن أكبر مطار في العالم. كلّ هذا جعل منها بيئةً متنوّعةً يختبر فيها مسلمو جورجيا أفضل وأسوأ ما تقدّمه لهم الحياة كمسلمين أميركيين.

بفضل كل ذلك، يمكن اعتبار جورجيا مختبراً مميّزاً لتحديد مقوّمات النجاح والفشل في النضال ضد رهاب الإسلام.

على سبيل المثال، حاول المشرّعون في ولاية جورجيا، غير مرة، إقرار قانون يمنع المحاكم من أخذ "القانون الأجنبي" في الاعتبار عند النظر في الدعاوى القضائية، في أحدث تجسيد لما يسميه النقاد هستيريا الشريعة الإسلامية.[198]

لكن لم يتمّ إقرار مشروع قانون جورجيا هذا بسبب معارضة المجموعات اليهودية والأوساط التجارية، حيث أعرب كلا الفريقين عن قلقهما بشأن المخاطر الرمزية والعملية التي يمثّلها هذا التشريع.

كذلك، يُعتبر التنمّر المدرسي مشكلةً بالنسبة إلى كلّ مجتمع محلي بطبيعة الحال، أكان أفراده من المسلمين أم لا. وفي هذا الإطار، لا تشذّ جورجيا عن هذه القاعدة.

أما جرائم الكراهية العنيفة ضدّ مسلمي جورجيا، فنادرة. فخلال السنوات العشر التي تلت حرق شخص لمسجد بالكامل في سافانا، لم يتعرض أي مسجد في جورجيا لضرر مماثل.[199]

يُعتبر خطاب الكراهية، من جهته، أكثر شيوعاً. فقد تلقى أفراد مساجد عديدة تهديدات بالقتل في أعقاب فوز دونالد ترامب بالانتخابات، لا بل إنّ أحد المساجد تلقى حوالى 30 رسالةً صوتيةً من أحد الأشخاص يهدّد فيها بإطلاق الرصاص على أفراده، وتفجيرهم، وقطع رؤوسهم، والتهجم عليهم.[200] تمّ توقيف هذا الشخص في وقت لاحق من العام الماضي على يد مكتب التحقيقات الفدرالي.[201]

حاولت عدة مقاطعات في جورجيا أن تبطّئ من وتيرة بناء المساجد أو تعرقلها، على غرار نيوتن كاونتي عام 2016. لكن ما لبثت هذه المقاطعة أن غيّرت مسارها وأعطت الإذن باستكمال البناء بعد تعرّضها لضغوطات من المجتمع المحلي، وبعد جولة من المفاوضات السرية، وموجة من الاستياء العام.[202]

لكنّ هذه المشاكل ليست حكراً على جورجيا التي تمثّل عيّنةً عما يجري على صعيد البلد بأسره. في هذا الإطار، يمكن تطبيق الاستراتيجيات الأربع التي استخدمناها لمعالجة هذه المسائل محلياً على المستوى الوطني، لا بل ربما على المستوى الدولي أيضاً.

1. توعية المجتمع المسلم

لا شكّ في أنّ الأشخاص الذين يجهلون حقوقهم لا يكونون قادرين على الدفاع عنها بسهولة. من هذا المنطلق، نظّم مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية في جورجيا، ومنظّمات أخرى تُعنى بالحقوق المدنية، عشرات الندوات في المساجد خلال السنوات الماضية بعنوان "اعرف حقوقك"، بحيث تكتسب المجتمعات المحلية المعارف والثقة اللازمة لحماية نفسها. ركّزت هذه الندوات بشكل خاص على الحالات التي يتعرّض فيها الأشخاص لتوقيف شرطيّ المرور، وزيارات المحاكم، والمقابلات مع مكتب التحقيقات الفدرالي، والرحلات عبر المطارات، فضلاً عن حقوق الشخص كموظف في مكان العمل.

من خلال هذه الخدمة التثقيفية، نحرص على أن يدرك المجتمع المحلي حقوقه وواجباته القانونية على السواء، وبالتالي نقلّص احتمال ألا يتمكّن مسلمو جورجيا، ممّن يتعرّضون للتمييز، من التماس سبل الانتصاف.

198 Zaid Jilani, "At Least 13 States Have Introduced Bills Guarding Against Non-Existent Threat of Sharia Law," ThinkProgress, February 8, 2011, https://thinkprogress.org/report-at-least-13-states-have-introduced-bills-guarding-against-non-existent-threat-of-sharia-law-49c0ab42be1f/

199 Ariel Hart, "Georgia: Arson Ruling in Mosque Fire," The New York Times, August 26, 2003, https://mobile.nytimes.com/2003/08/26/us/national-briefing-south-georgia-arson-ruling-in-mosque-fire.html

200 "CAIR Georgia Welcomes Arrest of White Supremacist Who Allegedly Phoned Threats To Georgia Mosque," CAIR Georgia, December 14, 2017, http://cairgeorgia.com/press-releases/488-cair-georgia-welcomes-arrest-of-white-supremacist-who-allegedly-phoned-threats-to-georgia-mosque.html

201 Ellen Eldridge, "Missouri Man Indicted Over Threats to Georgia Mosque," The Atlanta Journal-Constitution, December 14, 2017, https://www.ajc.com/news/local/missouri-man-indicted-over-threats-georgia-mosque/YolGclnZqPiXc0mb06fu8K/

202 Meris Lutz, "Ban Affecting Newton County Mosque Expires," The Atlanta Journal-Constitution, September 20, 2016, https://www.ajc.com/news/local-govt--politics/ban-affecting-newton-county-mosque-expires/z0HhbEq16CnS9ToD806u5H/

2. التواصل مع أشخاص من مختلف العقائد والخلفيات

لا ريب في أن التوعية هي أفضل لقاح ضدّ التمييز. لذا، شكّل "تحسين فهم الإسلام" جزءاً من مهمّة مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية منذ إنشائه.

وقد أكّدت الاستطلاعات على ما هو جليّ: فمن الأرجح أن يبدي الأميركيون الذين يعرفون مسلمين معرفةً شخصيةً ارتياحاً إلى المسلمين، في حين أنّ أولئك الذين لا يعرفون أيّ مسلمٍ يملكون، على الأرجح، نظرةً سلبيةً عن ذلك المجتمع.[203]

بناءً عليه، أنفق المجلس وقتاً ملحوظاً وطاقةً هائلةً لشرح الإسلام للأشخاص من الأديان الأخرى، مجيباً عن الأسئلة الصعبة المتعلقة بالمجتمع المسلم، وموجداً الفرص لنسج التعاون بين الأديان. فضلاً عن ذلك، يصبح الحوار بين الأديان شائعاً أكثر فأكثر، لكنه يجري في أغلب الأحيان بين المجتمعات الدينية التقدمية التي تُعتبر أكثر تقبلاً للتعايش مع أشخاص من أديان مختلفة.

يجب على المنظمات الأمريكية المسلمة ألا تتردد بفتح الحوار مع مجموعات دينية وسياسية محافظة - لا سيما- أولئك الذين يحملون أفكاراً مشبوهة تجاه المسلمين.

لذا، أطلق فرع المجلس في جورجيا قبل عدة سنوات برنامجاً توعوياً موجهاً نحو المحافظين سياسياً.[204] وبموجبه، يضافر نحو 20 مسجداً في جورجيا جهوده كلّ سنة لاستضافة مناسبة "زر مسجداً" التي تمتدّ على نطاق الولاية وتشجّع آلاف الجورجيين على زيارة المسجد الكائن في حيّهم.[205] ترحّب هذه المساجد بمختلف أنواع الزوّار والأسئلة على حدٍّ سواء.

صحيحٌ أنّ الحوار بهذه الطريقة الصريحة، لكن الودية، خطوة ضرورية لتغيير القلوب والعقول على المدى الطويل، لكنها تبقى غير كافية.

3. بناء الائتلافات مع المجتمعات الأخرى

منذ عشرين عاماً ومجلس العلاقات الأميركية الإسلامية يدعو، من خلال بيان أهداف مهمّته، إلى "بناء الائتلافات التي تروّج للعدالة والتفاهم المتبادل". وقد أضحى هذا البند أكثر أهميةً في السنوات الأخيرة.

بالفعل، ضاعف المكتب الرئيسي للمجلس وفروعه المتعدّدة الجهود لدعم المجموعات المهمّشة والمنبوذة الأخرى، على غرار الأميركيين الأفريقيين المتأثّرين بوحشية أساليب الشرطة، واللاتينيين المستهدفين بسياسات هجرة غير عادلة، وبقية المجموعات الدينية التي تطالها جرائم الكراهية، كالأميركيين اليهود والسيخ.

يجب على المنظمات الأمريكية المسلمة ألا تتردد بفتح الحوار مع مجموعات دينية وسياسية محافظة - لا سيما- أولئك الذين يحملون أفكاراً مشبوهة تجاه المسلمين.

تُنسج هذه التحالفات "المشتركة بين الطوائف" على المستوى الوطني أيضاً، لعلّ أبرزها يتجلى في عمل الناشطة ليندا صرصور.[206] فمن خلال توحيد مجتمعات مختلفة في مواجهة تهديد مشترك، تأمل الفئات المستهدفة حماية نفسها وبعضها بشكلٍ أفضل.

4. مكافحة جماعات الكراهية المعادية للمسلمين

حتى في ظلّ فتح باب الحوار بين المسلمين الأميركيين وجيراننا الآخرين، والتعاون مع بقية المجموعات المدافعة عن الحقوق المدنية، يبقى علينا مواجهة المتطرفين المعادين للمسلمين الذين يحاولون نشر آفة التعصّب. في هذا الإطار، أنشأ المكتب الوطني لمجلس العلاقات الأميركية الإسلامية، منذ زمنٍ طويل، قسماً لرصد رهاب الإسلام ومكافحته، يتتبّع الشبكة المعقدة من الجماعات المعادية للإسلام المنتشرة في مختلف أنحاء الولايات المتحدة، على غرار "آكت فور أميركا" لصاحبتها بريجيت غابرييل، و"أوقفوا أسلمة أميركا" لباميلا غيلر، و"مشروع كلاريون" لرايان مورو.[207]

تقتات هذه الجماعات، على غرار حزب لا أدري في الماضي، من الجهل، فتتاجر بالتعصّب سعياً لنبذ المسلمين الأميركيين وتهميشهم. وهي تتمتع بميزانية إجمالية من مئات الملايين من

203 Shibley Telhami, "What Americans Really Think About Muslims and Islam," Brookings Institution, December 9, 2015, https://www.brookings.edu/blog/markaz/2015/12/09/what-americans-really-think-about-muslims-and-islam/

204 Johnny Kauffman, "Ga. Muslim Group To Expand, Focus on Talks with Republicans," WABE, August 19, 2016, https://www.wabe.org/ga-muslim-group-expand-focus-talks-republicans/

205 Steve King, "Dozens Learn About Islam At Local Mosque," WJCL 22, March 11, 2017, http://www.wjcl.com/article/dozens-learn-about-islam-at-local-mosque/9122297

206 Ali Gharib, "Muslim, American, and Intersectional: The Activism of Linda Sarsour," American Civil Liberties Union, August 22, 2016, https://www.aclu.org/blog/immigrants-rights/muslim-american-intersectional-activism-linda-sarsour

207 "U.S. Islamophobia Network," The Council on American-Islamic Relations, accessed April 6, 2018. http://www.islamophobia.org/islamophobia-network/organizations.html

الدولارات، وفترات بث مجانية طويلة على فوكس نيوز، مما يمكّنها من بسط تأثير هائل على شريحة محدّدة من السكان الأميركيين.

ومع أنّ الاستراتيجيات الحكيمة تتطلّب من المسلمين أحياناً تجاهل هذه الجماعات تماماً، مخافة أن تستفيد من الخلافات العلنية التي تختلقها مع الناشطين المسلمين، إلا أنّ انتخابات 2016 تؤكّد خطورة تلك الجماعات عندما تكون قادرة على اكتساب النفوذ بشكل تدريجي، فالوصول إليه في نهاية الأمر.

بالفعل، يمثّل حظر دخول المسلمين، وغيرها من المحاولات المستمرة لحدّ الهجرة القانونية من البلدان المسلمة، تجسيداً لأمنية لطالما داعبت خيال كارهي الإسلام منذ سنوات. من هنا، لا بد من مجادلة جماعات الكراهية التي تقف وراء هذه السياسات، ونبذها، وإدانتها، بالمستوى نفسه من القوة المستخدمة لمعارضة المنظمات المعادية للسامية والمنظمات العنصرية.

5. تمكين المسلمين الأميركيين سياسياً

إذا كان لا بد من تحديد لحظة رمزية وضعت حداً نهائياً ورسمياً للتعصب الهائل ضد الكاثوليك، فستكون لحظة انتخاب الرئيس كينيدي. قد يبدو من المستحيل تخيّل مسلم أميركي يفوز برئاسة الولايات المتحدة في القريب العاجل. مع ذلك، يمكن للمسلمين، لا بل يجدر بهم، الاستمرار في شقّ الطريق لإحراز تقدّمات سياسية.

لكن قبل تسلّم كينيدي مقاليد الحكم بوقت طويل، كان الأميركيون الكاثوليك قد نجحوا في تشكيل كتلة انتخابية كبيرة ومعروفة، بسطت تأثيرها على المسؤولين المنتخبين. بعبارة أخرى، كان عليهم الترشّح للمناصب الانتخابية، وتسجيل ناخبين، والضغط على المسؤولين المنتخبين، وتأييد المرشّحين، والانخراط بشكلٍ جديّ في العمل السياسي.

هذا ما فعله بالضبط مرشّحون مسلمون بارزون عام 2018 في أريزونا، وميشيغان، وماساشوستس، وولايات أخرى، حيث نظموا حملات لمقاعد انتخابية مختلفة تتراوح بين منصب الحاكم، فمقاعد في الكونغرس ومجلس الشيوخ الأميركي. ويأمل المرشّحون من خلال ذلك أن يسلكوا الطريق التي مهدها لهم من قبلهم النائب كيث إليسون، والنائب أندريه كارسون، والنائبة عن مقعد الولاية إلهان عمر.

وسواء أفاز هؤلاء المرشّحون المسلمون أم لا في انتخابات العام 2018، فإنّ مشاركتهم في الانتخابات ضرورية جداً للنهوض بوضع المسلمين الأميركيين في السياسة وتمكينهم.

6. مكافحة التطرف بفعالية

لا بد من الإشارة أولاً إلى أنّ المسلمين الأميركيين غير ملزمين بالإعلان عن براءتهم مما لم تكن لهم علاقة به في المقام الأول، كما أنهم لا يتمتعون بقدرة خارقة تمكّنهم، بمفردهم، من وضع حدٍ للهجمات العنيفة التي تشنّها جماعات متطرفة.

مع ذلك، يجهر القادة المسلمون والمنظمات الإسلامية فعلاً بمعارضتهم للعنف الظالم الملصق بعقيدتنا لأنه التصرف الصائب. زد على أنّ المجاهرة تدحض الادعاء القائل إنّ المسلمين الأميركيين لا يفصحون عن رأيهم أبداً، على حدّ ما يعتبر العديد من الأميركيين الذين لا يتصوّرون البتة أنّ أعمال العنف الفظيعة المضخمة عبر وسائل الإعلام لا تعكس آراء المسلمين أو تعاليم الإسلام.

قبل شهرين من مذبحة أورلاندو، استضاف مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية ندوته السنوية الأولى بعنوان "مسلمون ضد التطرف"[208]. جمعت هذه المناسبة خبيراً من مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية في جورجيا، بالإضافة إلى خبير مسلم في شؤون الجماعات المتطرفة من مركز كارتر، وإمام من جورجيا كان قد نجا من إحدى الهجمات الإرهابية.

ردّ المتكلمون الثلاثة بشكل مباشر على الحجج التي يستخدمها المتعصّبون المعادون للإسلام والمتطرفون الإسلاميون على السواء لتبرير آرائهم، ودحضوها. وقد سعوا، من خلال ذلك، إلى تزويد الأئمة والقادة المحليين الآخرين بأدوات يمكن استخدامها لدحض رهاب الإسلام والآراء المتطرفة على السواء، في حال صادفوا مثل هذه الآراء ضمن المجتمع المسلم، مع العلم أنّ هذا الأمر يزداد ندرةً يوماً بعد يوم.

عند ظهور تنظيم الدولة الإسلامية للمرة الأولى، لم يتوانَ المركز الوطني لمجلس العلاقات الأميركية الإسلامية وبقية المنظمات الإسلامية بمضافرة القوى من أجل نشر رسالة مفصّلة تدحض فيها حجج المجموعة المتطرفة واحدةً تلو الأخرى. ولعلّ هذا ليس إلا واحداً من الأمثلة التي تظهر كيف وقف المسلمون، هنا وفي الخارج، في وجه التطرف في الأوساط الخاصة وداخلياً.[209]

تتعارض هذه الجهود تعارضاً واضحاً مع برامج مكافحة

208 "Muslims Rebutting Extremism," CAIR Georgia, August 29, 2017, http://www.cairgeorgia.com/press-releases/469-muslims-rebutting-extremism-cair-georgia-hosts-2nd-annual-seminar-on-islamophobes-terrorists.html

209 "Global Condemnations of ISIS/ISIL," Islamic Networks Group, accessed April 6, 2018. https://ing.org/global-condemnations-of-isis-isil/

التطرف العنيف التي تديرها الحكومة وتموّلها والتي يمكن القول إنها تضرّ أكثر مما تنفع، لا سيّما وأنها تلقي بظلال من الشك على المسلمين الأميركيين من دون أن تجدي نفعاً في مكافحة خطر التطرف الفعلي. بالإضافة إلى ذلك، تفتقر هذه البرامج إلى المصداقية التي تمكّنها من الحصول على دعم مجتمع المسلمين الأميركيين، أو حتى دعم فرد واحد يتأرجح على حافة الأفكار المتطرفة.[201]

حتى برنامج مكافحة التطرف العنيف الفعال- في حال وُجد مثل هذا الأمر- يُعد مجرّد إجراء دفاعي مصمّم لمعالجة الأعراض، لا شفاء المرض نفسه، مما ينقلنا إلى النقطة التالية.

7. الوصول إلى سياسة خارجية أميركية عادلة

إذا كان الإرهاب عاملاً أساسياً يساهم في نموّ رهاب الإسلام، فإنّ إنهاءه يتطلّب منا حلّ المشاكل التي تفضي إليه. لكن إلى أن يتمّ الوصول إلى ذلك، سيبقى المسلمون الأميركيون على بعد خبر عاجل واحد من الغرق تحت أنقاض رهاب الإسلام.

مع أنّ الجماعات الإرهابية، على غرار تنظيم الدولة الإسلامية وبوكو حرام، تصف نفسها كمخلوقات أيديولوجية جاهزة لقتل أو إخضاع كل من يخالفها الرأي، فإنّ جهات إرهابية أخرى تميل إلى تبرير أعمالها الوحشية العنيفة من خلال الاستشهاد بالمظالم السياسية التي ترتكبها السياسة الخارجية الأميركية.

بالفعل، اشتكى بعضٌ من أفظع الإرهابيين، بمن فيهم أسامة بن لادن[211]، ومفجّر ماراثون بوسطن الذي نجا من التفجير[212]، والشخص الذي حاول تفجير تايمز سكوير[213]، لا بل حتى مرتكب جريمة القتل الجماعية في ملهى بالس الليلي في أورلاندو،[214] من جوانب مختلفة تشوب السياسة الخارجية الأميركية- كتواجد القوات الأميركية في الشرق الأوسط، وشنّ ضربات جوية بواسطة طائرات بلا طيار، والتأييد الأميركي لطريقة تعامل إسرائيل مع الفلسطينيين، إلخ.

فلنكن واضحين: لا يجدر بأي دولة أن تغيّر سياستها الخارجية تهدئةً لروع الجماعات المتطرفة، ولا يمكن للولايات المتحدة توقع اختفاء تهديدات العنف بشكلٍ فجائي وكامل إن فعلنا ذلك. لكنّ الدعوة إلى سلام عادل من أجل الفلسطينيين، وإنهاء دعم الأنظمة الدكتاتورية الفاسدة في العالم العربي، وإغلاق سجن خليج غوانتانامو، وإيقاف العمليات العسكرية الظالمة في الشرق الأوسط هو، بكل بساطة، سياسة أخلاقية سليمة.

من المنافع الإضافية المتأتية عن معالجة هذه القضايا، توقّع تراجع حقيقي في القدرة على تعبئة المتطرفين. وإذا ما تراجعت القدرة على تعبئة المتطرفين، فسيتراجع عدد الهجمات، مما يعني في نهاية المطاف وكما هو مؤمّل، اتجاه تنازلي في مشاعر رهاب الإسلام.

الخاتمة

لا يعتبر رهاب الإسلام بظاهرة جديدة، على أكثر من صعيد. فالمسلمون الأميركيون هم، بكلّ بساطة، أحدث أقلية دينية تواجه حملةً منهجيةً من التعصّب والتمييز. فقد واجهت مجتمعات أخرى قبلنا هذا النوع من التنكيل، وقد تواجهه مجتمعات أخرى من بعدنا.

إذا كان التاريخ يكرّر نفسه كلياً، فسيخرج المسلمون الأميركيون من هذا المأزق في نهاية المطاف وهم أقوى مما كانوا عليه قبل بدايته. غير أنّ الأشخاص ذوي النية الحسنة، من المعتقدات كافة، لا يستطيعون الانتظار، أو التشبّث بالأمل، ريثما تحلّ عليهم هذه النتيجة.

لما كان رهاب الإسلام يتأتى عن مجموعة معقدة من العوامل المترابطة- المحلية منها والدولية-، تبقى الطريقة الأكيدة والوحيدة للتغلّب عليه على المدى الطويل هي إجراء معالجة العوامل الكامنة التي تذكيه.

من هنا، يجب على المسلمين الأميركيين مواصلة الدفاع عن حقوقهم المدنية، والتواصل مع جيرانهم من الأديان الأخرى، ومكافحة مجموعات كراهية المسلمين، ومحاولة التمكّن سياسياً عبر صناديق الاقتراع، والضغط على حكومتنا لاعتماد سياسة خارجية أكثر عدلاً وأخلاقية.

من خلال ذلك، يمكن للمسلمين الأميركيين أن يتأمّلوا تقليص نطاق رهاب الإسلام في نهاية الأمر، وتحويله من تهديد إلى مجرّد مصدر إزعاج لا أكثر.

210 Eric Rosand, “Fixing CVE in the United States requires more than just a name change,” Brookings Institute, February 16, 2017, https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2017/02/16/fixing-cve-in-the-united-states-requires-more-than-just-a-name-change/

211 “Bin Laden Claims Responsibility for 9/11,” Fox News, October 30, 2004, http://www.foxnews.com/story/2004/10/30/bin-laden-claims-responsibility-for-11.html

212 “Prosecutors: Boston Bombing Suspect Scrawled Motive of Attack Inside Boat,” The Guardian, March 2, 2015, https://www.theguardian.com/us-news/2015/mar/02/boston-bombing-pretrial-hearing-suspect-boat-evidence

213 “Times Square Bomber Faizal Shahzad Pleads Guilty ‘100 Times,’” The Telegraph, June 22, 2010, https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/northamerica/usa/7845570/Times-Square-car-bomber-Faisal-Shahzad-pleads-guilty-100-times.html

214 Glenn Greenwald and Murtaza Hussain, “As the Trial of Omar Mateen’s Wife Begins, New Evidence Undermines Beliefs About the Pulse Massacre, Including Motive,” The Intercept, March 5, 2018, https://theintercept.com/2018/03/05/as-the-trial-of-omar-mateens-wife-begins-new-evidence-undermines-beliefs-about-the-pulse-massacre-including-motive/

أربعة دروس نتعلّمها من فرنسا لمكافحة رهاب الإسلام على مستوى السياسات

مروان محمد

مجموعة مناهضة رهاب الإسلام في فرنسا

لقد زوّدتنا السنوات الخمس عشرة الأخيرة بما يكفي من الخبرة (على حسابنا الخاص أحياناً) لتبيّن ما يُجدي وما لا يُجدي عند محاولة معالجة رهاب الإسلام في فرنسا.

تاريخياً، تعتبر فرنسا نفسها بلد حقوق الإنسان، والمكان الذي تلتقي فيه الحريات الأساسية بالعقلانية، وحيث يجد المفكّرون الأحرار ملاذاً آمناً، قائماً على تقليد راسخ من المناقشات العامة المحتدمة لكن المتحضّرة جداً في الوقت عينه. يُعتبر هذا الاعتقاد مترسّخاً جداً في نظرتنا إلى أنفسنا كشعب فرنسي، لدرجة أنه لا يترك أي مجال لإجراء فحص نقدي لما شهدته فرنسا على مدى الأجيال الماضية حول مسألة الأعراق (بصفتها تركيبةً اجتماعية وسياسية) والأديان.

في الواقع، يتمّ التعامل مع أي انتقادٍ صادر من داخل فرنسا وكأنه تهجم على نموذج الجمهورية، أو كمحاولة لزرق الشقاق وتأجيج نار "الهوية المجتمعية المحلية" (وهي إهانة كبرى تُوجّه إلى أي شخص أسود، أو عربي، أو مسلم، أو آسيوي، أو ينتمي إلى شعب الروما، ممّن يتجرأ على التحدّث عن نشاطات للفئة التي يمثّلها).

أما بالنسبة إلى الانتقادات الصادرة من خارج فرنسا، فيتمّ تجاهلها باعتبار أنها ناجمة عن سوء فهم ثقافي، مع اعتقاد ثابت بأنّ الجمهور الخارجي لا يستطيع استيعاب مفهوم "العلمانية" والقيم التحريرية للعالمية الفرنسية، هذه القيم التي يبدو أنها لا تنطبق إلا إذا تمّ رسمها على يد جمهور من الذكور البيض وأصحاب النفوذ بشكلٍ أساسي.

فضلاً عن ذلك، عندما تطلب الشرطة من المسلمات خلع ملابسهنّ على شواطئ الريفييرا (التي لم تعد مبهرةً إلى هذا الحدّ)، بتأييدٍ كامل من رئيس الوزراء (آنذاك) إيمانويل فالس،[215] أو عندما تزعم وزيرة حقوق المرأة، لورانس روسينيول، أنّ المسلمات المحجبات هنّ "ناشطات سياسيات" شبيهات "بزنوجٍ مؤيدين العبودية"،[216] يمسي من الصعب التفكير في أي سياق أو تبرير يمكن أن يخفّف من نطاق هذه التصريحات التدميرية والمجحفة الصادرة عن أرفع مستوى حكومي، أو يقلّص أثرها العنيف على مجتمعات السود والمسلمين.

في هذا الإطار، نشأت مجموعة مناهضة رهاب الإسلام في فرنسا عام 2003 لتزويد ضحايا التمييز وجرائم الكراهية بالدعم القانوني والنفسي الذي يحتاجون إليه. ففي وقت كان فيه حظر الحجاب في المدارس الرسمية محطّ جدال (مع الإشارة إلى أنه قد تمّ تلطيف التسمية لاحقاً لتصبح "قانون العلامات التي تُظهر الانتماء الديني في المدارس الرسمية")، تشكّلت المنظّمة استناداً إلى أنّ حرمان المسلمات (الصغيرات) من التعليم، وإخبارهنّ أنّ الأمر لمصلحتهنّ الخاصة، فكرة خاطئة في الصميم.

منذ ذلك الحين، سُجّلت محاولات مستمرّة لتعميم هذا الإقصاء وتوسيع نطاقه ليطال مجالات أخرى (كالجامعات، وأماكن العمل، لا بل حتى منازل النساء العاملات في مجال رعاية الأطفال)، كل ذلك باسم "العلمانية". وبمساعدة المجتمعات المحلية وبقية المنظمات غير الحكومية، نجحنا في إيقاف معظم هذه الهجمات على الحريات الأساسية، لكن بعد 15 سنة على بدء مجموعة مناهضة رهاب

215 " "Burkini" : Manuel Valls désavoue Najat Vallaud-Belkacem En savoir plus sur," Le Monde, August 25, 2016. http://www.lemonde.fr/religions/article/2016/08/25/burkini-manuel-valls-desavoue-najat-vallaud-belkacem_4987686_1653130.html

216 Frantz Durupt, "Laurence Rossignol et les «nègres qui étaient pour l'esclavage»," Libération, March 30, 2016. http://www.liberation.fr/france/2016/03/30/laurence-rossignol-et-les-negres-qui-etaient-pour-l-esclavage_1442820

الإسلام عملها، بات من الصعب جداً رسم صورة إيجابية للوضع في فرنسا عند تقييم حال المسلمين فيها.

لقد تعاملنا مع جرائم كراهية، وتدنيس للمقابر، وحرق للمساجد وتحقير لها، محرزين تقدّمٍ مع اكتسابنا خبرةً في استراتيجياتنا الإعلامية وتلك المتعلقة بالمنازعات القضائية، وكذلك في مجال التنظيم.

وعندما خلنا أنّ مهمّتنا تكاد تنتهي، حيث بدأنا نقطف ثمار ما تمرّسنا فيه بشقّ النفس، ونحوّل مشاريعنا من ردّ الفعل إلى الوقاية، حملت الهجمات الإرهابية التي شهدتها السنوات الثلاث الماضية موجةً غير مسبوقة من القمع اختبره المسلمون في فرنسا.

بالفعل، أعادت الهجمات على شارلي هيبدو، ومتجر الأطعمة اليهودية الحلال، ومسرح باتاكلان، وسان دوني، وسان إتيان دو روفراي، ونيس، التي حصدت مئات الضحايا في صفوف المدنيين، العنف الإرهابي إلى الأراضي الفرنسية. واليوم، عندما نستعيد ما حدث، يمكننا القول إنّ هذه الهجمات شكّلت تبريراً لتحوّل واسع النطاق نحو سياسة المحافظين الجدد، بحجة حفظ الأمن، ليكون هذا التحوّل نتيجةً حتميةً ومدمّرةً على السواء. ولعلّ حالة الطوارئ هي الترجمة السارية لتطبيق هذا التحوّل في السياسة على أرض الواقع.

إذا عرّفنا رهاب الإسلام كتجسيد لمشكلة يمثّلها المسلمون، يمكن القول إنّ المسلمين، بعد اعتبارهم تجسيداً لمشكلة ثقافية، ودينية، ومشكلة هوية، باتوا يُعتبرون اليوم مشكلةً أمنية. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ اعتبارهم مشكلة أمنية- وهو أمرٌ يغطي معظم مظاهر رهاب الإسلام في الولايات المتحدة منذ 11/9، وفي المملكة المتحدة منذ 7/7- يُعتبر حديثاً نسبياً في فرنسا.

انطلاقاً من هذه التجربة الشمولية، ومن خلال التعمّق في أوجه الشبه والاختلاف مع بقية الدول في أميركا الشمالية، وأوروبا، وأفريقيا، وآسيا الوسطى، نقدّم توصيات يمكن تطبيقها في سياقات عدة. فإذا ما تمّ تطبيقها فعلاً استناداً إلى نهجٍ منطقي وإنساني في آن، قد تساعدنا في إحراز تقدّم، مثبتةً أنّ المخاوف المتعلقة بالأمن وحقوق الإنسان ليست غير قابلة للتوفيق، بل على العكس، تغذي الواحدة منهما الأخرى وتعزّزها.

معالجة مختلف أشكال التعصّب، بدءاً من خطاب الكراهية إلى جريمة الكراهية.

عند دراسة مختلف أشكال التعصّب والعنصرية في عصرنا الحديث (ضدّ الآسيويين، واليهود، والمسلمين، والسود، والروما، وأقليات أخرى)، نلاحظ أنّ إحدى الأفكار المتكررة هي الطبيعة غير العشوائية لهذه الظواهر. فلا يخفى على أحد أنها تقتات من نوعين من العمليات، هما: العنصرية المنهجية والعنصرية ما بين الأشخاص.

> إذا عرّفنا رهاب الإسلام كتجسيد لمشكلة يمثّلها المسلمون، يمكن القول إنّ المسلمين، بعد اعتبارهم تجسيداً لمشكلة ثقافية، ودينية، ومشكلة هوية، باتوا يُعتبرون اليوم مشكلةً أمنية.

تتجلى العنصرية المنهجية في الأنظمة، لا بل تكون مستحدثة (و/أو مدعومة) من قبل الدولة أحياناً. وهي تتميّز بديمومتها، وثباتها، وارتباطها الجوهري ببنى السلطة. يُعتبر ممارسو هذا الشكل من العنصرية الأقرب إلى المذهب النفعي. زد على أنّ لهذه العنصرية هدف سياسي واجتماعي. فسياسياً، تخدم مصالح انتخابية، لا سيما إذا وَجد زعيم أو حزب في إقصاء إحدى الأقليات وإلصاق صفة الشر بها جائزةً سياسيةً له. فعندما يخال أحد المرشّحين أنه يستطيع تحقيق مكاسب سياسية من خلال تصوير المسلمين كخطر على هويتنا وأمننا، لا يجدي الواقع والمعارف الأكاديمية نفعاً في أغلب الأحيان، خاصةً وأنّ الخطابات السياسية لا تخاطب العقلانية بل العواطف والانفعالات. والسياسيون هم، في نهاية المطاف، مخلوقات تعشق العقلانية والميل إلى التجريبية في أجواء الانتخابات. أما اجتماعياً، فيكرّس هذا النوع من العنصرية النُّخب من خلال التمييز. في هذا الإطار، يُعتبر حرمان مجموعة من الوصول إلى الإعلام، أو المجال الأكاديمي، أو أي منصب قوة أو نفوذ، صفةً ثابتةً من صفات العنصرية. أدى ذلك طبعاً إلى تركّز رهاب الإسلام بشكلٍ أساسي، على امتداد السنوات الخمس عشرة الماضية في فرنسا، على الرفض المستمر لرؤية المسلمين (لا سيما النساء) في أي منصب بارز أو ذي مسؤولية، حيث يمكنهم الطعن في الوضع القائم. ولعلّ صرف رقية ديالو (صحافية وناشطة ضد العنصرية) مؤخراً من مجلس استشاري حول تكنولوجيا الويب ما هو إلا أحدث مثال على كيفية اجتماع

217 "France Fails to Face Up to Racism," Editorial, The New York Times, December 28, 2017. https://www.nytimes.com/2017/12/28/opinion/france-racism-rokhaya-diallo.html

التحيّز ضد المسلمين، والسود، والنساء في حالة واحدة.[217] فكل ما تطلّبه الأمر هو بضع تغريدات عنصرية، ورسالة من نائب ينتمي إلى اليمين البديل ضغط فيها على الحكومة، لصرف الصحافية الموهوبة من عملها في الحال.

أما العنصرية بين الأشخاص، فتتجلى بشكلٍ أساسي من خلال خطاب الكراهية على وسائل التواصل الاجتماعي وجرائم الكراهية، كما إنها التجسيد الأكثر شيوعاً للمشكلة. فهذا هو شكل العنصرية الذي يحصد قتلى وجرحى، وهو الذي ينمي الفكرة القائلة إنّ النُخب لا يتحملون القسم الأكبر من المسؤولية في ما يتعلق بالعنصرية. أصحاب هذا الرأي يصفون العنصرية بأنها ثمرة ثرثرة الجاهلين التي تشهد، في بعض الأحيان، تصعيداً حتى الوصول إلى العنف الجسدي. في مثل هذه الحالة، يسهل وصف العنصرية على أنها مرضٌ يسري بين الفقراء نتيجة الافتقار إلى المعرفة وعدم اختبار مظاهر التنوّع.

من غير المستغرب إذاً أن تكون العنصرية بين الأشخاص محور التركيز الأساسي (إن لم نقل الوحيد) للمبادرات التي تموّلها الدولة بهدف مكافحة العنصرية في فرنسا. فعندما تجرأت نقابة المعلّمين على تنظيم ورشة عمل حول كيفية التعامل مع العنصرية الجماعية ضمن المؤسسات، أقدم وزير التربية، جان ميشال بلانكيه، على مقاضاتها بتهمة القدح والذم، بعد استخدامها عبارة "عنصرية الدولة" في أحد إصداراتها. يا لحرية التعبير التي تتغنى بها البلاد، كما كان ليقول هاشتاغ #أناشارلي.

التوصيات:

- يجب الفهم أنّ رهاب الإسلام، شأنه شأن أي شكل آخر من العنصرية المعاصرة، ليس عبارة عن مجموعة من الأحداث العشوائية، بل ظاهرة ذات عوامل هيكلية وسياقية يجب معالجتها كلها.
- عدم الاكتفاء بتطبيق برامج توعوية حول التنوع، بل إجراء تحليل معمّق وتدقيق للسياسات ومدى تأثيرها على الأقليات، بهدف معالجة العنصرية الهيكلية.
- التعاون مع شبكات التواصل الاجتماعي لتحديد خطاب الكراهية ضمن تصنيفاتها واستناداً إلى خوارزمياتها الخاصة بالاقتراحات، والتخفيف من بروزه وأهميته، فضلاً عن التعاون مع السلطات ومنظمات المجتمع المدني عند مواجهة تهديدات وتحريضات جدية على العنف.
- تطوير نهج شمولي يأخذ في الاعتبار كلٍّ من مظاهر رهاب الإسلام (خطاب الكراهية، جريمة الكراهية، التمييز)، وجذورها الأيديولوجية والسياسية، للتأثير على الوضع بإيجابية والدعوة إلى تحمّل المسؤوليات على المستوى السياسي.

عدم اقران المشاكل بالإسلام، بل التفكير فيها ومعالجتها بعقلانية

خلال السنوات الخمس عشرة الماضية، بات من المسلّم به على نطاق واسع، ومن دون إجراء تقييم جدي لمثل هذا الافتراض، أنّ "الإسلام" مفهوم فضفاض يُستخدم لتفسير كل شيء تقريباً. وبناءً عليه، كانت أي مشكلة تظهر في مجتمعنا، يمكن لصقها، وإن من بعيد، بأي شخص مسلماً، أو عربياً، أو أسود البشرة، أو كل من يعيش في ضواحي فرنسا المحرومة، تُقرن بالإسلام في نهاية الأمر.

الأمن مشكلة ناجمة عن المسلمين، وقد باتت هذه المشكلة أكثر إلحاحاً من ذي قبل مع الهجمات الإرهابية الأخيرة التي ارتكبتها الجماعات التي تصف نفسها بالمسلمة. التحيّز الجنساني مشكلة ناجمة عن المسلمين، مع مجادلة الكثير من دعاة الحركة النسوية الذين أنتجهم العصر بأنّ الحجاب رمز ساطع على مدى "خضوع" المسلمات. الترويج للمعتقدات الدينية في المدارس مشكلة ناجمة عن المسلمين، مع مراقبة أطفال المسلمين عن كثب للتأكد من عدم تحولهم إلى الراديكالية (أي عدم استخدامهم عبارات دينية عند تناول الطعام أو حمد الله!). التعرّض لحقوق الحيوان مشكلة ناجمة عن المسلمين، بما أنّ عيد الأضحى مناسبة دائمة لمطالبة المجموعات الكارهة للإسلام بحظر ذبح الحيوانات وفق الشعائر الدينية، كاشفةً عن اهتمام فجائي (وسطحي على السواء) بكيفية معاملة الحيوانات في صناعة الأغذية. واللائحة تطول وتطول، مع بحث كارهي الإسلام المستمرّ عن أساليب جديدة لإلصاق المشاكل الجدية التي يعاني منها المجتمع بالإسلام.

لكن عندما نلقي باللوم على المسلمين، نتجنّب إجراء أي تحليل منطقي لكيفية نشوء هذه المشاكل في الواقع، كما نبدّد أي فرصة حقيقية لمعالجتها بشكل فعال. فلطالما كان إلصاق المشاكل بالإسلام طريقةً لجعله مصدراً للمشاكل، مما يغذي أشكال رهاب الإسلام الهيكلية والسياسية (راجع أعلاه). فضلاً عن ذلك، شكّل هذا الأمر أحد أبرز مظاهر إلهاء العامة في تاريخنا السياسي الحديث: فما الداعي إلى تبرير فشل الحكومة المتكرر في تصويب المشاكل الأمنية والتفاوت المستمر بين الجنسين، عندما نستطيع إطلاق هاشتاغ متعلق بالمسلمين، فشنّ عاصفة من التغريدات تبعد الناس عن إجراء تقييم جديّ للسياسات العامة؟

لا يخفى على أحد أنّ الإرهاب، والتحيّز الجنساني، والتنوع في المدارس، واعتماد نهج أخلاقي في صناعة الأغذية تحديات معاصرة تستدعي اهتمامنا الكلي. لكنها ليست مشاكل "إسلامية" بل على العكس مشاكل عالمية الطابع لا تقتصر على أي مجموعة إثنية- ثقافية أو دينية.

التوصيات:

- عدم إلصاق الإسلام بالمسائل المثيرة للقلق واعتماد نهج قائم على الأدلة لتشخيص أي موضوع.
- عند تفسير أي تصرّف يطرح مشكلة أو أي سلوك جرمي، يجب التركيز على ما يفعله الأشخاص عوضاً عن تسليط الضوء عمّن يكونون. فالمواقف الجرمية و/أو الهامشية تكون أكثر ارتباطاً بخياراتنا عوضاً عن هويتنا.
- احترام الاتفاقات الدولية (منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، الأمم المتحدة إلخ.)، مع الإعلان بشكل واضح وصريح أنه لا ينبغي أبداً ربط السياسات ذات الصلة بالجرمية بأقلية إثنية- ثقافية أو دينية معيّنة.

العمل مع المجتمعات المحلية لا على شؤونها.

من السمات الدائمة (والمتوافق عليها بشكل واسع) للعلاقة بين المجتمعات المسلمة والدولة هي اعتقاد الحكومة بأنّ فرض السيطرة على المسلمين واجب عليها. يتجلى ذلك من خلال أمرين:

المراقبة: تضمّ معظم الحكومات فرق عمل خاصة لمراقبة المنظمات غير الحكومية المسلمة، فضلاً عن القادة، والمفكرين، والأئمة، والشخصيات العامة البارزة المسلمة. وقد انطوت عدة من هذه البرامج على أساليب اختراق، واستخدام التهديدات أو الرشاوى. كمثال على ذلك، ساعدت مجموعة مناهضة رهاب الإسلام عام 2014 لاجئاً فلسطينياً كانت السلطات قد هدّدت بسحب إجازة الإقامة منه إذا لم يوافق على اختراق المسجد المحلي وتزويدها بمعلومات سرية عنه.

إصدار الأوامر: تقدّم السلطات، من خلال مكتب خاص ضمن وزارة الداخلية، توجيهات تحدّد كيف يجدر بالمسلمين تنظيم أنفسهم. تُعتبر هذه "الاقتراحات" شرطاً لاستمرار التعاون مع الحكومة. عام 2016، ذهبت الحكومة إلى ما هو أبعد من ذلك: فبعد أن ملّ وزير الداخلية آنذاك، برنار كازانوف، من التواصل مع الاتحادات والمنظمات الإسلامية، عمد إلى إنشاء منظمة للإسلام في فرنسا، معيّناً لرئاستها... وزير داخلية سابق، هو جان بيار شيفينمان، الذي عُرف بتسميته الشباب المقيمين في الضواحي "بهمج"[218] عام 1999، وبطلبه من المسلمين أن يكونوا "أكثر تكتّماً"[219] بمجرّد أن تم تعيينه. لقد كان المسلمون متكتّمين فعلاً حيال قرار تعيينه لتمثيلهم، بما أنّ أحداً لم يستشرهم بشأن هذه الخطوة بكل بساطة.

يبسط هذان العاملان تأثيرهما منذ زمن الاستعمار. أما الجديد، فطريقة تطوّر تقنيات السيطرة ومحفّزاتها بأساليب غير منطقية غالباً. على سبيل المثال، قد يخال المرء أنّ العمل مع المجتمعات المحلية مفيدٌ لتقييم كيف تريد هذه المجتمعات تنظيم نفسها واختيار طريقة تمثيلها. لكن ليست هذه هي حال المسلمين في فرنسا. فعندما ينظّمون أنفسهم فعلاً ويتجمّعون لبناء المبادرات والمشاريع، يتمّ إدراجهم على اللائحة السوداء بكلّ بساطة.

كما لاحظنا أعلاه، تخلّف المشاكل التي نواجهها اليوم تأثيرها علينا كلنا. فكيف عسى بحكومة إذاً أن تعالج هذه الأمور من دون مشاركة وإشراك 10% من مواطنيها؟

إذا كان بعض هذه المشاكل حساساً ويتطلّب وجود عامل الثقة، فكيف يمكن لأيّ منظمة أو مجتمع محلي أن يتواصل مع حكومةٍ تتعاطى معه على أنه تهديد، أو كمواطنين من الدرجة الثانية الذين لا يستطيعون التعبير عن رأيهم واتّخاذ قرار بأنفسهم.

التوصيات:

- إذا كان مبدأ "العلمانية" ينصّ على فصلٍ واضح بين الدولة والكنائس (أي المجموعات الدينية)، يمكن الاستنتاج من هذا المفهوم أنه يجدر بالحكومة ألا تتدخل في طريقة تنظيم المجتمعات الدينية لنفسها، أو مصادرة صوتها عندما تعبّر عن رأيها من دون إذن أو تنتقد أمراً معيّناً.
- عند تصميم خطط عمل لمواجهة رهاب الإسلام، يجب العمل مع المجتمعات المحلية لتحديد أكثر مظاهر المشكلة شيوعاً وأخذ مخاوفها في الاعتبار.

218 "«Sauvageon», le mot qui fâche," Libération, January 12, 1999. http://www.liberation.fr/france/1999/01/12/sauvageon-le-mot-qui-fache_263424

219 Geoffroy Clavel, "Jean-Pierre Chevènement enchaîne les bourdes sur l'islam: un républicain ancienne école en terrain miné," Huffington Post France, August 29, 2016. http://www.huffingtonpost.fr/2016/08/29/islam-discret-monde-musulman-chevenement-bourdes_n_11758094.html

- إشراك خبراء في المواضيع من ضمن المجموعات المتضررة بكل شكل من أشكال العنصرية.
- التشجيع على النقاش وتنظيم المبادرات الشعبية، على أن تكون دامجةً قدر الإمكان، مع تعمّد التركيز على النساء والشباب، تسهيلاً لحقّ المجتمعات المحلية في تقرير مصيرها واختيار ممثّليها بصورة مستقلة.

عند استخدام البيانات وتنظيمها بقصد تعزيز الوصول إلى كافة الفرص على قدم المساواة، تصبح هذه البيانات أداةً عظيمةً لتحديد المجالات التي تشهد أكبر قدرٍ من التمييز، وقياس مدى فعالية السياسات العامة في تصويبها. هذا من جهة. أما من جهة أخرى، فعندما تُقدم الوكالات الحكومية على استخدام البيانات سراً أو من دون إشراف أو تنظيم، فستساعدها هذه البيانات في التطفل على الأسر والأفراد، مزوّدةً إياها بمعلومات عنهم قد تعرّضهم لضرر كبير.

إستخدام البيانات لقياس مستوى الإجحاف، لا تعزيزه.

البيانات أداةٌ خطيرة ومؤثّرة. وفي زمنٍ يكسر فيه تطوّر تكنولوجيا المعلومات القيود الرقمية، يصبح وجه استخدامنا للبيانات مسألة خيار، لا قدرات. في هذا الإطار، تُعتبر الأقليات، بشكلٍ خاص، هدفاً سهلاً لهذا التناقض في خصائص البيانات.

عند استخدام البيانات وتنظيمها بقصد تعزيز الوصول إلى كافة الفرص على قدم المساواة، تصبح هذه البيانات أداةً عظيمةً لتحديد المجالات التي تشهد أكبر قدرٍ من التمييز، وقياس مدى فعالية السياسات العامة في تصويبها. هذا من جهة. أما من جهة أخرى، فعندما تُقدم الوكالات الحكومية على استخدام البيانات سراً أو من دون إشراف أو تنظيم، فستساعدها هذه البيانات في التطفل على الأسر والأفراد، مزوّدةً إياها بمعلومات عنهم قد تعرّضهم لضرر كبير.

يُحظّر استخدام البيانات الإثنية والدينية في مجال المناصرة في فرنسا بشكلٍ عام. فيضطر الخبراء في مجال الإحصاءات والديموغرافية إلى بذل جهود كبيرة للبحث عن منهجية ملائمة، وتحديد سبل بديلة، لقياس التمييز وأنماط الدمج وتقييمها. مع ذلك، لا تنفكّ الدراسات تؤكّد وجود نمط من التمييز ضد الأقليات[220]، فضلاً عن تطبيق مجموعة غير فعالة من السياسات العامة لعكس مسار هذا الوضع.[221]

في الوقت عينه، طبّقت الحكومة مجموعةً من سياسات مكافحة الإرهاب التي زوّدت الوكالات الاستخباراتية بقدرة غير مسبوقة على الوصول إلى البيانات الشخصية وتقنيات المراقبة. في هذا الإطار، تتحوّل الدولة، من خلال خدماتها الأساسية والاجتماعية الأبرز (كالرعاية الصحية، والتعليم، والإدارة) إلى ماكينة عملاقة لتوليد البيانات، معتمدةً مجموعة من العلامات لتمييز المسلمين عن غيرهم، في إطار ما يُسمّى "بالقضاء على الراديكالية".

لكنّ هذه العلامات فضفاضة لدرجة أنّ أي نشاط ديني قد يتسبب بإدراج شخص ما على قائمة المراقبة، من دون توفّر أي آلية شفافة لتقييم مدى صحة الادعاءات. ومع أنّ مجلس الشيوخ أصدر تقريراً فضح فيه عيوب هيكلية "القضاء على الراديكالية" ومواطن فشلها،[222] يستمرّ تجميع البيانات من دون أيّ حسيب ولا رقيب من هيئة مستقلة.

خلال السنة الأولى من تطبيق حالة الطوارئ، وبناءً على هذه البيانات، تمّـت مداهمة أكثر من 4400 منزل، أدت إلى فتح ستة تحقيقات فقط حول حالات متعلقة بأنشطة إرهابية محتملة (لم يُبتّ فيها بعد). ومن أصل هذه المداهمات، تدخلت مجموعة مناهضة رهاب الإسلام في 431 حالة (تشمل مداهمات وإقامة جبرية). وأظهرت كافة القضايا التي أحيلت إلى المحاكم أنه قد تمّ الاشتباه بالأسر، فاقتحام منازلها، من دون الاستناد إلى أساس وجيه. نتيجةً لذلك، اعتُبرت أوامر المداهمة والإقامة الجبرية باطلة. بالرغم من ذلك، لحق الضرر بالأشخاص، حيث فقد الكثير منهم وظائفهم واعتُبروا مشبوهين في بيئتهم الاجتماعية. كل ذلك بسبب برنامج مراقبة ذي أهداف غير دقيقة، قايض المبادئ المنهجية والأخلاقية بما يشبه، ظاهرياً فقط، العمل التطوعي السياسي والموضوعية الإحصائية.

220 "Le Défenseur des Droits Présente son Rapport D'activité," Défenseur des Droits, last modified February 28, 2017, https://www.defenseurdesdroits.fr/fr/actus/actualites/le-defenseur-des-droits-presente-son-rapport-d%27activite

221 "Rapport 2016 sur la lutte contre le racisme, l'antisémitisme et la xénopobie," Commission Nationale Consultative Des Droits De L'Homme, accessed February 21, 2018. http://www.cncdh.fr/fr/publications/rapport-2016-sur-la-lutte-contre-le-racisme-lantisemitisme-et-la-xenopobie

التوصيات:

- إجراء دراسات كمية واسعة النطاق حول التمييز، بما في ذلك رهاب الإسلام، بمراقبةٍ وإشراف من هيئات تعزيز المساواة ووكالات حماية البيانات، لضمان جودة النتائج واتساقها على المستوى الأخلاقي.
- طلب إجراء تقييم مستقل لكافة برامج التنقيب عن البيانات المستخدمة لمكافحة الإرهاب، بالتعاون مع وكالات حماية البيانات ومجلس استشاري لحقوق الإنسان.
- توفير بيانات حكومية حول عدد المداهمات وأوامر الإقامة الجبرية، فضلاً عن الأشخاص المشتبه بتحوّلهم إلى الراديكالية، لقياس مدى فعالية عملية الاستهداف؛ وتركيز الموارد الأمنية في المكان المطلوب من خلال التشديد على عوامل الخطر التي تؤدي إلى نشوب الجرائم، عوضاً عن العلامات الدينية.

توسيع نطاق تعريف رهاب الإسلام: الأيديولوجية، والهيمنة، والحرب على الإرهاب

ديبا كومار

روتجرز، جامعة ولاية نيوجيرسي

على مدى السنوات القليلة الماضية، شهد عدد جرائم الكراهية المرتكبة ضد المسلمين ارتفاعاً حاداً.[223] فما سرّ ازدياد العنصرية ضد المسلمين بعد مرور عقد ونصف العقد على هجمات 11/9؟ ولمَ بات رهاب الإسلام أكثر حدّةً رغم عدم شنّ هجمة أخرى من نوع 11/9 منذ ذلك الحين؟ جدير بالذكر أنّ عدد الأميركيين الذين سقطوا على يد جهاديين في هذه البلاد منذ 11/9 يقل عن 100. ولا ريب في أنّ هذا الرقم يبدو ضئيلاً بالمقارنة مع الأربعمئة شخص الذين حصدهم عنف الأسلحة النارية خلال الفترة نفسها.[224]

تكمن الإجابة عن هذه الأسئلة في طريقة فهمنا لرهاب الإسلام: ما هو، ما مصدره، وما هي المصالح التي يخدمها؟

تحتسب السي.إن.إن. الهجمات على المساجد لقياس درجة رهاب الإسلام. صحيحٌ أنّه مقياس عملي مفيد لمشاعر معاداة المسلمين، إلا أنه يصطدم بقيود عدة. حريّ بالمعنيين إذاً توسيعه، فالتطرق إلى جرائم الكراهية التي لا تشمل تدنيس المساجد والمساحات الخاصة بالمسلمين فحسب، بل الاعتداءات الجسدية على المسلمين والرجال والنساء الذين تبدو عليهم هيئة المسلمين أيضاً. فتحتسب مجموعات، مثل مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية والمركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة، جرائم الكراهية بهذه الطريقة. بالفعل، تعرّض الرجال السيخ الذين يرتدون العمامة الخاصة بهم للاعتداء، لافتراض المعتدين أنهم مسلمون.[225] كما تتعرض النساء المسلمات المحجبات للاعتداء بدرجة أكبر من الرجال المسلمين بشكل عام.

من هذا المنطلق، تعرّضت الرموز الخارجية للإسلام- كالمساجد، والحجاب، والعمامة- للاعتداء، وتمّ تجريد الأشخاص المعنيين بها من صفتهم الإنسانية، ليمسوا مجرّد أداة لنقل "أيديولوجية شريرة".

يعرّف مكتب التحقيقات الفدرالي جريمة الكراهية "كأي جرم اعتيادي آخر على غرار القتل، أو الحرق، أو التخريب، مع وجود عنصر تحيّز إضافي. وبهدف تسهيل عملية جمع الإحصاءات، عرّف الكونغرس جريمة الكراهية "كجرم جنائي ضد شخص أو ملكية، مرتكَب بدافع كلي أو جزئي جراء تحيّز المجرم ضد عرق، أو دين، أو إعاقة، أو توجه جنسي، أو إثنية، أو نوع اجتماعي، أو هوية جنسانية."[226]

من الضروري تسجيل هذه المعلومات ومساءلة مرتكبي جرائم الكراهية، قدر ما يكون ذلك متاحاً ضمن النظام القانوني القائم. لكنّ رهاب الإسلام لا يقتصر فقط على جرائم الكراهية التي يرتكبها أفراد "متحيّزون". فلا يفسّر لنا هذا التعريف لمَ يكوّن الأشخاص مثل هذه الأفكار. فلمَ شهدت معدّلات جرائم الكراهية ارتفاعاً حاداً في الولايات المتحدة بعد 11/9؟ ما سرّ هذا الارتفاع في التحيّز؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، يجب تجاوز الفرد في دراساتنا، فالتعمّق في هياكل وبنى المجتمع الأميركي.

نظر مجتمع الباحثين إلى مظاهر العنصرية ضد المسلمين من منظور الأعمال العدائية اليومية، أي الاعتداءات اللفظية، والشتائم، والإهمال اليومي الذي يتعرّض له أصحاب البشرة

222 Matthieu Suc, “Un rapport du Sénat enterre le concept de déradicalisation,” Mediapart, July 13, 2017. https://www.mediapart.fr/journal/france/130717/un-rapport-du-senat-enterre-le-concept-de-deradicalisation

223 Katayoun Kishi, “Assaults against Muslims in the U.S. surpass 2001 level,” Pew Research Center, November 15, 2017. http://www.pewresearch.org/fact-tank/2017/11/15/assaults-against-muslims-in-u-s-surpass-2001-level/

224 Peter Bergen, Albert Ford, Alyssa Sims, and David Sterman, “Terrorism in America After 9/11,” New America.org. https://www.newamerica.org/in-depth/terrorism-in-america/what-threat-united-states-today/

225 Charles Lam, “Sikh Man Stabbed to Death in Robbery of Central California Convenience Store,” NBCnews.com, Jan. 05, 2016. Available at https://www.nbcnews.com/news/asian-america/sikh-man-stabbed-death-robbery-central-california-convenience-store-n490786

226 “What We Investigate—Civil Rights,” FBI, 2018 تمّت زيارة الموقع في 20 شباط/فبراير. https://owl.english.purdue.edu/owl/resource/717/05/

الملوّنة. في هذا الإطار، كان أستاذ جامعة هارفرد، تشيستر بيرس، أوّل من ابتكر مصطلح "الاعتداءات المصغرة" في معرض مناقشته لتجربة الأميركيين الأفريقيين. وما لبث هذا المصطلح أن توسّع مع الوقت ليشمل أصحاب البشرة الملوّنة الآخرين، فضلاً عن النساء، ومجتمع الميم، والأشخاص المعوّقين، وفئات أخرى.

لا شكّ في أنّ المسلمين ومن تبدو عليهم هيئة المسلمين يتحمّلون اعتداءات مصغرة متواصلة، تتسبّب لهم مجتمعةً بصدمة نفسية، كما تخلّف آثارها على صحتهم وسلامتهم بشكل عام.[227] فمن المجهد نفسياً أن يتلقى المرء هذه المعاملة، كما لا ينفك يذكّرني بذلك أصدقائي عبر فايسبوك. لكنّ رهاب الإسلام لا يقتصر على الاعتداءات المصغرة فقط.

صحيحٌ أنّ العنصرية تُمارَس وتُختبر على المستوى الفردي، لكن حصر فهمنا لرهاب الإسلام بجرائم الكراهية والاعتداءات المصغرة يعني الإغفال عن الهياكل المؤسساتية التي تحدّد شكل العنصرية والتمييز.

تشكّل الأعمال العدائية اليومية، وجرائم الكراهية، لا بل حتى التمييز في العمل، المظاهر الخارجية لنظامٍ غارق في العنصرية. ويجدر بنا تسمية هذا النظام، وفهمه، وتنظيم أنفسنا ضده، إذا كنا نريد وضع حدٍّ للعنصرية ضد المسلمين.

رهاب الإسلام والهيمنة

في كتابي، رهاب الإسلام وسياسة الهيمنة، شرعت في دراسة كيفية ربط صورة العدوّ المسلم بمجموعة من الممارسات التي تكرّس مفهوم الهيمنة وتستنسخه. وقد استندت في عملي على أعمال الباحث البارز في شؤون العنصرية ضدّ المسلمين ومفهوم الهيمنة، إدوارد سعيد. فقد جادل سعيد أنّ العنصرية ضد المسلمين، أو الاستشراق، ارتبطت بالاستعمار الأوروبي. بالفعل، تُستدام كافة مشاريع الهيمنة السياسية بفعل أيديولوجيات تصوّر الشعب المستعمَر "كأدنى مرتبةً"، وكأنه بحاجة إلى التحضّر أو التأديب.

ارتكازاً على هذا العمل، أجادل بأنّ رهاب الإسلام هو أيديولوجية باتت مقبولة كأمر طبيعي، أو "كمنطق بديهي" في عصر الحرب على الإرهاب. في هذا المنظور، لا يمكن اعتبار رهاب الإسلام كمجرد تحيّز، بل كمجموعة منهجية من الأفكار التي تجعل من بعض التصورات المرسومة عن المسلمين أمراً طبيعياً- أي أنهم ميالون إلى العنف، وكارهون للنساء، يتصرّفون بتأثيرٍ من الغضب والسخط، ويفتقرون إلى العقلانية.

لكنّ الأفكار لا تأتي من فراغ، بل هي جزء من منظومة أكبر، تتمثّل في هذه الحالة بالهيمنة. صحيح أنّ الإمبرالية الأميركية، بشكلها وتركيبتها الحالية، لها جذور ضاربة في التاريخ، إلا أنها تأثرت أيضاً، بشكل يكاد يكون فورياً، بإعادة تشكيل المجتمع الأميركي بعد الحرب العالمية الثانية. فلا يخفى على أحد أنّ الولايات المتحدة كانت أحد القطبين المهيمنين على الساحة العالمية، وكان صناع السياسات، لا سيما ليبراليو الحرب الباردة، يرسمون معالم دولة الأمن القومي ويحقّقونها. عام 1947، تمّ إقرار قانون الأمن القومي الذي رسّخ "الأمن" كعنصر أساسي من نظام ما بعد الحرب. وبموجبه، تمّ إنشاء منصب وزير الدفاع، ورئيس هيئة الأركان المشتركة، ومجلس الأمن القومي، ووكالة الاستخبارات المركزية.

> جدير بالذكر أنّ عدد الأميركيين الذين سقطوا على يد جهاديين في هذه البلاد منذ *11/9* يقل عن *100*. ولا ريب في أنّ هذا الرقم يبدو ضئيلاً بالمقارنة مع الأربعمئة شخص الذين حصدهم عنف الأسلحة النارية خلال الفترة نفسها

حدّدت وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68، العالية السرية، رؤيا للاستراتيجية الأميركية الكبرى ما بعد الحرب. وكانت هذه الوثيقة قد صيغت عام 1950 ورُفع عنها غطاء السرية عام 1975، كما كانت إحدى أهمّ وثائق السياسة الخارجية في تاريخ الحرب الباردة، وأكثرها تأثيراً. دعت إلى زيادة هائلة في الإنفاق العسكري، وتطبيق برامج دفاع مدني يضمن الولاء في صفوف المدنيين، وإطلاق حملة دعاية إعلامية لحشد دعم الجمهور واستدامته، فضلاً عن شنّ حرب نفسية وبرامج بروباغاندا في الخارج. وفقاً لهذه الوثيقة، كان لكلّ جانب من جوانب الحياة، أسياسياً كان أم اجتماعياً، أم فكرياً، أم اقتصادياً- دور في الدفاع القومي، كما تمّ إنشاء منظومة أمنية هائلة، بتمويلٍ من الزيادات الهائلة في الضرائب والتخفيضات التي طالت برامج الرعاية الاجتماعية والخدمات غير المتّصلة بالجيش. فضلاً عن ذلك، يتعذّر تحقيق الأهداف الأميركية، بموجب الوثيقة عينها، إلا من خلال التخلي عن أي جهد "للتمييز بين الأمن القومي والعالمي". ففي تلك الآونة، كانت الولايات المتحدة تواجه انهيار الإمبراطوريتين الأوروبية واليابانية وصعود نجم الاتحاد السوفياتي والثورة الصينية، فبقي عليها وحدها أن تضطلع بزمام الهيمنة العالمية وتلحق الهزيمة بالخطر الذي يهدّد "الحضارة".

لكنّ نموّ هذه التركيبة العسكرية- الصناعية التي حذّر الرئيس أيزنهاور بشأنها، في 17 يناير 1961، لم يتراجع مع انهيار الاتحاد

السوفياتي عام 1991 ونهاية الحرب الباردة؛ بل على العكس. فقد اكتسبت هذه التركيبة فرصةً جديدةً في الحياة مع الحرب على الإرهاب، مع استبدال التهديد ضدّ "الحضارة الغربية" الذي شكّلته الشيوعية في ما مضى بالأصوليين الإسلاميين. في هذا الإطار، استعان المسؤولون بهيكل "صدام الحضارات" الذي أعدّه الخبير في العلوم السياسية، صامويل هانتيغتون، لاختيار المصطلحات واللغة التي سيتمّ من خلالها استبدال العدو المحدد في الحرب الباردة بالأعداء المسلمين. فضلاً عن ذلك، كما كانت الحال قبل نصف قرنٍ من الزمن، شكّل بروز هذا التهديد المفترض الجديد تبريراً لشنّ حروب جديدة في الخارج، لا سيما في الشرق الأوسط. ومن هنا، ليس من الممكن فهم ارتفاع رهاب الإسلام من دون إدراجه في هذا السياق التاريخي الأول للعسكرية والتدخل الأميركي.

> صحيحٌ أنّ العنصرية تُمارَس وتُختبر على المستوى الفردي، لكن حصر فهمنا لرهاب الإسلام بجرائم الكراهية والاعتداءات المصغرة يعني الإغفال عن الهياكل المؤسساتية التي تحدّد شكل العنصرية والتمييز.

يُعتبر هذا النظام الإمبريالي- الذي نشأ ما بعد الحرب العالمية الثانية وترسّخ خلال الحرب على الإرهاب- بوتقة رهاب الإسلام. من هنا، استناداً إلى عمل الباحثين والناشطين الذين درسوا جوانب متنوّعة لهذا النظام، أقدّم في كتابي مصفوفةً عن رهاب الإسلام. تتضمّن هذه المصفوفة مؤسسات متعدّدة، كالحكومة الفدرالية وحكومات الولايات والحكومات المحلية، والنظام القانوني، والمشهد الانتخابي، والأكاديميين، ووسائل الإعلام التجارية، وجهاز الأمن القومي (بدءاً بمكتب التحقيقات الفدرالي إلى أجهزة الشرطة المحلية).

مصفوفة رهاب الإسلام

في كلّ من هذه الحلقات، يُغذي رهاب الإسلام مجموعةً من الممارسات أو يتغذى منها، كما يخدم أهدافاً معيّنة يرتبط معظمها، بشكل مباشر أو غير مباشر، بالحرب على الإرهاب والهيمنة. وكما جادلتُ في عمل "تركيب التهديد الإرهابي: رهاب الإسلام، والإعلام، والحرب على الإرهاب"[228]، تمّ تركيب التهديد الإرهابي بشكل منهجي بحيث يستوفي عدّة أهداف ومقاصد. وهو يندرج ضمن تقليد طويل تمّ بموجبه تحويل الأميركيين ذوي الأصول الأفريقية، والصينية، واللاتينية إلى تهديدات راديكالية بهدف تبرير الوضع الراهن والنهوض بمصالح النخبة.

في ما يلي، سأناقش ثلاث حلقات تتشكّل منها مصفوفة رهاب الإسلام، وهي المشهد الانتخابي، ووسائل الإعلام التجارية، والجهاز الأمني.

في الحلقة السياسية، لا سيما في العام الذي يشهد سباقاً انتخابياً، يهدف رهاب الإسلام إلى حشد دعم سياسي للمرشّحين، على أمل ترجمة ذلك إلى أصوات. وفي حين يُعتبر ترامب الصوت الأفظع والأعلى للعنصرية ضد المسلمين في هذه المجموعة، فإنّ هذه الظاهرة أكبر بكثير من ترامب. فكما كنت قد جادلت سابقاً،[229] إنه مشروع يحظى بدعم كلا الحزبين. بالفعل، لا يمكن استدامة الحرب اللانهائية على الإرهاب، تلك التي استنفدت ترليارات من الدولارات، بدون استغلال الخوف من العدوّ الإرهابي المسلم.

بالفعل، يُعتبر تنظيم الدولة الإسلامية العدوّ الأمثل، خاصة وأنّ هجماته على أهداف غربية تروّج لشعور الخوف، وتوفّر الأساس المنطقي لاستمرار التدخلات الأميركية في الشرق الأوسط، وتَعاظُم مفهوم دولة الأمن القومي. في هذا الإطار، تشكّل وسائل الإعلام جزءاً لا يتجزأ من عملية الحفاظ على استمرارية الخوف من الإرهاب. جدير بالذكر أنّ هجمات تنظيم الدولة الإسلامية في الشرق الأوسط تُعتبر أكثر تكراراً وانتظاماً بكثير، وأنّ أبرز ضحايا هذه الهجمات مسلمون. غير أنّ هذا الأمر لا يحظى باهتمام وسائل الإعلام. فكما لاحظ العديد من الباحثين، لا تتصدّر الهجمات عناوين وسائل الإعلام إلا عندما يكون الغرب هو المستهدف.

بشكلٍ عام، عندما يكون مسلمٌ متورّط في هجوم، بغض النظر عما إذا كان مرتبطاً بتنظيم الدولة الإسلامية أو بمجموعات عنيفة أخرى أم لا، تغطي وسائل الإعلام التجارية الخبر بإسهاب على مدار الساعة لأنّ تغطية أخبار الإرهاب ترفع نسبة المتابعين وتدرّ أرباحاً كبيرة، تماماً كما أنّ الحروب تضاعف الأرباح. فيطرح "خبراء" متنوّعون في شؤون الإرهاب، تابعون لخلايا تفكير

227 Derald Wing Sue, ed. Microaggressions and Marginality: Manifestation, Dynamics, and Impact (Hoboken, New Jersey: John Wiley & Sons, 2010).

228 Constructing the Terrorist Threat: Islamophobia, The Media & The War on Terror, written by Deepa Kumar, directed by Sut Jhally (2017; San Francisco, CA: Media Education Foundation, 2017), DVD.

229 Deepa Kumar, "Islamophobia: A Bipartisan Project," Politics, The Nation, July 2, 2012, https://www.thenation.com/article/islamophobia-bipartisan-project/

متنوّعة، نقاط النقاش التي يقوم السياسيون بترسيخها في ما بعد، يساعدهم في ذلك الجنرالات السابقون والحاليون، ورؤساء وكالة الاستخبارات المركزية ومسؤولون آخرون، بهدف المحافظة على استمرارية الخوف من الإرهاب في المخيّلة العامة.

سبق واستهدفت وكالات متنوّعة في دولة الأمن القومي المسلمين من خلال إرسال مخبرين للتسلل إلى المساجد والمراكز المجتمعية، لا بهدف مراقبتهم فحسب.[230] ففي العديد من الحالات، كما في حالة "نيوبورغ فور"، اختلق عملاء استفزازيون مؤامرات إرهابية في محاولة للإيقاع بأشخاص معيّنين. وقد أثبت الصحافي الاستقصائي تريفور أرونسون الذي درس 500 دعوى قضائية بتهمة الإرهاب منذ 11/9 أنّ نصفها تقريباً انطوى على مشاركة عملاء استفزازيين. واستنتج أرونسون أنّ مكتب التحقيقات الفدرالي، عبر الاستفادة من مخبريه الخمسة عشر ألفاً (ومعظمهم من المجرمين)، حوّل أشخاصاً إلى إرهابيين ما كانوا ليلجأوا إلى العنف السياسي لو لم يكن من ذلك.[231] كما توصّل الخبير المتقاعد في شؤون مكافحة الإرهاب، مارك سايجمان، إلى استنتاجات مشابهة في كتابه إساءة فهم الإرهاب.

لا يخفى على أحد أنّ مكتب التحقيقات الفدرالي يستفيد من عملية الإيقاع بالأبرياء. في الواقع، يعلن المكتب، كلّ شهرين تقريباً، عن اعتقال شخصية بارزة من المسلمين المشتبه بهم بتهمة الإرهاب، مرسّخاً بذلك قدم الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب، ومحافظاً على استدامة صناعة الأمن القومي التي تفوق أرباحها مليارات الدولارات. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ أكثرية الأشخاص المنضوين في دولة الأمن القومي ليسوا بمنظّرين وأيديولوجيين خجولين، كما أظهر أرون كوندناني في كتابه المسلمون قادمون. ومن الأرجح أنهم لا يدركون أنهم يؤدون دوراً في استنساخ الهيمنة؛ بل يعتبرون أنفسهم معنيين في الحفاظ على سلامة الشعب الأميركي. ولعلّ ما يثير الاهتمام هنا هو أنهم يعملون في بيئة تُسلّم جدلاً "بالتهديد الإسلامي"، لا بل تعتبره طبيعياً ومنطقياً.

هذه هي طريقة عمل الأيديولوجية؛ فبينما ينهمك الأيديولوجيون في إنتاج الأفكار ونشرها، يغفل معظم البيروقراطيين، والمنتجين الإعلاميين، وبقية عملاء الدولة الإمبرالية، إلى حدٍّ كبير، عن هذه الخطابات. مع ذلك، يضفون عليها صفة طبيعية من خلال أنشطتهم.

ما يُظهره هذا التحليل أنّ العنصرية ضدّ المسلمين هي عملية هيكلية جماعية، متجذرة في مختلف المؤسسات الإمبريالية التي تُعزّز مصالح الولايات المتحدة في الخارج والداخل. هنا، تجدر الإشارة إلى أنّ هذه المصالح هي مصالح النخبة، أو الـ1% كما يسمّونهم، لا مصالح الأغلبية الساحقة من الأميركيين. في الواقع، تعدّد مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها أسباب الوفاة لدى الأميركيين، ذاكرةً السرطان، وأمراض الجهاز التنفسي، والألزهايمر، والانتحار، وغيرها في المقام الأول.[232]

> فإذا كان الهدف هو الحفاظ على سلامة الأميركيين، فمن الأجدى إنفاق الأموال على إنشاء نظام رعاية صحية مجاني وفرص عمل مناسبة

أما الإرهاب، فلا يحتلّ أي مرتبة على تلك اللائحة. مع ذلك، تُنفَق ترليونات من الدولارات على الحرب ضد الإرهاب. فإذا كان الهدف هو الحفاظ على سلامة الأميركيين، فمن الأجدى إنفاق الأموال على إنشاء نظام رعاية صحية مجاني وفرص عمل مناسبة. وفي الواقع، ينظر الباحثون الذين درسوا الارتفاع الحادّ في حالات الانتحار في الولايات المتحدة منذ 1999 إلى حالات "الموت يأساً" هذه على أنها نتاج فقدان الوظائف وانعدام العلاقات الأسرية المجدية.[233]

فضلاً عن ذلك، لم تساهم الموارد المخصّصة للحرب على الإرهاب في جعل العالم أكثر أماناً. لقد آن أوان إعادة توجيه هذه الموارد بطرقٍ تحسّن نوعية الحياة بالنسبة إلى من يعيش في الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وجنوب آسيا، وبالتحديد من تستهدفهم الحروب الأميركية وهجمات الطائرات بلا طيار، وكذلك بالنسبة إلى الأشخاص المقيمين هنا في الولايات المتحدة. ولعلّ أقل ما ينطوي عليه هذا الأمر هو تفكيك الهيمنة وإعادة تنظيم مجتمعاتنا بطرق تعود بالمنفعة على الـ99%.

230 Center for Human Rights and Global Justice, Targeted and Entrapped: Manufacturing the "Homegrown Threat" in the United States (New York: NYU School of Law, 2011). http://chrgj.org/wp-content/uploads/2012/07/targetedandentrapped.pdf

231 Trevor Aaronson, "Inside the Terror Factory," Mother Jones, January 11, 2013. https://www.motherjones.com/politics/2013/01/terror-factory-fbi-trevor-aaronson-book/

232 CDC, "Leading Causes of Death," online at https://www.cdc.gov/nchs/fastats/leading-causes-of-death.htm

233 Jessica Boody, "The Forces Driving Middle-Aged White People's 'Deaths of Despair'," NPR, online at https://www.npr.org/sections/health-shots/2017/03/23/521083335/the-forces-driving-middle-aged-white-peoples-deaths-of-despair

مكافحة رهاب الإسلام كمسؤولية المجتمع المدني

حاتم بازيان

مركز العرق والنوع الاجتماعي التابع لجامعة كاليفورنيا، بيركلي

"أعتقد أنّ الإسلام يكرهنا". هكذا ردّ المرشح للانتخابات الرئاسية آنذاك، دونالد ترامب، على أندرسون كوبر لدى سؤاله عما "إذا كان الإسلام في حالة حرب مع الغرب". وأضاف المرشّح ترامب: "أعتقد أنّ هناك كراهية هائلة، وعلينا أن نكون يقظين جداً. علينا أن نتنبه كل التنبه، فلا يمكننا أن نسمح بدخول أشخاص يكنون هذه الكراهية للولايات المتحدة وللأشخاص غير المسلمين إلى هذه البلاد." وضاعف ترامب من تعليقاته خلال مناظرة الجمهوريين التي استضافتها شبكة السي.إن.إن. في 9 مارس 2016، عندما سأل المحاور، جايك تابر، ترامب عمّا إذا كان يقصد بتعليقه هذا "جميع المسلمين البالغ عددهم 1.6 مليار شخص." فردّ ترامب من دون تردد: "أقصد الكثير منهم." وقد أصدر الرئيس ترامب، منذ انتخابه، أوامر تنفيذية تحظّر دخول مواطنين من ستة بلدان ذات أغلبية مسلمة إلى البلاد، من دون أن يتوانى عن التعبير عن مشاعره ضد المسلمين. جدير بالذكر أنّ ترامب ليس وحيداً في التعبير عن مثل هذه المشاعر، ولكنّ تصريحاته تعكس مدى اعتمادها بشكلٍ طبيعي على مستوى أعلى منصب في البلاد. ويستقي ترامب مصدر معلوماته الأساسية من الأخبار التلفزيونية والبرامج الحوارية،[234] مما يعكس فعلاً تشبّع الموجات الهوائية والبيئة العامة المتزايد برهاب الإسلام. أما ترامب، فيكتفي بترداد الخطاب السائد، ولكن بطريقة أكثر فجة بالمقارنة مع مظاهر العنصرية المهذّبة أو الخفية التي تميّز أجزاءً كبيرة من خطابنا.[235]

أصابت عدوى رهاب الإسلام المجتمع المدني المعاصر، وباتت شخصيات عامة بارزة تشقّ طريقها نحو النجاح في الانتخابات من خلال تأجيج نيران الخوف، والإجحاف، ورهاب الأجانب، والتحيّز الجنسي، والعنصرية. في هذا الإطار، يُعتبر رهاب الإسلام جزءاً من استراتيجية أوسع تعتمدها نُخب سياسية يمينية، فقدت مصداقيتها منذ زمن بعيد، زاعمةً الدفاع عن المجتمع المدني من خطر الآخر المسلم الذي أُلصقت به صفة الشر والتخويف.[236] ولا يخفى على أحد أنّ طريقة عمل الجناح اليميني اليوم تمثّل استمراريةً "لرد الفعل العنيف الذي يبديه أصحاب البشرة البيضاء"، ذلك الذي تحدث عنه القس مارتن لوثر كنغ الابن في الستينيات، والمستمرّ في تأثيره منذ إقرار قانون الحقوق المدنية. من هنا، يجب التمعن في رهاب الإسلام من منظور تاريخي واضح يربط بين مكاسب حركة الحقوق المدنية في الستينيات وآفات المجتمع الثلاث التي تحدّث عنها مارتن لوثر كنغ عام -1967أي العسكرية والمادية والعنصرية- والتي تستمرّ في تقويض المجتمع المدني.[237] ولعلّ رهاب الإسلام في هذا الإطار هو المعلم الجديد لعنصرية قديمة ومترسخة، يسعى إلى استعادة ماضٍ غابر وظالم.

تعريف المشكلة

لا بدّ من إجراء تغيير جوهري في طريقة تعريفنا برهاب الإسلام، وتحديد المجالات التي تتطلّب تركيزاً على الأبحاث، والعمل من أجل مكافحة هذه الظاهرة الخبيثة. فإذا أردنا تعريف رهاب الإسلام بدقة، يمكننا القول إنه مبدأ تنظيمي بنيوي يُستخدم لتبرير وتوسيع نطاق اصطفاف القوة العالمية المهيمنة، مع محاولة

234 Maggie Haberman, Glenn Thrush and Peter Baker, "Inside Trump's Hour-by-Hour battle for Self-Preservation." New York Times, December 9, 2017, https://www.nytimes.com/2017/12/09/us/politics/donald-trump-president.html?_r=0; Philip Bump, "Here are all the times we're pretty sure that Trump was watching Fox News as president," The Washington Post, November 29, 2017, https://www.washingtonpost.com/news/politics/wp/2017/11/29/here-are-all-the-times-were-pretty-sure-that-trump-was-watching-fox-news-as-president/?utm_term=.279380d8918b

235 Uzma Jamil, "Reading Power: Muslims in the War on Terror Discourse." Islamophobia Studies Journal vol. 2, no. 2, 2014, pp. 29–42. JSTOR, www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.2.2.0029

236 "Anti-Muslim Activities in the United States Violence, Threats, and Discrimination at the Local Level," New America, 2018, https://www.newamerica.org/in-depth/anti-muslim-activity/

237 Hatem Bazian, "Islamophobia and 'The Three Evils of Society,'" Islamophobia Studies Journal, vol. 3, no. 1, 2015, pp. 158–166. JSTOR, www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.3.1.0158.

إسكات القوة العالمية الجماعية الأخرى. بالفعل، يمكن تعريف المصطلح الأساسي، "رهاب الإسلام"، بصفته "الخوف" أو "القلق" أو "الفوبيا" من المسلمين، ولكنه في الوقت نفسه عملية أوسع وأكثر شمولية تخلّف تأثيرها على القانون، والاقتصاد، والمجتمع. فعند أحد المستويات، يحاول أيديولوجيو المجتمع المدني في هذا المضمار تصنيف من ينتمي إلى "العالم المتحضّر"، وما هي معايير العضوية، ومن هي الفئة العالمية الأخرى المنبوذة التي يُسبَغ عليها صفة الشر. أما إذا توغلنا في مستويات أكثر عمقاً، فسنلاحظ أنّ رهاب الإسلام هو دافعٌ متجدد لتبرير الطبقية العرقية محلياً وعالمياً، وتراتبيات السلطات الاقتصادية، والسياسة العسكرية المفتوحة. إنّ رهاب الإسلام يعيد تقديم بنى عرقية وتركيزها، لا سيما تلك المستخدمة لتنظيم توزيع الموارد محلياً وعالمياً.

لكنّ إلصاق صفة الشر بالرعايا المسلمين وتشويه صورتهم لا يقترن، في صميمه، بالرعايا أنفسهم، بل بالقوى الماكرة التي تنظر إلى استهداف المسلمين والإسلام كأفضل استراتيجية لتحسين صورتها في المجتمع وتأهيل أجندتها الفاقدة للمصداقية. فيتمّ بثّ أجواء من الخوف كبديل عن عرض سياسات اقتصادية واجتماعية سليمة، والمشاركة في نقاشات مشروعة حول أفضل الطرق لمعالجة مختلف التحديات التي يواجهها المجتمع بشكلٍ عام.

جديرٌ بالذكر أنّ هذه الاستراتيجية قد اختُبرت غير مرة في الماضي، مسجّلةً عواقب وخيمة. فالتظاهر بالدفاع عن المجتمع وحمايته من مجموعات إثنية ودينية وعرقية "غريبة" أو "أجنبية" أو "مختلفة" ليس بجديد، ويؤدي دوماً إلى كارثة حقيقية. ولعلّ دراسة تاريخ أميركا يقدّم لنا عدة نماذج عن مثل هذه الاستراتيجية: كاستهداف السكان الأصليين الأميركيين؛ واضطهاد الأميركيين الأفريقيين خلال فترة الاستعباد، ومن خلال نظام جيم كرو، وحتى يومنا هذا؛ وقانون استبعاد الصينيين؛ وتشويه صورة الكاثوليك؛ ومعاداة السامية واستهداف المهاجرين اليهود الشرقيين في بداية القرن العشرين؛ واعتقال اليابانيين؛ والخطاب اللامتناهي المناهض للمكسيكيين. عندما نتمعن في كلّ مرحلة من مراحل التاريخ الأميركي هذه، يمكننا تحديد القوى السياسية التي استغلت الخوف، والتعصّب، وتشويه صورة الآخر لتحقيق مكاسب لنفسها، زاعمةً الدفاع عن البلاد من الأعداء. أدى هذا الأمر، في كلّ حالة، إلى تقويض الأسس الدستورية والأخلاقية والمعنوية للمجتمع نفسه.

والأهم من ذلك أنّ استهداف المسلمين يشكّل حجةً ملائمةً للقوى السياسية اليمينية الراغبة في إلغاء قانون الحقوق المدنية، وحقوق الناخبين والمهاجرين، وحماية البيئة، والسياسات الاقتصادية العادلة.[238] فيتيح رهاب الإسلام تضييق نطاق النقاش وتأطير القضايا الوطنية ضمن قالب الأمن القومي، من خلال مناشدة الروح الوطنية بطريقة تنطوي على التلاعب. وفي هذه الحالة، تحدّد قوى اليمين شروط النقاش، جاذبةً إليها أيضاً الوسط واليسار وشرائح التقدميين الذين يتجاوبون مع انتقادات الدين والإسلام، كتلك الحجج المحتدمة بضرورة إنقاذ النساء المسلمات من الرجال المسلمين في البقاع النائية من الأرض.[239] لا بد من الإشارة هنا إلى أنّ هذه النقاشات لا تتناول طبيعة الإسلام كدين، بل حقوق المسلمين كمواطنين سواسية في المجتمع الأميركي

. أما اختصار حقوق المسلمين ومواطنتهم بنقاش حول طبيعة الإسلام، فيتيح لحركات اليمين وكارهي الإسلام إقصاء المسلمين وتشويه صورتهم، لا سيما من خلال تضخيم الفروقات الثقافية، وهي استراتيجية ما تلبث أن تُوضّب على شكل حملة هادفة إلى إنقاذ المجتمع الغربي من استيلاء محتمل

والغربي. أما اختصار حقوق المسلمين ومواطنتهم بنقاش حول طبيعة الإسلام، فيتيح لحركات اليمين وكارهي الإسلام إقصاء المسلمين وتشويه صورتهم، لا سيما من خلال تضخيم الفروقات الثقافية، وهي استراتيجية ما تلبث أن تُوضّب على شكل حملة هادفة إلى إنقاذ المجتمع الغربي من استيلاء محتمل.

جديرٌ بالذكر أنّ ما تنشره الحركات اليمينية ينغرس في نهاية الأمر في المجتمع المدني كافة، فيبدأ نطاق النقاش الوطني بعكس التعصّب في كل مرة. وتصبّ القوى الرجعية، تلك التي عارضت إقرار الحقوق المدنية، وحقوق التصويت، وقوانين الهجرة والجنسية، جل تركيزها على عكس مسار التقدّم المطلوب بشدة في البلاد، واستغلال رهاب الإسلام كحصان طروادة لتحقيق نواياها. من هنا، باتت عبارة "استعادة وطننا" اختصاراً لمعارضة المساواة، والعدالة، والكرامة لجميع الأميركيين، في حين يُستخدم رهاب الإسلام للتشويش على الأهداف الحقيقية.

238 Elsadig Elsheikh, Basima Sisemore, and Natalia Ramirez Lee. “Legalizing Othering The United States of Islamophobia.” Haas Institute for a Fair and Inclusive Society, UC Berkeley, 2017.

239 Lila Abu-Lughod. “Do Muslim Women Really Need Saving? Anthropological Reflections on Cultural Relativism and Its others,” American Anthropologist, 104, no. 3 (September 2002): 783-790; Fadwa El Guindi. Veil: Modesty, Privacy and Resistance (Oxford: Oxford Press, 2003); Saba Mahmood, Politics of Piety: The Islamic Revival and the Feminist Subject (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2011); Sana Tayyen. “From Orientalist Sexual Object to Burkini Terrorist Threat: Muslim Women through Evolving Lens,” Islamophobia Studies Journal vol. 4, no. 1 (2017): 101–114. JSTOR, www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.4.1.0101; Telhami Shibley, “What Americans Really Think about Muslims and Islam,” The Brookings Institution, December 9, 2015.

فلنصرف النظر عن المفهوم القائل إنّ مشكلة رهاب الإسلام يحرّكها الإعلام والتمثيل السلبي الدائم للإسلام والمسلمين. صحيح أنني أوافق على أنّ التغطية الإعلامية تعظّم المشكلة، إلا أنّ دور الصحافة، كما جادل نوام شومسكي على نحو مناسب، هو حمل الأشخاص المحكومين على القبول وتصنيع شكل هذا القبول.

في الواقع، تحدّد القوى الاقتصادية والسياسية اليمينية أولاً أعداء المجتمع المفترضين، ثم يهرع الإعلام في سباق لتأمين التغطية المشوهة المطلوبة. هنا، تجدر الإشارة إلى أنّ وسائل الإعلام التجارية هي شركات اقتصادية تملكها النخبة في شمال الكرة الأرضية، وأنّ نطاق التغطية يحدّده أصحاب المنظمات الإعلامية وأولئك الذين يديرونها. فتتّبع وسائل الإعلام البرنامج الذي يعكس أولويات النخبة، كما يخضع الصحافيون لقيود مشدّدة تحدّد من وما يجب تغطيته، ومتى، مع خضوع المحتوى النهائي لمراقبة وضبط المحرّرين.[240]

في وقت أو في آخر من التاريخ، حدّدت القوى السياسية والاقتصادية اليمينية الأميركيين الأفريقيين، والسكان الأصليين، واليهود، والصينيين، واللاتينيين، واليابانيين، والإيرلنديين، والإيطاليين، والمورمونيين، والكاثوليك، والفيتناميين، كخصوم لها، فعكست التغطية الإعلامية الأولويات المحددة في كلّ عصر. بالفعل، لا ينفك الإعلام يصوّر الأميركيين الأفريقيين بطريقة سلبية. وأما السبب، فهو تفوّق العرق الأبيض، أو النسخة الأحدث عن ذلك، تفوّق اليمين البديل.

لا ريب في أنّ استهداف المسلمين يجعل منهم أداةً لتشكيل وإعادة تشكيل التفاوتات في السلطة، لا سيما في الوقت الذي تكون فيه الأفكار الاقتصادية والسياسية اليمينية في الغرب قد مُنيت بالفشل. فقد اصطدمت مجموعة الأفكار اليمينية بطريق مسدود، كإزالة القيود التنظيمية، وخصخصة التعليم، وخفض الضرائب مع توسيع نطاق النفقات العسكرية، وتقليص حجم الحكومة، وخفض الضرائب المفروضة على الأثرياء. نتيجةً لذلك، ظهر رهاب الإسلام من رحم النخب اليمينية في المجتمع الغربي التي كانت تخوض معارك أيديولوجية في ما بينها، وتمّ تصوير المسلمين كأعداء، مما أفسح المجال أمام تبلور حرب ثقافية، وأيديولوجية، واقتصادية، ودينية بديلة. واستُخدم الخوف من المسلمين كوسيلة لإلهاء الشعب عن الأسباب الحقيقية للمشقات الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن التحوّلات العالمية الهائلة، وطبعاً عن سياسات اليمين الخائبة.

في مخيّلة المجتمع المدني، يتمّ إصدار حكم بحقّ الإسلام والمسلمين ومقاربتهم كفكرة مركّبة سلفاً، من دون السماح لهم بالمشاركة في هذا الخطاب بصورة مستقلة. عندئذٍ، يتحول الإسلام والمسلمون إلى هذه الصورة المتخيلة، المستهلكة، والمقيّدة ضمن حدود نظام استنساخ داخلي مغلق لا ينفكّ يوجّه أصابع الاتهام نحو تلك الفكرة المتخيلة.

تماماً كما أوجدت أفلام حرب النجوم خطاباً غنياً ومتنوعاً عن فضاء متخيّل وغير حقيقي، كذلك نجح رهاب الإسلام في رسم صورة مشابهة وغير حقيقية عن الإسلام والمسلمين. فما يلمسه الأشخاص ويختبرونه يومياً بشأن هذا الدين أشبه باستديو تصوير مجهز بشخصيات ودعامات تندرج ضمن إطار خطاب رهاب الإسلام. أما الحقائق، والبيانات، والخطابات الحقيقية، فتمسي غير ذات أهمية في مخيلة كارهي الإسلام، لا سيما وأنّ الإطار المركّب يمسي أشبه بمصفاة تحبس كلّ شيء، محوّلةً إياه إلى أفكار نمطية مرتكزة حول العنف والإرهاب. للأسف، يستنسخ العديد من القادة السياسيين والمنظمات الإخبارية، في نهاية الأمر، هذا الواقع المتخيّل الذي يربط الإسلام بالتطرف العنيف. فضلاً عن ذلك، إذا صادف أن حاد هذا الخطاب، للحظة أو من قبيل الخطأ، عن المعيار العنيف المتخيّل، يتم تصحيح ذلك من خلال الإشارة إلى أنّ هذا الأمر لا يمثّل إلا مجرّد توقعات.

رهاب الإسلام ومستقبل أميركا

لفهم رهاب الإسلام، من الضروري أن نفهم أولاً كيف يرتبط توليد المشاعر المعادية للمسلمين بالنقاشات حول الهجرة، والجنسية، ومعنى أن يكون المرء أميركياً (أو في سياق آخر، أوروبياً). فيدفع الخوف من الإسلام إلى الجدل بأنّ الهوية المسيحية البيضاء تعادل الهوية الأميركية، مما يثبت أنّ الجهود المبذولة لنبذ الإسلام والمسلمين تحجب وراءها تصدياً أشد للتنوّع العرقي والإثني والديني.[241]

يختصر رهاب الإسلام المهاجرين المسلمين كافة ضمن فئة خطرة واحدة، مزيلاً كل الاختلافات العرقية، والإثنية، والثقافية ما بينهم. فبات يُنظر إلى رهاب الإسلام، أكثر فأكثر، من منظور

240 Noam Chomsky, Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda 2nd Ed. (Seven Stories Press, 2002); Edward Herrmann and Robert W. McChesney. Global Media: The New Missionaries of Global Capitalism (A&C Black, 2001); Ashley Lutz, "These 6 Corporations Control 90% Of The Media In America," Business Insider, June 14, 2002, http://www.businessinsider.com/these-6-corporations-control-90-of-the-media-in-america-2012-6

241 Christopher Nelson, "The Domestic Is Political, and the Political Is Gendered: An Analysis of Veiled Subjects, Gendered Epistemologies, and Muslim Bodies," Islamophobia Studies Journal, vol. 3, no. 1, (2015): 106–114, JSTOR. www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.3.1.0106

الأمن[242] وصدام الحضارات، مما يزيد من التعصب والعدائية تجاه المسلمين، بهدف التعتيم على النقاشات حول السياسات، كالنقاش حول الهجرة إلى الولايات المتحدة من المكسيك وأميركا اللاتينية. فلا يخفى على أحد أنّ رهاب الإسلام يشتّت الانتباه، وبكل سهولة، بعيداً عن تلك النقاشات، كون الخطاب المتعلق به يستقطب الأضواء في الحياة اليومية، ويتجلى في الحلقات السياسية والإنتاجات الإعلامية، والأفلام الرائجة، والبرامج التلفزيونية، ناهيك عن مجموعة لا تُعدّ ولا تُحصى من الكتب والروايات والمجلات المصورة وألعاب الكمبيوتر.[243]

في هذا الإطار، يمسي رهاب الإسلام أقل تمحوراً حول الإسلام أو المسلمين، وأكثر ارتباطاً بمشاعر التردد وعدم التيقن التي تلفّ المجتمع ككل. فيقوم المشروع المستمرّ المتعلق بنبذ الآخر بتعريف السياسة، والثقافة، والاقتصاد، والدين، والهوية من خلال تضخيم الاختلافات بين أميركا والإسلام، فتحويلها إلى تهديد وجودي في أذهان الأميركيين، مما يروّج بدوره لحسّ خاطئ بالوحدة الوطنية في زمنٍ تولّد فيه التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية العالمية والمتسارعة حالةً من عدم التيقن الوطني. من هنا، يُتّخذ نبذ الإسلام والمسلمين، في الداخل، كوسيلة إلهاء يعتمد عليها الشعبويون خلال سعيهم إلى شغل مقاعد النفوذ والسلطة، عبر تقديم وعود بإعادة تأهيل البلاد وإعادتها إلى عظمتها.

لعلّ شعار "فلنجعل أميركا عظيمةً مجدداً" يندرج ضمن هذا الإطار تماماً، بمعنى أنه دعوة إلى العودة نحو ماضٍ مثاليّ وممجّد، يومَ كان النظام السياسي والاجتماعي والديني يخدم هويةً واحدةً مستثنياً الهويات الأخرى. في هذا الإطار، وبحسب الشعبويين اليمينيين، تسبّبت التعددية الثقافية الخاطئة، واللياقة السياسية، وسياسة الهوية، واللاجئون، والهجرة غير الشرعية، والأنظمة المرهقة، بإضعاف أميركا، تماماً كما فعلت الممارسات التجارية السيئة والصفقات التجارية مع المكسيك، والصين، واليابان، وأوروبا. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ المتذمّرين لا يشيرون بأصابع الاتهام إلى النخبة في البلاد، تلك التي نهبت الولايات المتحدة، ودمّرت موارد الأرض، وشنّت حروباً لا تُحصى للتدخل في شؤون دول أخرى، وبدّدت أموال أشخاص عملوا بكدّ في مختلف أنحاء هذه البلاد العظيمة.

في هذا السياق السياسي بالذات، رأينا كيف شنّ اليمينيون هجماتهم الداخلية على الرئيس أوباما، متّهمين إياه بأنه مسلم يخفي حقيقة إسلامه، ومطالبين بإعادة تأطير الحرب على الإرهاب لتصبح حرباً على الإسلام الراديكالي، أو حتى على الإسلام نفسه. ولم يطل الوقت حتى ولّت أيام عبارة "الإسلام هو السلام" التي كان يكرّرها الرئيس جورج دبليو بوش، واستُبدلت بموجات من الصخب والتذمر الداعية إلى نبذ الإسلام والمسلمين، مما غطى على السياسات وهدّد بتفكيك برنامج الرئيس أوباما برمّته. فضلاً عن ذلك، وفّر الظهور المتزايد للإسلام والمسلمين في المشهد الأميركي إمكانيةً إضافيةً للتمييز بين الماضي المثالي من جهة، ومشكلة الحاضر المتنوّع التي تمثّلها إدارة أوباما من جهة أخرى.

، يمسي رهاب الإسلام أقل تمحوراً حول الإسلام أو المسلمين، وأكثر ارتباطاً بمشاعر التردد وعدم التيقن التي تلفّ المجتمع ككل

أما في عهد الإدارة الحالية، فيعيش الأميركيون المسلمون تحت الحصار، في وقتٍ يمنحنا فيه المسؤولون في البيت الأبيض والسلطة التنفيذية أسباباً وجيهة للشعور بالمزيد من القلق بشأن المستقبل. فتقارب إدارة ترامب المسلمين والإسلام من منظور صدام الحضارات الذي ينظر إلى المهاجرين واللاجئين كاجتياح ديموغرافي إسلامي للغرب. صحيحٌ أنه يمكن الطعن في السياسات لدى المحاكم، على غرار الأمر التنفيذي الذي فرض حظر السفر الثاني، لكنّ مأسسة نبذ الإسلام والمسلمين في الأنظمة والقوانين تستمرّ بلا هوادة في إدارة ترامب. وحتى من دون هذا الحظر، فقد باتت وكالة الجمارك وحماية الحدود تتصرف بدافع أيديولوجي، مركّزةً بشكل أكبر على المسلمين عند مختلف منافذ الوصول. كما تزداد أخبار "التفتيش الثاني العشوائي"، والأسئلة عن الخلفية الدينية للمسافرين الأميركيين المسلمين، وطلبات الاطلاع على

Sabri Ciftci, "Islamophobia and Threat Perceptions: Explaining Anti Muslim Sentiment in the West," Journal of Muslim Minority Affairs 23, no. 3 (2012): 293–309; Brigitte Lebens Nacos and Oscar Torres Reyna, Fueling Our Fears: Stereotyping, Media Coverage, and Public Opinion of Muslim Americans (Rowman & Littlefield, 2007);

John Sides and Kimberly Gross, "Stereotypes of Muslims and Support for the War on Terror," The Journal of Politics 75, no. 3 (2013): pp.583–98; Joseph Suad and Benjamin D'Harlingue, "The Wall Street Journal's Muslims: Representing Islam in American Print News Media," Islamophobia Studies Journal vol. 1, no. 1 (2012): 132–164. JSTOR, www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.1.1.0132

242 Hatem Bazian, "National Entry-Exit Registration System: Arabs, Muslims, and Southeast Asians and Post-9/11 'Security Measures,'" Islamophobia Studies Journal, vol. 2, no. 1 (2014): 82–98. JSTOR, www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.2.1.0082.

243 S. Sayyid, "A Measure of Islamophobia," Islamophobia Studies Journal, vol. 2, no. 1 (2014): 10–25. JSTOR, www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.2.1.0010; Evelyn Alsultany, The Arabs and Muslims in the Media: Race and Representation after 9/11 (New York, NY: New York University Press, 2012); Gargi S. Bhattacharyya, Dangerous Brown Men: Exploiting Sex, Violence and Feminism in the "War on Terror (London: Zed Books, 2012):

أجهزتهم الإلكترونية.[244] وتجدر الإشارة أيضاً إلى انتشار موقف عدائي وعنيف بشكل واضح لدى فئة معيّنة من الحركات اليمينية منذ فوز الرئيس ترامب، وهو موقف غالباً ما يوجّه سهامه نحو الأميركيين المسلمين الذين وجدوا أنفسهم هدفاً سهلاً لموسم الحملات السلبي.

في غضون ذلك الوقت، اصطدمت مشاريع بناء المساجد في عددٍ من الولايات والمقاطعات الجمهورية بمقاومة متجدّدة اتّخذت شكل حجج واهية لتبرير الامتناع عن منح رخص البناء أو الترميم. ولعلّ تجربة مؤسسة السلام التي حاولت بناء مسجد جديد في إنديانابوليس لمثال بارز عن تحديات تأمين رخصة بناء

أما في عهد الإدارة الحالية، فيعيش الأميركيون المسلمون تحت الحصار، في وقتٍ يمنحنا فيه المسؤولون في البيت الأبيض والسلطة التنفيذية أسباباً وجيهة للشعور بالمزيد من القلق بشأن المستقبل

في هذه الآونة.[245] في تلك الأجواء، تؤول بعض الحالات إلى المحاكم، لكنّ الأميركيين المسلمين لا يستطيعون التعويل على وزارة العدل لمساعدتهم بناءً على مبدأ الحرية الدينية، نظراً إلى خلفية الإدارة الحالية. وكان المركز القانوني للقضاء على الفقر في جنوب الولايات المتحدة قد وثّق وقوع حوالى 867 جريمة كراهية في مختلف أنحاء البلاد، مباشرةً بعد انتخابات 2016 الرئاسية، استهدف قسم كبير منها الأميركيين المسلمين، والسيخ، والمهاجرين اللاتينيين.[246] فضلاً عن ذلك، نالت الأميركيات المسلمات، بسبب حجابهنّ ولباسهنّ الذي يكشف انتماءاتهنّ، نصيباً أكبر من جرائم الكراهية هذه بعد الانتخابات. ولعلّ الأكثر مدعاةً للقلق هو تعرض 85 مسجداً ومركزاً إسلامياً للاعتداء ضمن مجتمع الأميركيين المسلمين، ومنها عدد أُحرق وسويّ بالأرض خلال الأشهر الستة الأولى من العام 2017. [247] وفي كلٍ من هذه الحوادث المسجّلة، لم يقدم الرئيس ترامب، والناطق السابق باسم البيت الأبيض شون سبايسر، وبقية كبار الشخصيات في الإدارة الأميركية، على النبس ببنت شفة دفاعاً عن الأميركيين المسلمين. يُضاف إلى هذا الاعتداء على الأميركيين المسلمين، اندفاعٌ نحو تصنيف الإخوان المسلمين كمنظمة إرهابية، بهدف استغلال هذا التصنيف من أجل استهداف المنظمات الأميركية المسلمة، عبر الادعاء أنها مرتبطة بالإخوان المسلمين و/أو توفّر لهم الدعم المادي المطلوب.[248]

تهدف صناعة رهاب الإسلام[249] إلى إضعاف البنية التحتية التنظيمية والقيادة للأميركيين المسلمين. فضلاً عن ذلك، بالرغم من الدمج والاستيعاب الذي حظيت به إسرائيل، تتميّز نظرية المؤامرة التي تحرّك اليمين البديل، الكاره للإسلام، بدرجة عالية من معاداة السامية وعدائيتها لليهود في الصميم.[250] فيضحى السؤال بالنسبة إلى اليهود الأميركيين عما إذا كان دعم إسرائيل والدفاع عنها هو المقياس الوحيد لهذه الإدارة، أم إذا كانت الأيام والأشهر المقبلة ستشهد انتقاداً أشدّ لهجةً، فضلاً عن تحالفٍ حقيقي مع المسلمين ضد موجة الفاشية المتصاعدة في البلاد.

أخيراً، ومن ناحية أكثر إيجابية، يترنّح المدّ السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والديني، في بعض أقسام البلاد، لصالح الأميركيين المسلمين بطرق حاسمة وغير قابلة للانعكاس. فقد تلاحمت شرائح واسعة من المجتمع المدني في مختلف أنحاء البلاد مع المجتمع الأميركي المسلم المنبوذ، وبدأت باتخاذ خطوات واضحة وقابلة للقياس لإظهار التضامن معه بشكلٍ ينطوي على التحدي. فحدّث ولا حرج عن أصداء كافة جهود المجتمع

244 Alex Kane, "Even Muslim-American Citizens Have Been Caught in the Net of Trump's Travel Ban," The Nation March 23, 2017, https://www.thenation.com/article/even-muslim-american-citizens-have-been-caught-in-the-net-of-trumps-travel-ban/; Andy Greenberg, "A Guide to Getting Past Customs with Your Digital Privacy Intact," WIRED, February 12, 2017, https://www.wired.com/2017/02/guide-getting-past-customs-digital-privacy-intact/; Faiza Patel and Rachel Levinson-Waldman, "The Islamophobic Administration," Brennan Center for Justice, April 9, 2017, https://www.brennancenter.org/publication/islamophobic-administration

245 Rebecca Guterman, "This Virginia County Denied a Necessary Permit to Build a Mosque, and It Doesn't Pass the Smell Test," ACLU's Program on Freedom of Religion and Belief, February 14, 2017, https://www.aclu.org/blog/religious-liberty/free-exercise-religion/virginia-county-denied-necessary-permit-build-mosque; Emma Kate Fittes, "Muslim leaders get pushback on plans to build mosque in residential neighborhood," The Indianapolis Star, January 15, 2018, https://www.desertsun.com/story/news/nation-now/2018/01/15/carmel-indiana-mosque-plans/1033737001/; The Islamophobic Center for Security Policy led by Frank J. Gaffney, Jr. put out a whole guide on contesting the building of mosques through the permitting process. See Karen Lugo, "Mosques in America: A Guide to Accountable Permit Hearings and Continuing Citizen Oversight," Center for Security Policy, 2016, https://www.centerforsecuritypolicy.org/wpcontent/uploads/2016/12/Mosque_in_America.pdf

246 Southern Poverty Law Center, Intelligence Report: The Year in Hate and Extremism, February 15, 2017, https://www.splcenter.org/news/2017/02/15/hate-groups-increase-second-consecutive-year-trump-electrifies-radical-right; South Asians Americans Leading Together Report, Communities on Fire: Confronting Hate Violence and Xenophobic Political Rhetoric, 2018, http://saalt.org/wp-content/uploads/2018/01/Communities-on-Fire.pdf

247 Christopher Ingraham, "American mosques - and American Muslims - are being targeted for hate like never before," The Washington Post, August 8, 2017, https://www.houstonchronicle.com/news/nation-world/article/American-mosques-and-American-Muslims-are-11742354.php; also, see 2015 figures in Daniel Burke, "Threats, harassment, vandalism at mosques reach record high," CNN, December 11, 2015, https://www.cnn.com/2015/12/10/living/mosques-attack-study-2015/index.html

248 Arjun Singh Sethi, "Calling the Muslim Brotherhood a terrorist group would hurt all American Muslims," The Washington Post, February 8, 2017, https://www.washingtonpost.com/posteverything/wp/2017/02/08/calling-the-muslim-brotherhood-a-terrorist-group-would-hurt-all-american-muslims/?utm_term=.fb1f673cace8; Abigail Hauslohner, "How an obscure U.S. policy effort could hurt American Muslims," The Washington Post, January 11, 2017, https://www.washingtonpost.com/national/how-an-obscure-policy-effort-could-hurt-american-muslims/2017/01/11/8ce93184-d76e-11e6-b8b2-cb5164beba6b_story.html?utm_term=.046d88f70a2a; Joby Warrick and Abigail Hauslohner, "Trump's security picks deepen Muslim worries about an anti-Islamic White House," The Washington Post, November 18, 2016, https://www.washingtonpost.com/world/national-security/trumps-security-picks-deepen-muslim-worries-about-an-anti-islamic-white-house/2016/11/18/d7796cc6-add6-11e6-8b45-f8e493f06fcd_story.html?utm_term=.faec2f8b937a

See the Islamophobic outfit, The Clarion Project, "The Muslim Brotherhood's Strategic Plan For America – Court Document," https://clarionproject.org/muslim_brotherhood_explanatory_memorandum/

249 Corey Saylor, "The U.S. Islamophobia Network: Its Funding and Impact," Islamophobia Studies Journal, vol. 2, no. 1 (2014): 99–118. JSTOR, www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.2.1.0099

250 Steven Fink, "Fear Under Construction: Islamophobia Within American Christian Zionism," Islamophobia Studies Journal, vol. 2, no. 1 (2014): 26–43. JSTOR, www.jstor.org/stable/10.13169/islastudj.2.1.0026

المدني التي بدأت خلال حملة 2016، وستبلغ ذروتها، بحسب تقديري، في انتخابات منتصف المدة عام 2018. بالفعل، أدى نبذ المسلمين والإسلام على يد ترامب وإدارته إلى إيقاظ عملاق نائم في المجتمع المدني، ولياقة إنسانية تقتدي بالواجبات الأخلاقية والمعنوية العالمية التي يمكنها أن تولّد خطاباً مضاداً. هذا القسم من المجتمع هو الذي ستكون له الكلمة الفصل بشأن الفرق ما بين الحقائق والتعصّب.

آليات الاستجابة لرهاب الإسلام ضمن أبناء المجتمع المدني

كيف يمكننا مكافحة الاستراتيجية المناهضة للمسلمين على أفضل نحو، وتأمين منفذ للخروج من هذه الطريق التي ستؤدي بنا إلى كارثة حتماً، إذا لم تكن قد فعلت ذلك في المقام الأول، في ظل الأجواء الحالية المسيطرة على البلاد؟ ما هي الخطوات المطلوبة لاستعادة المجتمع المدني والانتقال نحو أميركا أكثر دمجاً وعدلاً وإنصافاً؟

أولاً، إنّ هزيمة رهاب الإسلام هي مسؤولية جماعية منوطة بالمجتمع المدني.

رهاب الإسلام هو مشكلة خاصة بالمجتمع المدني وليس بالمسلمين فقط، مما يعني أنّ لكلٍّ منا دور يؤديه في مكافحة المدّ الصاعد لرهاب الإسلام. فتُشنّ الهجمات على المسلمين والمهاجرين باسم الدفاع عن المجتمع من تهديد مختلق، في أنّ المستهدف الحقيقي هو الأكثرية في المجتمع التي يتمّ حقنها لتغذية روح الكراهية والتعصّب فيها. ما إن نتقبّل أنّ الأكثرية هي المستهدف الحقيقي، حتى تصبح مسؤولية مكافحة رهاب الإسلام والتعصّب منوطة بجميع من يرغب في مجتمع عادل ومنصف ودامج، له جذور ضاربة في الدفاع عن الحقوق الدستورية وتعزيز التنوّع العرقي والديني والثقافي.

ثانياً، فضح الأصوات الكارهة للإسلام وتهميشها.

يجب أن ترفض النخب السياسية الحالية، على المستوى المحلي والوطني ومستوى الولاية أيضاً، رهاب الإسلام من خلال التعبير عن ذلك بكلّ اقتناع واستمرارية، كما ينبغي أن يكونوا سباقين في التعمّق في الفرص اللازمة لفضح أصوات التعصّب والخوف. فلا يخفى على أحد أنّ كثير من الأشخاص الناطقين باسم صناعة رهاب الإسلام هم أعضاء في مجالس تنظيمية، وناشطون في مجالات متنوّعة من المجتمع، وبالتالي فهم يمارسون تعصّبهم هذا بكل ارتياح، لأنّ أحداً لا يتصدى له. من هنا، لا بد من فضح كلّ من يشارك في أي جانب من جوانب صناعة رهاب الإسلام أو يدعمها، وتهميشه في المجتمع.

ثالثاً، تقبّل المجتمع والقانون للمسلمين كمواطنين متساوين.

لما كان جناح اليمين وصناعة رهاب الإسلام يحاولان عزل المسلمين، والمهاجرين، والأقليات العرقية وتهميشهم، فمن الضروري أن يكون موقف القادة السياسيين المسؤولين وأصحاب الرؤيا معاكساً. ولا يعني الدفاع عن المسلمين وتقبّلهم أن نتجنّب انتقادهم أو انتقاد الإسلام، بل هي طريقة للاعتراف أنّ النقاش السياسي المتعلق بالمسلمين لا يمت بصلة إلى دين 1.6 مليار شخص، أو عقيدتهم، أو تاريخهم. من هنا، يجدر بالقيادة السياسية تقبّل المسلمين كمواطنين متساوين وشركاء في صياغة برنامج تحسين المجتمع، وعدم الاكتفاء بالتواصل مع المسلمين من منظور أمني ضيّق.

رابعاً، معرفة أنّ المرأة المسلمة تشكّل هدفاً أساسياً.

يُعتبر دور المرأة المسلمة أداةً أساسية للتعبئة والتبرير بهدف تنفيذ العملية المنهجية لنبذ الإسلام والمسلمين. صحيح أنّ العنف والتمييز البنيوي ضد المرأة هو واقع عالمي، لكن لا بد من الإشارة إلى أنه يجري تعبئة نموذج استشراقي مركّب، موضوع في خدمة خطابات رهاب الإسلام، تلك التي تهدف إلى المحافظة على تسلسل السلطة الذكورية العالمية، وتهميش النساء والرجال المسلمين على السواء. ففي وقتٍ يلقى فيه العنف والتحيّز الجنسي والتمييز ضد المرأة اهتماماً مطلوباً جداً، طال انتظاره، غالباً ما يتم إهمال تجارب النساء المسلمات. ففي الواقع، تشارك المرأة المسلمة في عملية مقاومة صناعة رهاب الإسلام، وتقودها أيضاً، وبالتالي لا بد من دعمها في هذا المجال، من دون أن يساهم المجتمع المدني في تهميشها مرتين.

خامساً، بناء ائتلاف مدني جديد مرتبط بحقوق الإنسان.

يجدر بجميع المجموعات والأفراد الجادين في رغبتهم في إنقاذ المجتمع المدني من عملية التخويف أن يعملوا بجدٍّ لتطوير ائتلاف مدني واسع وخاص بحقوق الإنسان، بغية المضيّ قدماً في تحقيق الأجندة السياسية. لكن لن يكون بالإمكان تحقيق هذا الائتلاف إلا إذا ضافرت المجتمعات المتأثرة كلها وحلفاؤها جهودها. فلا يمكن لمجموعة أن تحقق هذا التغيير بمفردها، ونسجاً على المنوال نفسه، لا يمكن للمسلمين وحدهم إلحاق الهزيمة برهاب الإسلام، ومكافحة السمّ الذي يستهدف

المهاجرين، وإيقاف العنصرية ضد السود في أميركا المعاصرة، في حين أنّ ائتلافاً جماعياً واسعاً يستطيع إحداث فرق، لا بل سيفعل ذلك حتماً.

سادساً، تجاهل كارهي الإسلام عبر الإنترنت والإبلاغ عنهم، وتضخيم الأصوات ذات المصداقية.

يُعتبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي أبرز المجالات التي تشهد انتشار المظاهر الأبشع لرهاب الإسلام، قبل أن تشق هذه الأخيرة طريقها إلى وسائل الإعلام العادية. صحيحٌ أنّ صناعة رهاب الإسلام تتألّف من حوالى 101 مجموعة ومنظمة توظف عدداً صغيراً نسبياً من الأشخاص، إلا أنّ بصمتهم وتأثيرهم

> رهاب الإسلام هو مشكلة خاصة بالمجتمع المدني وليس بالمسلمين فقط، مما يعني أنّ لكلٍّ منا دور يؤديه في مكافحة المدّ الصاعد لرهاب الإسلام

يفوقان عددهم بأشواط نظراً إلى إتقانهم استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت. في هذا الإطار، يُعتبر الردّ على الرسائل الكارهة للإسلام التي تُنشر عبر الإنترنت استراتيجية سيئة لا تساهم إلا بتضخيم هذه الرسائل وإيصالها إلى جمهور جديد. من هنا، يتطلّب التصدي لرهاب الإسلام عبر الإنترنت الامتناع عن الردّ مباشرة على الرسائل السلبية، بل توثيقها والإبلاغ عنها إلى شركات وسائل التواصل الاجتماعي، مع تضخيم الأصوات ذات المصداقية من المجتمع المدني، ونشر الأبحاث السليمة.

سابعاً، تطوير فريق استجابة سريعة من المجتمع المدني.

تتمتع صناعة رهاب الإسلام بكمية كبيرة من التمويل، كما لها بنية تحتية وطنية ودولية تعمل على تضخيم حملات رهاب الإسلام السلبية وتكثيف وقعها، بدعم من أبرز وسائل الإعلام. ولا ريب في أنّ الردّ بشكل فردي أو جماعي لن يجدي نفعاً بالنسبة إلى أي شخص أو أي مجموعة، بما أنّ المعارضة تعمل بطريقة منسّقة جيداً ومن خلال حملة متكاملة للغاية. من هنا يجدر بائتلاف الحقوق المدنية والإنسانية الوطنية أن يطوّر "فريق استجابة سريعة" يتضمّن مشاركين أساسيين من مختلف المجموعات، مع التركيز على إعداد إجراءات مضادة فورية لعكس آثار حملات رهاب الإسلام، أو التخفيف من وقعها على عامة الناس.

ثامناً، إنشاء حاضنات أموال وصناديق هبات لمكافحة رهاب الإسلام.

في وقت يحظى فيه الجناح اليميني وصناعة رهاب الإسلام بإمكانية الوصول إلى ملايين، إن لم نقل، مليارات الدولارات لتأجيج نار التعصّب والخوف في المجتمع المدني، تدعو آلية الاستجابة المناسبة إلى حشد الموارد وتوزيعها بفعالية. فيجدر بقادة المجتمع المدني والمنظمات العمل من أجل إنشاء حاضنات للموارد أو صناديق هبات لتمويل المشاريع والمبادرات المجتمعية العاملة على مكافحة تصاعد رهاب الإسلام، والخوف، والتعصب. بطبيعة الحال، يبدو أنّ الجناح اليميني وصناعة رهاب الإسلام يملكان القدرة على الوصول إلى موارد هائلة، قد لا يسعنا مضاهاتها، غير أنّ توزيع الموارد بفعالية قد يقطع شوطاً طويلاً في إلحاق الهزيمة بقوى التعصّب، والعنصرية، والظلام.

تاسعاً، تفكيك الرابط بين التغلّب على رهاب الإسلام ومكافحة التطرف العنيف.

لم تنفكّ صناعة رهاب الإسلام تقيم رابطاً بين تشويه صورة المسلمين والأعمال الإرهابية. وقد تكرّس هذا الرابط عميقاً في الأذهان في المجتمع المدني لدرجة أنّ النقاش حول رهاب الإسلام غالباً ما يترافق مع مبادرات مكافحة التطرف العنيف. في هذا الإطار، من أبرز آثار هذا الرابط هو أنّ إنهاء رهاب الإسلام أو مكافحته يمسي مرهوناً بمكافحة التطرف العنيف أو التغلب عليه، وهو ترابط خاطئ.

عاشراً، نشر الأبحاث السليمة وتسليط الضوء عليها.

احتلّت المشاريع الأكاديمية والمجتمعية صدارة عمليات التوثيق، والأبحاث، ونشر الأدلة بشأن تأثير رهاب الإسلام، لكنها لم تحظ إلا بدعاية واعتراف محدودين على المستوى الوطني. تستدعي مكافحة رهاب الإسلام تسليط الضوء على عمل الأبطال المجهولين الذين لا يحظون بما يكفي من التمويل، والذين يعملون بلا كلل بينما يتعرّضون لهجوم دائم من صناعة رهاب الإسلام. فمن شأن تلخيص هذا العمل عبر نشر روابط بالمواقع الإلكترونية والأبحاث الصادرة عن هذه المؤسسات أن يقطع شوطاً طويلاً في التأثير على المجتمع المدني، وتحسين تجربة المسلمين الأميركيين مع رهاب الإسلام، وكيفية معالجته بشكل منهجي وعلى أفضل نحو.

تأمّلات في مكافحة رهاب الإسلام عبر الإنترنت

سحر خميس

جامعة ماريلاند، كوليدج بارك

رهاب الإسلام: مقدّمة وجيزة

إنّ فكرة خشية مجموعة معيّنة من الأشخاص بسبب ثقافتهم، أو معتقداتهم، أو اختلافاتهم ليست بجديدة، بل هي متداولة منذ قرون. يُشار إلى هذه العملية من التحديد النمطي الإثني، أو العرقي، أو الديني عادةً باسم "إطلاق الأحكام النمطية". جديرٌ بالذكر أنّ هجمات 11 سبتمبر كانت قد شكّلت تحولاً جيوسياسياً جذرياً في طريقة تصوير المسلمين في وسائل الإعلام. بالفعل، بدّلت هذه الهجمات من نظرة الناس إلى الإسلام وجعلتهم أكثر خشيةً وقلقاً من مجموعة كاملة من الأشخاص. فبات الناس يتساءلون إذا كان المسلمون كلهم متطرفين، وإن صحّ ذلك متى سيشنّون هجمتهم التالية؟ لما كان آلاف الأشخاص قد قُتلوا في ذلك النهار، فقد كانوا محقين في خوفهم من الإرهابيين المنتمين إلى جماعات متطرفة، كالقاعدة مثلاً. لكنّ المجتمع بالغ في خوفه من المسلمين، وانتهى به الأمر بإطلاق أحكام نمطية معمّمة جداً ما زالت منتشرة على نطاق واسع اليوم، مع أنّ المجموعات الإرهابية المتطرفة لا تمثّل إلا نسبةً صغيرةً جداً من المسلمين البالغ عددهم 1.6 مليار شخص، يعيشون في دول تمتدّ من أندونيسيا وحتى الجزائر والمغرب.

تعريفات رهاب الإسلام

يتميّز رهاب الإسلام، شأنه شأن أي خوف أو كراهية، بشعور مبالغ فيه نوعاً ما من النفور والعدائية تجاه المسلمين. ومن الممكن أن تمتدّ الأعراض الجانبية السلبية لرهاب الإسلام على الضحايا لتشمل أيضاً من توحي هيئته أنه مسلم، على غرار الأشخاص غير المسلمين من البلدان ذات الأغلبية المسلمة، كباكستان مثلاً. هنا، نستحضر الهجوم الذي تعرّض له رجلٌ من السيخ بعد 11/9 لأنّ مرتكب الهجوم اعتقد أنه يشبه أسامة بن لادن. يعرّف كتاب "سياسة رهاب الإسلام" هذا الأمر على أنه ""ردّ فعل عنيف" يتّخذ مظاهر تزداد بروزاً ضد المسلمين في مختلف أنحاء أوروبا والولايات المتحدة."[251] ويشمل مصطلح "ردّ فعل عنيف" في هذه الحالة كافة الرسائل السلبية التي يتلقاها المسلمون. صحيحٌ أنّ هذا التعريف واسع، إلا أنه يؤدي غرضه من حيث تصنيف أعمال محدّدة ضمن إطار رهاب الإسلام. وبموجب هذا التعريف، من غير الضروري أن تتسبّب الأفعال المرتكبة ضدّ الأفراد بضرر جسدي فقط. فمن الأعمال المندرجة ضمن نطاق رهاب الإسلام القصص المصوّرة المثيرة للجدل التي نشرها فنانون دانماركيون عام 2006. وهؤلاء كانوا قد رسموا رسوماً "فكاهية" مصوّرة عن النبي محمد بهدف السخرية من الإسلام،[252] وهو عمل لم يلق استحساناً لدى العديد من المسلمين الذين اعتبروه إهانةً غير مقبولة، لا بل تجديفاً.

يذكر كتاب "رهاب الإسلام: تحويل المسلمين إلى أعداء" أنّ "رهاب الإسلام يعكس مشاعر القلق المترسخة عميقاً وغير المدروسة إلى حدٍّ كبير التي يختبرها الكثير من الأميركيين عند التفكير في الإسلام وثقافات المسلمين".[253] ومع أنّ هذا التعريف ليس واسعاً كتعريف تايرر، إلا أنه يحصر نطاق تطبيقه ضمن الولايات المتحدة ومواطنيها. تتيح هذه المقاربة لغوتشولك وغرينبرغ تصنيف رهاب الإسلام كظاهرة قائمة ضمن إحدى الفئات السكانية، وملاحظة كيف يبقى الحقد الدفين معشِشاً فيدفع بصاحبه إلى التصرف.

251 David Tyrer, The Politics of Islamophobia: Race, Power and Fantasy (London: Pluto Press, 2003), 3.

252 Martin Asser, "What the Muhammad cartons portray," BBC News, January 2, 2010. http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4693292.stm

253 Peter Gottschalk and Gabriel Greenberg, Islamophobia: Making Muslims the Enemy (Lanham, MD: Rowman & Littlefield Publishers, 2008).

هذا من جهة. أما من جهة أخرى، فتقدّم إحدى الدراسات المنشورة على موقع غالوب الإلكتروني (Gallup)، بعنوان "رهاب الإسلام: فهم المشاعر المعادية للمسلمين في الغرب"، شرحاً مفصّلاً لرهاب الإسلام، بما في ذلك كيف يؤثّر على المسلمين ولماذا. وتعرّف هذه الدراسة برهاب المسلمين على أنه "مشاعر الخوف، والكراهية، والعدائية المبالغ فيها تجاه الإسلام والمسلمين، تُمارَس من خلال إطلاق أحكام نمطية سلبية تؤدي إلى التحيّز والتمييز ضد المسلمين، وتهميشهم وإقصائهم عن الحياة الاجتماعية، والسياسية، والمدنية."[254]

يصحّ هذا الأمر بشكل خاص، لا سيما وأنّ الهجمات الإرهابية تحظى بتغطية واسعة من وسائل الإعلام الإخبارية الوطنية، مما يُعطي انطباعاً خاطئاً بأنها تحدث طيلة الوقت. أما في الواقع، فيُعتبر الإرهاب ظاهرةً نادرةً، ذات محرّضات قليلة.

لا يقتصر رهاب الإسلام على الولايات المتحدة. في ما يلي مثال عن رهاب الإسلام من النرويج. ففي 22 يوليو 2011، أقدم متطرف نرويجي على تفجير قنبلة أسمدة داخل العاصمة، ثم انطلق يطلق الرصاص على مراهقين في مخيّم شبابي.[255] شنّ أنديرس بهرينغ بريفيك هذه الهجمات لأنه اعتقد أنّ الديمقراطيين الاجتماعيين كانوا يسلّمون بلاده إلى حكم المسلمين.[256] يُعتبر هذا مثالاً حياً على رهاب الإسلام، خاصةً وأنّ بريفيك لم يكن يخشى المسلمين فحسب، بل إمكانية بسط سيطرتهم على البلاد أيضاً. في نهاية الأمر، بلغ به خوفه حداً دفعه إلى أن يمسي إرهابياً هو نفسه. افترضت التقارير الإعلامية الأولية أنّ الهجمات حملت توقيع مسلمين راديكاليين. في هذه الحالة، يعرّف استطلاع غالوب هذه التقارير على أفضل نحو، مفيداً أنها تتّسم برهاب الإسلام. فتحيّز النرويجيين ضد الإسلام والمسلمين لم يسمح لهم بملاحظة مهاجم أو معتدٍ آخر حتى وقت متأخر.

وفقاً لتقرير صدر عن مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية عام 2016، بعنوان "مواجهة الخوف: رهاب الإسلام وتأثيره في الولايات المتحدة"، يعرّف مركز العرق والنوع الاجتماعي رهاب الإسلام على أنه مركّب اجتماعي "يعيد طرح وتأكيد هيكلية عرقية عالمية يتمّ من خلالها المحافظة على التفاوتات في طريقة توزيع الموارد، لا بل توسيع نطاق هذه التفاوتات أيضاً."[257] يأخذ هذا التعريف في الاعتبار رهاب الإسلام أينما كان في العالم، كونه لا يقتصر على مجتمع واحد فقط، بل يشمل مختلف أنحاء أوروبا وأميركا كذلك. ويمكن أن ينطبق هذا التعريف على أنديرس بريفيك أيضاً، كونه كان يخشى أن تلوّث النرويج نفسها بالمهاجرين، معتقداً أنّ المكان لا يتّسع في النرويج لكي تتعايش العقيدة اللوثرية التقليدية مع الإسلام جنباً إلى جنب.

أصدرت منظمة "رينيميدي تراست" تقريراً حول رهاب الإسلام، عرّفت فيه هذا المصطلح على أنه "عدائية غير مبرّرة تجاه المسلمين، وبالتالي خوف أو نفور من كل المسلمين أو معظمهم."[258] في هذا الإطار، بينما نتمعن في الأبحاث ضد المسلمين، نلاحظ نموذجاً يظهر أمام أعيننا. فيتميز تعريف رهاب الإسلام بمستوى معيّن من النفور أو الكراهية تجاه المسلمين بشكل عام، بسبب أعمال متطرفة يقترفها بعض الأفراد الراديكاليين في المجتمع. وهو ينبع من طريقة فهم دين الإسلام، والأحكام النمطية المفروضة على فئة سكانية كاملة بشكل واسع وعشوائي.

موجات رهاب الإسلام الثلاث في الولايات المتحدة

طغت ثلاث موجات من رهاب الإسلام على الولايات المتحدة، كلّ في مرحلة زمنية مختلفة ونتيجة مجموعة مميّزة من الظروف. فظهرت الموجة الأولى من رهاب الإسلام خلال أزمة الرهائن في إيران، بين 1979 و1981، في حين ظهرت الثانية بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، فيما ظهرت الثالثة بعد الاعتداءات الأخيرة في باريس، وسان برناردينو في كاليفورنيا، وأورلاندو في فلوريدا. يمكن القول إنّ الموجة الثالثة من رهاب الإسلام هي الأكثر عدوانيةً وضرراً، نظراً لآثارها المدمّرة البعيدة المدى وتبعاتها السلبية، لا سيما بسبب الدعاية الواسعة التي حظيت بها سواء أعبر وسائل الإعلام العادية أم شبكات التواصل الاجتماعي. فتنشر العديد من الوسائل الإعلام الصور السلبية، والأفكار النمطية المشوهة، وخطاب الكراهية ضد المسلمين، رابطةً إياهم بأعمال العنف، والتطرف، والإرهاب. وقد خلّف نطاق التغطية الواسع لوسائل الإعلام هذه، وبثها المباشر، تأثيراً مضخماً على شرائح واسعة من الجماهير. أدى هذا الأمر بدوره إلى تصعيد أعمال

254 "Islamophobia: Understanding Anti-Muslim Sentiment in the West," Gallup, accessed February 21, 2018. http://news.gallup.com/poll/157082/islamophobia-understanding-anti-muslim-sentiment-west.aspx

255 Sindre Bangstad, Anders Breivik and the Rise of Islamophobia (London: Zed Books. 2014). x.

256 المرجع نفسه.

257 "Confronting Fear: Islamophobia and its Impact in the United States," Council on American-Islamic Relations, 2016. http://www.islamophobia.org/images/ConfrontingFear/Final-Report.pdf

258 Gordon Conway, "Islamophobia: A Challenge for Us All; Report by the Runnymede Trust Commission on British Muslims and Islamophobia." (London: London Runnymede Trust. 1997).

العنف والكراهية ضد المسلمين، لا سيما في الولايات المتحدة، بما في ذلك الاعتداءات على المساجد، والمراكز الإسلامية، والنساء المحجبات. وما من شك في أنّ اللهجة التي سيطرت على تصريحات بعض المرشحين في الانتخابات الرئاسية الأخيرة في الولايات المتحدة أدت، بدورها، دوراً مهماً للغاية في ارتفاع حدة المشاعر المناهضة للمسلمين، وتعزيز انتشار رهاب الإسلام على نطاق واسع وغير مسبوق.

مكافحة رهاب الإسلام: الاستراتيجيات والتقنيات

يتفرّع رهاب الإسلام، وهو مصطلح مبتدع حديثاً للدلالة على خوف قديم العهد، عن العنصرية التي تشمل أيضاً معاداة السامية. وهو مترسخ في المجتمع في العمق لدرجة أنه قد يكون حاضراً في أي نوع من أنواع التواصل.[259] على المستوى العالمي، يفيد الكثير من المسلمين أنهم لا يشعرون بأنهم يحظون بالاحترام من المواطنين في الغرب. ووفقاً لتقرير غالوب المذكور آنفاً، يفيد 52% من الأميركيين و48% من الكنديين أنّ الغرب لا يحترم المجتمعات المسلمة، في حين توافقهم الرأي نسبٌ أقل من المشاركين الإيطاليين، والفرنسيين، والألمان، والبريطانيين.

لا يمكن إقرار قانون للحدّ من الازدراء الذي يواجهه المسلمون. لكنّ تعزيز التفاهم وإعادة تقييم التحيّز قد يؤدي إلى تغيير إيجابي تدريجي. ففي أفضل الأحوال، يجدر بالمجتمعات أن تتوصل إلى فهم أدق وأعمق للسكان المسلمين، فتتعلّم عدم إطلاق التعميمات والافتراضات بشأن أشخاص لا تعرفهم.

في الوقت عينه، يتحمّل المسلمون مسؤوليةً، كما يُناط بهم دور مهم عليهم تأديته بكلّ جدية وفعالية. "فعندما يتوافد المسلمون على أشخاص يؤمنون بديانات أخرى، عليهم تسليط الضوء على مواطن التوافق، وأوجه الشبه، والنقاط المشتركة التي تؤدي إلى بيئة من التعايش السلمي، عوضاً عن المجاهرة بالاختلافات."[260] يوضّح هذا الاقتباس ما يجدر بالمسلمين القيام به، في ما يتعلق بعدم مجابهة التعصّب بالغضب. فمن الأهم بمكانٍ أن يتصرف المرء باستباقية عوضاً عن إبداء ردود الفعل. كذلك، من شأن نشر التوعية والمعارف الصحيحة، عوضاً عن اتّخاذ موقف دفاعي، أن يعزّز التواصل مع غير المسلمين ويُبعدهم عن أي توجهات تصب ضمن إطار رهاب الإسلام. أما تجاهل المشكلة، فلن يجعلها تزول بكل بساطة. فلكي يكون المسلمون مواطنين فاعلين، عليهم أن يحاولوا تغيير تصورات وسائل الإعلام من خلال الرسائل الإيجابية. في خضم ذلك، عليهم أن يحاولوا التواصل مع وسائل الإعلام السائدة، مع الاستفادة طبعاً من المنصات الإعلامية الجديدة، كالمنتديات الإلكترونية. ينطبق هذا الأمر بشكل خاص في هذا العصر من التواصل الرقمي، حيث يحصل معظم الأشخاص على الأخبار إلكترونياً، ويستخدمون مختلف أشكال التواصل عبر الإنترنت.

رهاب الإسلام على الإنترنت

لا يخفى على أحد أنّ شبكة الإنترنت، بكل ما تتضمّنه من محتويات "غير مصفّاة"، قد تضرّ بالمسلمين أحياناً، لا بل تؤثّر سلباً على صورتهم وسمعتهم. على سبيل المثال، تحاول بعض الحملات عبر تويتر، مثل #احظُروا الإسلام (#banislam)، تسليط الضوء على التطرف الإسلامي.[261] في عصر رقمي جديد، حيث يتمّ تبادل المعلومات بشكل فوري وفي حينه، من المستحيل توقيف هذه الأنواع من الحملات، أو فرض رقابة كلية عليها. مع ذلك، ابتكر المستخدمون المسلمون هاشتاغ الغضب المسلم (#MuslimRage) لمكافحة هذه الحملة المناهضة للمسلمين. يسلّط هذا الهاشتاغ الضوء على التحيز ضد المسلمين والكراهية التي يتلقونها يومياً، بطريقة فكاهية وذكية وساخرة. في هذا الإطار، تجدر الإشارة إلى أنّ المسلمين الذين شاركوا في هذه الحملة لا ينشرون ردوداً ملؤها الكراهية أو الغضب. وفي الواقع، يمكن القول إنّ تصرفهم هذا انطوى على الحكمة. فإن كانوا قد فعلوا، لساهموا في تكريس الصورة النمطية للمسلم الغاضب والعدواني، مما كان ليخلّف أثراً ضاراً ويؤتي بنتائج عكسية.

الإنترنت: سيف ذو حدين عند التعامل مع رهاب الإسلام

على ضوء المناقشة أعلاه، يمكن القول إنّ الإنترنت تصبح سيفاً ذو حدين عندما يتعلق الأمر بمعالجة مفهوم رهاب الإسلام المعقد. فمن جهة، يمكن اعتبار الإنترنت، بمختلف تطبيقاتها، واستخداماتها المتعددة ذات القدرة على التواصل الفوري

259 Hillel Schenker and Abu Zayyad Ziad, Islamophobia and Anti-Semitism (Princeton, NJ: Markus Wiener Publishers, 2006).

260 Seyyed-Abdulhamid Mirhosseini and Hossein Rouzbeh, eds., Instances of Islamophobia: Demonizing the Muslim "Other" (Lanham, Maryland: Lexington Books, 2015), 1.

261 Katie McFadden, "#MuslimRage Hashtag Takes Over Twitter: Hilarious Response Tweets to 'Muslim Rage' Newsweek Cover," Travelers Today, September 18, 2012.

والواسع، أحد أهم العوامل لانتشار رهاب الإسلام، لا في الولايات المتحدة فحسب، بل على صعيد عالمي أيضاً. أما من جهة أخرى، فبوسعنا القول أيضاً إنّ الإنترنت تقدّم كذلك فرصاً مميّزة لمكافحة رهاب الإسلام، وتوفير بعض من أسرع الأدوات وأكثرها فعالية ونفوذاً لمكافحته، من خلال إطلاق حملات إلكترونية منسّقة.

بعض هذه الحملات سبق وأطلقه مسلمون عبر الإنترنت، كما هو مبيّن أدناه، لكنّ الحاجة تدعو بالطبع إلى بذل المزيد من الجهود في هذا المضمار، بشكلٍ منتظم ومتواصل.

> إنّ الإنترنت تقدّم كذلك فرصاً مميّزة لمكافحة رهاب الإسلام، وتوفير بعض من أسرع الأدوات وأكثرها فعالية ونفوذاً لمكافحته، من خلال إطلاق حملات إلكترونية منسّقة.

أمثلة عن حملات إلكترونية ناجحة لمكافحة رهاب الإسلام

من الأمثلة الجيدة والفعالة على مكافحة رهاب الإسلام ما حدث بعد تلميح المرشح الجمهوري للانتخابات الرئاسية دونالد ترامب إلى أنّ ديانة غزالة خان يُمكن أن تكون قد ردعتها عن مخاطبة المؤتمر الوطني الديمقراطي. لكنّ خان دافعت عن نفسها وتكلّمت. كما بدأت نساء مسلمات أخريات باستخدام هاشتاغ #أيمكنكم سماعنا الآن (#CanYouHearUsNow)، لإثبات إلى أيّ مدى يستطعن التعبير عن آرائهن، وكم هنّ قويات وصريحات، وكذلك لإعطاء أمثلة واضحة عن نجاحهن وإنجازاتهن في مجالات متنوّعة. بعبارة أخرى، كافحت هؤلاء النساء، بكل قوة وفعالية، الفكرة النمطية المشوّهة المكوّنة عن المرأة المسلمة التي يتمّ إسكاتها، عبر الحرص على إسماع "أصواتهن"، بنبرة جهورية، عبر هذه الحملة الإلكترونية المنسّقة.

من الأمثلة الإيجابية والناجحة الأخرى على مكافحة رهاب الإسلام ما جرى عندما أجاب ترامب عن سؤال طرحته امرأة مسلمة خلال المناظرة الرئاسية الثانية، عن خطر رهاب الإسلام، حيث قدّم ترامب إجابةً تصبّ ضمن إطار رهاب الإسلام، مقترحاً ضرورة أن "يبلّغ" المسلمون دوماً عن أي شيء قد يبدو لهم مثيراً للشبهة، ولو من بعيد. فحفّز هذا الأمر العديد من المسلمين على إطلاق حملة على وسائل التواصل الاجتماعي بعنوان: #مسلمون يبلّغون عن أمور (#MuslimsReportStuff)، فكانت حملةً ذكيةً وساخرةً وطريفةً جداً. من التغريدات التي نُشرت في هذا الإطار رسائل مثل "أمي تطهو الحساء نفسه كل يوم، سأبلّغ السلطات عنها"، أو "أخي يرفض ترتيب غرفته، لذا سأبلّغ مكتب التحقيقات الفدرالي عنه." هنا، يمكن القول إنّ استخدام الفكاهة بشكل استراتيجي خدم الغرض وساعد في إحداث تأثير قوي وفعال. هذا مثال ممتاز آخر يصوّر قوّة وسائل التواصل الاجتماعي وصحافة المواطن عندما تُستخدم بشكلٍ مناسب ومؤثّر.

في كلا المثالين الواردين أعلاه، يمكن الاستنتاج أنّ الاستراتيجيات والتكتيكات الفعالة المطلوبة لمكافحة رهاب الإسلام تشمل الجمع بين المهارة التكنولوجية والفطنة، والفكاهة، والذكاء، وسرعة البديهة، فضلاً عن استخدام الرسالة المناسبة، عبر الوسيلة المناسبة، لبلوغ الجمهور المناسب، في الوقت المناسب.

من الأمثلة الأخرى على الجهود الإيجابية والفعالة لمكافحة رهاب الإسلام ما يلي:

- يحاول فيديو مؤسسة يونيتي برودكشن (UPF) بعنوان "المسلمون الأميركيون: الحقائق مقابل الخيال"، وهو متوفّر على يوتيوب، تصحيح بعض الأفكار النمطية والتصورات الخاطئة الشائعة عن المسلمين الأميركيين، كاعتبارهم مهاجرين جدد إلى الولايات المتحدة، أو ربطهم بالتطرف والأصولية والإرهاب.
- تحاول "حملة اللوحات الإعلانية الموالية للإسلام" نشر التوعية الصحيحة بشأن الإسلام والمسلمين، عبر نشر رسائل من خلال لوحات إعلانية مثل: "يسوع: نبي في الإسلام"، و"هل تبحث عن إجابات في الحياة؟ اكتشف محمد"، و"#من هو محمد؟ لديك أسئلة، احصل على أجوبة: WhyIslam.Org ".
- تحاول سلسلة فيديوهات #المسلمون يتكلّمون (#MuslimsAreSpeakingOut) توفير منصة لمجموعات مختلفة من المسلمين، أكانوا من علماء الدين، أم الأئمة، أم المفكّرين، أم المهنيين، أم الصحافيين، أم عامة الناس، للإفصاح عن آرائهم بشأن ارتفاع موجة التطرف، والمجاهرة برفضهم العنف والإرهاب، وشجب كافة أشكال العنف والتطرف بشكل واضح، مع فصل الإسلام عنها.
- كانت حملة "#حبة إسلاموفوبين" التي أطلقها مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية حملةً مضحكةً جداً، وساخرة، وتنمّ عن اللباقة والفطنة، حيث اقترحت على من تظهر عليه علامات رهاب الإسلام، أو الخوف المفرط وغير المنطقي من المسلمين، أن يطلب علاجاً عبر تناول حبة إسلاموفوبين الوهمية ثلاث

مرات يومياً، حتى تزول عنه أعراض رهاب الإسلام.

توصيات حول المقاربات المناسبة لمكافحة رهاب الإسلام

- كن "سباقاً" لا "انفعالياً". (فأن تعمل على الوقاية من الحرائق خيرٌ دوماً من إخمادها). بعبارةٍ أخرى، يجدر بالمسلمين بذل جهود حقيقية لنشر معلومات صحيحة عن دينهم للآخرين، أي لغير المسلمين، في الأوقات كافة، وليس كردّ فعل على أعمال أو حملات تصبّ ضمن نطاق رهاب الإسلام فقط. فلا يجدر بهم الاكتفاء باعتماد المواقف الدفاعية بعد ارتكاب شخص يحمل اسماً مسلماً عملاً إرهابياً.
- عبّر عن رأيك بصراحة بشأن مشكلة التطرف، وأدِن الإرهاب بأعلى الصوت، من دون أن تفرط في الاعتذار حتى تبدو وكأنك تخجل بهويتك وانتمائك الديني و/أو تميل إلى عدم الإفصاح عنه في العلن.
- تجنّب العنف والعدوانية والكلمات والممارسات الجارحة كردّ فعل على ما تواجهه من أقوال وأفعال تنمّ عن رهاب الإسلام. هذا الأمر مهمّ جداً خاصةً وأنّ الأعمال العدائية ستزيد الطين بلةً وتدفع إلى ربط المسلمين بالإرهاب والتطرف أكثر من ذي قبل، وبالتالي فقد تكون مؤذية ومضرة جداً، وتؤتي بنتائج عكسية. كذلك، ليس من الممكن الدفاع عن دين الإسلام من خلال الطعن في المبادئ التي يقوم عليها، ولا الدفاع عن نبي الإسلام من خلال خيانة قيمه والسير عكس نهجه المسالم ومثله العليا.
- شجّع المزيد من المسلمين الشباب على دراسة الصحافة وممارستها، فضلاً عن مختلف فنون التواصل، بهدف تأمين تمثيل أفضل وأدق وأكثر واقعية للمسلمين في مختلف المجالات الإعلامية.
- يجب دمج المسلمين وإشراكهم في مختلف أشكال الأنشطة المجتمعية التي تُنظّم في أحيائهم ومجتمعاتهم المحلية، ومراعاة مخاوفهم بشأن القضايا المتعلقة بالتربية، والتعليم، والبيئة، والمواصلات إلخ.، فضلاً عن مسائل العدالة الاجتماعية، والإنصاف، والدمج. فمن شأن ذلك أن يشجع على تمتين دورهم وإبرازهم كمواطنين ناشطين، يشاركون بشكل واضح ويندمجون بفعالية في مجتمعاتهم.
- أخيراً، يجب تشجيع المزيد من المسلمين على الترشّح لمناصب محلية ووطنية، مما يشكّل طريقة ممتازة لضمان مصالح المجتمع المسلم ومكافحة السياسات والتشريعات المعادية للمسلمين التي يمكن أن تضرّ بمصالحهم، أفي الحاضر أم في المستقبل، فضلاً عن مكافحة المشاعر والأفعال المعادية للمسلمين.

> الاستراتيجيات والتكتيكات الفعالة المطلوبة لمكافحة رهاب الإسلام تشمل الجمع بين المهارة التكنولوجية والفطنة، والفكاهة، والذكاء، وسرعة البديهة، فضلاً عن استخدام الرسالة المناسبة، عبر الوسيلة المناسبة، لبلوغ الجمهور المناسب، في الوقت المناسب.

رهاب الإسلام والحركات اليمينية في الولايات المتحدة: من النظريات إلى التطبيق

تشيب بيرليت

صحافي وناشط في مجال حقوق الإنسان

بدأت الافتراءات الغريبة ونظريات المؤامرة المثيرة للسخرية بشأن الإسلام والمسلمين تستشري في الولايات المتحدة، مخلّفةً نتائج رهيبة على صعيد التعصب والعنف. فتردّد هذه المزاعم الكاذبة أصداءً هائلة لدى اليمين، من خلال انتشار قصص مرعبة تعكس حجم رهاب الإسلام، وتساهم في تعبئة الأشخاص وحثهم على التحرك ضد تهديد يخالونه حقيقياً. في هذا الإطار، تفيد نظريات علم الاجتماع أنّ الأوضاع المعرّفة كحقيقية إنما تكون حقيقية من حيث نتائجها.[262]

اليوم، تتعرض فكرة حقوق الإنسان للهجوم والتقويض من مقاعد السلطة في عاصمة بلادنا. فنراقب بينما تنهال الهجمات على المسلمين، واليهود، وذوي البشرة الملوّنة، والمهاجرين، ومجتمع الميم، لتحتلّ صدارة العناوين المروّعة، يوماً تلو الآخر.

أكتب بصفتي ناشطاً في حركة حقوق الإنسان العالمية المندرجة ضمن إطار "منهاج العمل" الصادر في مؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع المعني بالمرأة الذي انعقد في بيجين، الصين، في سبتمبر 1995.

يتطلّب منهاج العمل اتّخاذ إجراءات فورية ومتضافرة من جانب الجميع من أجل إيجاد عالم يسوده السلم والعدل والإنسانية، ويستند إلى حقوق الإنسان والحريات الأساسية، بما في ذلك مبدأ المساواة بين الجميع في جميع الأعمال وفي جميع مناحي الحياة، ولذا يعترف بأنّ النمو الاقتصادي المطرد والواسع النطاق في سياق التنمية المستدامة ضروري لدعم التنمية الاجتماعية والعدالة الاجتماعية.[263]

بدأت المحامية آن فاغان، مؤسِّسة معهد مايكلجون للحريات المدنية، بالترويج لفكرة وضع إطار لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة في الستينيات. أما الناشطة النسوية ذات البشرة السوداء، لوريتا روس، فقد عادت من مؤتمر بيجين حول المرأة عام 1995 وهي تتّقد حماساً، فأعادت تركيز عملها ليندرج ضمن إطار النضال من أجل تأمين حقوق الإنسان الأساسية للجميع. في بعض الأحيان، قد لا تكتسب الأفكار ثقلاً إلا بعد عقود. وفي أحيانٍ أخرى، يُدفع النضال من أجل حقوق الإنسان خطوات إلى الوراء. اليوم، تتعرض فكرة حقوق الإنسان للهجوم والتقويض من مقاعد السلطة في عاصمة بلادنا. فنراقب بينما تنهال الهجمات على المسلمين، واليهود، وذوي البشرة الملوّنة، والمهاجرين، ومجتمع الميم، لتحتلّ صدارة العناوين المروّعة، يوماً تلو الآخر.

لكن هناك من يقاوم. فلديّ حلفاء كثيرون يناضلون معي من أجل حقوق الإنسان. فهنا بيني روزنواسر تعمل مع أطفال من الشرق الأوسط، وتبني جسوراً ترقى فوق مختلف الحدود الدينية، والإثنية، والعرقية.[264] وهناك روبي سايلز، ناشطة عظيمة في مجال الحقوق المدنية، تغلّبت على صدمة رؤية صديقها وحليفها جوناثان دانيالز يخرّ صريعاً عام 1965 نتيجة طلقة بندقية كانت موجّهة نحوها.[265] ومنذ ذلك الحين، كرّست سايلز حياتها لمداواة جراح التعصّب العرقي، والجندري، والديني.[266] ثم لا ننسى

262 William Isaac Thomas and Dorothy Swaine Thomas, The Child in America: Behavior Problems and Programs (New York, N.Y.: A.A. Knopf, 1928), 572.

263 مؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع المعني بالمرأة، "منهاج عمل المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة: العمل من أجل المساواة والتنمية والسلم"، UN.org ، أيلول/سبتمبر 2015، الفقرة الرابعة، تمّت زيارة الموقع في 23 آذار/مارس 2018. http://www.un.org/womenwatch/daw/beijing/platform/plat1.htm#statement.

264 Penny Rosenwasser. راجع http://pennyrosenwasser.com/about/.

265 Mary Frances Schjonberg, “Remembering Jonathan Daniels 50 years after his martyrdom,” Episcopal News Service, August 13, 2015, http://episcopaldigitalnetwork.com/ens/2015/08/13/remembering-jonathan-daniels-50-years-after-his-martyrdom/.

266 Ruby Sales, “Where Does It Hurt?” Interview with Krista Tippett, On Being program, August 17, 2017, Online transcript: https://onbeing.org/programs/ruby-sales-where-does-it-hurt-aug2017/.

البروفسور محمد جعفر محلاتي الذي اقترح الاحتفال بيومٍ عالمي للصداقة بين شعوب الأرض.[267] وترتكز الصداقة على الاحترام المتبادل عوضاً عن "التسامح". فالتسامح كلمة تنطوي على وجود خطأ ما يجب التغاضي عنه من باب اللياقة والتهذيب.

نحن الأربعة (وحلفاء كثيرون آخرون) نعتبر أنفسنا جزءاً من حركة عالمية لحقوق الإنسان، نعمل فيها كأشخاص مؤمنين، يسيرون على درب أبناء إبراهيم، ووفقاً لولايات الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان.[268] في مقابلة مع روبي سايلز في ربيع 2017، واظبت روبي على مساءلة بلادنا بشأن الإيفاء بوعودها. فقالت: "عندما يقول الناس إنّ العنصرية ليست إحدى القيم الأميركية، بالإشارة إلى دونالد ترامب وعنصريته، بإمكاني أن أعود بالزمن إلى الوراء لأثبت لهم أنها ليست جزءاً من نظام قيمنا الأميركية فحسب، بل جزء من تاريخنا أيضاً."[269] وتذكّرنا سايلز أنّ مارتن لوثر كنغ الابن بث فينا الأمل عندما قال: "لا يمكن لأي كذبة أن تدوم إلى الأبد" و"إنّ قوس العالم الأخلاقي طويل، ولكنه ينحني نحو العدالة."

تصنيف الخصوم

ما الحاجة إلى التعمّق في الفئات المختلفة بالتفصيل؟ في الولايات المتحدة بشكل خاص، حيث يتمّ تطبيق التعديل الأول على الدستور المتعلق بحماية حرية التعبير، تجدر الإشارة إلى أنه، من حيث القانون، يُعتبر الانتقال من المناصرة إلى التخويف، فالاعتداء، والعنف، خطوة كبيرة. وبطبيعة الحال، لا تحظى هذه الأفعال بحماية من دستورنا. في المقام الأول، يجب أن يكون قطاع الأعمال العدائية/الإبادة الجماعية المذكور أدناه الشاغل الشاغل لأجهزة إنفاذ القوانين. لكن، لا يخفى على أحد أنّ الكثير من الحركات اليمينية الشعبوية في الولايات المتحدة تنشر رهاب الإسلام كجزء من مشروع أكبر لتحقيق القومية الإثنية البيضاء، غير أنّ هذا الأمر وحده لا يبرر اعتماد أجهزة إنفاذ القوانين لتقنيات المراقبة الصارمة التي تتدخل في حياة الأشخاص بشكل مستمر.

فضلاً عن ذلك، يرتكز رهاب الإسلام على الخطابات والأيديولوجيات السائدة التي تقولب جميع المسلمين ضمن قالب الخطر التخريبي العشوائي الذي يهدّد وطننا. ومن شأن هذا الأمر أن يتحدانا جميعاً، كمشاركين في مجتمع متعدد الأبعاد، كي ننتقد رهاب الإسلام في الحركات السياسية والاجتماعية الموجودة، بحسب وجهة نظر قادة الأحزاب السياسية ومناصريها.

فإذا كنت تواجه مشقةً في التصدي لرهاب الإسلام في الولايات المتحدة، من المفيد أن تعرف أولاً من هي الجهات التي يجب أن تتصدى لها:

ليس رهاب الإسلام في الولايات المتحدة بمتجانس

الحركات السياسية "السائدة"	حركات سياسية غير نموذجية
الحركات الاجتماعية الواسعة النطاق	حركات شعبوية يمينية
بعض الجماعات اليمينية المسيحية المنظمة	ثقافية/ اجتماعية
حركات القوميين البيض الثقافية	حركات قومية مسيحية
شريحة كبيرة من الناخبين الجمهوريين عام 2016	حركات القوميين البيض
بعض الحركات القومية الإسرائيلية الناشطة والعدوانية	انفصالية/إقصائية
	حركات تؤمن بتفوق المسيحيين
	حركات تؤمن بتفوق العرق الأبيض
	تنادي إلى الأعمال العدائية/الإبادة الجماعية
	حركات فاشية جديدة تؤمن بتفوق العرق الأبيض
	حركات نازية جديدة تؤمن بتفوق العرق الأبيض

267 Mohammad Jafar Mahallati. See https://www.oberlin.edu/mohammad-jafar-mahallati.

268 United Nations Mandates on Human Rights. Online at http://www.ohchr.org/EN/AboutUs/Pages/Mandate.aspx.

269 Liz Mineo, "For Ruby Dales, long road to hope," The Harvard Gazette, April 7, 2017, https://news.harvard.edu/gazette/story/2017/04/civil-rights-legend-ruby-sales-sees-reason-for-hope-ahead-of-harvard-divinity-school-talk/.

270 Cas Mudde, "The Problem with Populism," The Guardian, February 17, 2015, https://www.theguardian.com/commentisfree/2015/feb/17/problem-populism-syriza-podemos-dark-side-europe.

المصطلحات

الشعبوية

وفقاً للعالِم كاس مودي: "الشعبوية أيديولوجية تعتبر المجتمع مقسّماً، في نهاية الأمر، إلى مجموعتين متجانستين لكن متخاصمتين: "الشعب النقيّ" و"النخبة الفاسدة". ويجادل أنّ السياسة يجب أن تكون تعبيراً عن الإرادة العامة للشعب. وفقاً لمودي، يجمع السياسيون الشعبيون، في كافة الحالات تقريباً، بين الشعبوية و"أيديولوجيات أخرى، كسياسة حماية مصالح المواطنين على حساب المهاجرين، الرائجة لدى اليمين، والاشتراكية الرائجة لدى اليسار."[270]

الشعبوية اليمينية

ليست أهداف الحركات الشعبوية اليمينية دفاعيةً أو قائمةً على رد الفعل فحسب. فأجادل أنا وماثيو ن. ليونز أنّ نموّها غالباً ما يتأثّر بالمخاوف من السياسات الاجتماعية والاقتصادية الليبرالية، فضلاً عن الحركات الاجتماعية اليسارية. كما وجدنا أنّ أندرو جاكسون هو "أول رئيس أميركي منتخب باستخدام الخطاب الشعبوي" وأنّ أول حركة شعبوية أميركية، يمكن وصفها بشكل لا لبس فيه كحركة يمينية، هي الكو كلوس كلان في عهد إعادة الإعمار...."

> تجنُّب المصطلحات الشاملة والمبهمة مثل "جماعات الكراهية" و"جرائم الكراهية" و"خطاب الكراهية"، واستبدالها بأزواج الكلمات والعبارات التي تربط الأذى بالفعل الذي يمثّل مشكلةً.

الفاشية، والفاشية الجديدة، والنازية الجديدة

يجادل روجر غريفين أنّ الفاشية هي "شكل ثوري من أشكال القومية" تسعى إلى صبّ " "الشعب ضمن قالب المجتمع الوطني الحيوي" باستخدام خطاب شعبوي و"إعادة ولادة وطنية مطهرة ومنقية" لجعل البلاد عظيمة مجدداً.[271]

يقول روبرت باكستون إنّ الفاشية تتّسم بانشغال استحواذي بتراجع المجتمعات المحلية، أو شعورها بالإذلال، أو وقوعها ضحية، على نحو يولّد تحركات داعية إلى "الوحدة، والحيوية، والنقاء". يشمل هذا الأمر "حزباً جماهيرياً يتضمّن ناشطين قوميين ملتزمين" وفقاً لباكستون. فينسج هؤلاء الناشطون "تعاوناً غير سهل لكن فعالاً مع النخب التقليدية". بعد ذلك، تنجرف هذه الحركة الشعبوية اليمينية نحو الفاشية. يحذّر باكستون أنّ هذا الأمر قد يؤدي إلى التخلّي عن "الحريات الديمقراطية" واستخدام "العنف التعويضي من دون أيّ قيود أخلاقية أو قانونية." فتكون النتيجة ربما حملات قومية هجومية تنادي "بالتطهير الداخلي والتوسّع الخارجي."[272]

بعض التوصيات بشأن السياسات العامة

ينبّه راندي بوروم إلى أنه "في الخطاب المتعلق بمكافحة الإرهاب، يُستخدم مصطلح "الراديكالية" على نحوٍ واسع، لكنه لا يلقى تعريفاً وافياً. وأما التركيز بشكل ضيّق على الراديكالية الأيديولوجية، فقد يوحي وكأنّ المعتقدات الراديكالية بديل عن الإرهاب- أو على الأقل نذير متلازم له- مع علمنا أنّ هذا الأمر غير صحيح."[273] هنا، لا بدّ من التنبّه إلى أنّ مصطلح "الراديكالية العنيفة" قد يطأ على ضمانات التعديل الأول، في حين أنّ عبارة "العنف المتعصب" تسلّط الضوء على المشكلة الحقيقية بشكلٍ أفضل.

- تجنُّب المصطلحات الشاملة والمبهمة مثل "جماعات الكراهية" و"جرائم الكراهية" و"خطاب الكراهية"، واستبدالها بأزواج الكلمات والعبارات التي تربط الأذى بالفعل الذي يمثّل مشكلةً. من شأن ذلك أن يوفّر فرصاً تعليمية.

التحيّز ضد الإسلام	الهجمات ضد المرأة	التمييز ضد المكسيكيين
كلمات معادية للسامية	العنف ضد السود	لغة متحيّزة جنسانياً
أفكار نمطية معادية للمثليين	رهاب الأجانب والعداء للمهاجرين	دعابات عنصرية

عندما نستخدم كلمة "الكراهية"، نعلّم 80% من الأميركيين البيض أنهم غير متواطئين مع أنظمة الاضطهاد والقمع السياسي. أما العشرون بالمئة الآخرون، فيعرفون قبلاً أنّ هذا الأمر غير صحيح.

271 Roger Griffin, Roger, The Nature of Fascism (New York: St. Martin's Press, 1991), xi.

272 Robert O. Paxton, The Anatomy of Fascism (New York: Knopf, 1994), 218.

273 Randy Borum, "Radicalization into Violent Extremism I: A Review of Social Science Theories," Journal of Strategic Security, Volume 4, Issue 4 (2011): 7-36.

- الاستعداد لانتقاد وسائل الإعلام والمعلنين فيها عندما يحققون أرباحاً من استخدام كلمات مهينة أو استفزازية تغذي التحيّز والتعصّب، وتشجّع على العنف بشكل متكرر.
- توسيع التمويل لتدريب ضباط إنفاذ القوانين والعناصر الأمنية على واقع صون الدستور الأميركي وشرعة الحقوق في مجتمع متعدد الثقافات.
- التفكير في التخلي عن مصطلح "التسامح" واستبداله بكلمة "الاحترام". فهل يجدر بالأشخاص أن "يتسامحوا" مع أزواجهم، وزوجاتهم، وشركائهم، وأصدقائهم؟ أم يجدر بهم احترامهم؟ ترتكز الحركة العالمية لحقوق الإنسان على أساس الاحترام المتبادل بين جميع الشعوب.

الملاحظات الختامية

لا تتسبّب المجموعات اليمينية المتعصّبة بمشاعر التحيّز والإجحاف في الولايات المتحدة، بل تستغلها. ولعلّ ما نراه كتعصّب بغيض يطفو على سطح خطابات الحركات الشعبوية اليمينية ما هو، في الواقع، إلا الشكل المضخّم للاضطهاد الذي يعوم بصمت في تلك الدوامة المألوفة، لكن المعتمة، التي يتخبط فيها المجتمع "السائد". يُعتبر رهاب الإسلام، والعنصرية، ورهاب الأجانب الموجّه ضد المهاجرين، ومعاداة السامية، والتحيّز الجنسي، ورهاب المثليين، أشكالاً أساسيةً من الشعور بالتفوق الذي يوجد الاضطهاد، ويدافع عن التفاوت في السلطات والامتيازات، لا بل يعمل على توسيع نطاقه؛ لكن لا يمكن أن ننسى الأشكال الأخرى المرتكزة على الطبقة، والسن، والقدرة، واللغة، والإثنية، ووضع الهجرة، والحجم، والدين وغير ذلك. تتواجد أساليب الاضطهاد هذه على نحو مستقل في الثقافة السائدة، جنباً إلى جنب الحركات اليمينية في المجتمع الأميركي.[274]

لكنّ أياً من هذه الأطر الاجتماعية أو الفلسفية يُعدّ جديداً. فقد تعلّمت ذلك شخصياً في الستينيات بينما كنت مشاركاً في مخيمات فتيان الكشافة والمعتكفات الدينية المسكونية للشباب، حيث كنت مشاركاً في بداية الأمر ثم مديراً للنقاشات.

استنتجت الفيلسوفة هانا أريندت، في كتابها "إيشمان في القدس"، أنّ هناك أمراً عالمياً واحداً لا غير يفرض نفسه علينا، ومفاده: عندما نشهد على اضطهاد، يجب أن نعارضه.[275] أما الادعاء بأننا وطنيون، وندافع عن الأمة ضد أعمال التخريب والخيانة، فيعني أننا سنشاهد أشخاصاً ينبذون المسلمين، ويعاملونهم بوحشية، ويقتلونهم. كيف لا وقد أثبتت الأبحاث في مجال العلوم الاجتماعية أنّ الخطاب التشويهي الذي يستهدف أكباش الفداء قد يحث على العنف، بما في ذلك القتل.[276]

> سيسجّل التاريخ ما إذا كان نضالنا من أجل العدالة وحقوق الإنسان العالمية قد تكلّل بالنجاح أم لا. غير أنّ التاريخ سيحكم ما إذا كنا قد نهضنا من كبوتنا، وعبرنا عن رأينا، اليوم، ضد رهاب الإسلام وبقية أشكال الاضطهاد المنهجي

تُعتبر الحركات الفاشية والنازية الجديدة ناشطةً في الولايات المتحدة اليوم. وقد اختبرت، أنا وزوجتي، كارين موير، كيفية التصدي لهذه القوى. فبين 1977 و1988، كنا نعيش في حي ماركيت بارك، جنوب غرب شيكاغو، حيث كان نازيون جدد يلبسون زياً موحداً ويؤججون مظاهر التحامل العنصري الأبيض. هذا هو الحي نفسه الذي أوقف مسيرةً بقيادة مارتن لوثر كنغ الابن، يدعو فيها إلى سوق سكنية مفتوحة للجميع.[277] عملنا ضمن ائتلاف متعدد الأعراق، عُرف باسم "المؤتمر المجتمعي الجنوب غربي"، حيث طعنّا في العنف العرقي الذي طال السود وشمل الضرب وقصف المنازل بالقنابل الحارقة. أنشأنا ائتلافات ارتقت فوق الحدود التقليدية، وحشدنا مقاومةً ضد المؤمنين بتفوق العرق الأبيض، كما تحدّينا القوميين البيض المتأصلين في قوميتهم. بعد عشر سنوات، أصبح حيّنا ينعم بالأمان بالنسبة إلى جميع السكان. لم تكن المقاومة عديمة الجدوى. وقبل بضعة أشهر من انعقاد مؤتمرنا في مركز كارتر، تمّ كشف النقاب عن تمثال لكنغ على أرض مبنى الكابيتول في ولاية جورجيا.[278]

أؤمن بإله يطالب أهل الكتاب بالعدالة... ومنا يهود، ومسيحيون، ومسلمون. نحن أبناء أبراهام/أفرام/إبراهيم أو كيفما شئتم تسميته، نحن الذين وعظَنا نبينا أشعيا قائلاً:

274 Chip Berlet, "Mapping the Political Right: Gender and Race Oppression in Right-Wing Movements," in Abby Ferber, ed, Home-Grown Hate: Gender and Organized Racism (New York: Routledge, 2004): 18-45. Online at https://www.academia.edu/34734671/.

275 Hannah Arendt, Eichmann in Jerusalem: A Report on the Banality of Evil (New York: Viking Press, 1963). An excellent discussion of Arendt's thesis is by Judith Butler, "Hannah Arendt's challenge to Adolf Eichmann, The Guardian, August 29, 2011, https://www.theguardian.com/commentisfree/2011/aug/29/hannah-arendt-adolf-eichmann-banality-of-evil

276 Chip Berlet, "Heroes Know Which Villains to Kill: How Coded Rhetoric Incites Scripted Violence" in Matthew Feldman and Paul Jackson (eds), Doublespeak: Rhetoric of the Far-Right Since 1945 (Stuttgart: ibidem-Verlag, 2014). Online at https://www.academia.edu/26640115/Heroes_Know_Which_Villains_to_Kill_How_Coded_Rhetoric_Incites_Scripted_Violence

277 Frank James, "Martin Luther King Jr. in Chicago," Chicago Tribune, last accessed March 23, 2018, http://www.chicagotribune.com/news/nationworld/politics/chi-chicagodays-martinlutherking-story-story.html.

278 Myrydd Wells, "Georgia Capitol's Martin Luther King Jr. statue unveiled on 54th anniversary of "I Have a Dream," Atlanta Magazine, August 28, 2017, http://www.atlantamagazine.com/news-culture-articles/georgia-capitols-martin-luther-king-jr-statue-unveiled-54th-anniversary-dream/.

ويلٌ للذين يقضون أقضية البُطل، وللكتبة الذين يسجّلون جوراً ليصدّوا الضعفاء عن الحكم، ويسلبوا حقّ بائسي شعبي... إلى من تهربون للمعونة، وأين تتركون مجدكم؟[279]

سيسجّل التاريخ ما إذا كان نضالنا من أجل العدالة وحقوق الإنسان العالمية قد تكلّل بالنجاح أم لا. غير أنّ التاريخ سيحكم ما إذا كنا قد نهضنا من كبوتنا، وعبرنا عن رأينا، اليوم، ضد رهاب الإسلام وبقية أشكال الاضطهاد المنهجي.[280]

أدوات الخوف

نورد مخططاً بيانياً يشرح التقنيات التي استخدمها الغوغائيون لتعبئة مشاعر الحقد، وإنشاء أنظمة من الاضطهاد تؤدي إلى استخدام العنف ضد المجموعات المتّخذة كبش فداء في مجتمع ما. عبر الإنترنت: https://www.tools-of-fear.net/.

279 Isaiah 10: 1-4. New International Version (NIV). Nashville, TN: Harper Collins Christian Publishing.

280 Myrydd Wells, "Georgia Capitol's Martin Luther King Jr. statue unveiled on 54th anniversary of 'I Have a Dream,' Atlanta Magazine, August 28, 2017, http://www.atlantamagazine.com/news-culture-articles/georgia-capitols-martin-luther-king-jr-statue-unveiled-54th-anniversary-dream/.

المقاربة المتعددة الطبقات لمعالجة رهاب الإسلام: مساهمة في إعداد آلية استجابة مستدامة واستراتيجية

دوديك أريانتو

مرصد الإسلاموفوبيا التابع لمنظمة التعاون الإسلامي

الوضع الحالي لرهاب الإسلام

يشهد رهاب الإسلام، منذ هجمات 11/9، نموّاً مطرداً في الغرب؛ واستمرّ يتجذّر عميقاً من خلال حملات مكثفة وخطابات عامة تبثّ الخوف من الإسلام، فضلاً عن عددٍ كبيرٍ من الأحداث التي استهدفت مسلمين، ومساجد، ومراكز إسلامية، وأشخاصاً باللباس الإسلامي، ورموزاً إسلامية مقدّسة. وقد أشارت تقارير وأدلة إلى أنّ المشاعر السلبية تجاه الإسلام والمسلمين لا تنفكّ تتوسّع في أذهان المواطنين العاديين في بلدان الغرب، نتيجة انعدام ثقتهم بالإسلام والمسلمين. زد على أنّ هناك مؤشرات واضحة تُظهر أنّ عدداً متزايداً من المواطنين الغربيين يشكّك في أنّ الإسلام دين سلام فعلاً، لا بل ينظر بعين الارتياب إلى الأنشطة الدينية المنفّذة في المساجد والمراكز الإسلامية، رابطاً بين الإسلام وظاهرتي التطرف والإرهاب القائمتين.

بات رهاب الإسلام، خلال السنوات القليلة الماضية بشكلٍ خاص، مشكلةً مستعصيةً، مواصلاً زيادته المطردة من دون أي مؤشر على تراجع محتمل. من الأمثلة على ذلك الخطابات السلبية الواسعة النطاق التي تطال الإسلام، ناهيك عن الحوادث التي تستهدف المساجد، والمراكز الإسلامية، والأفراد المسلمين، والمجتمعات المسلمة، فضلاً عن النساء المحجبات. وتُعتبر المساجد والمراكز الإسلامية الهدف الأكثر شيوعاً، حيث يقع عدد كبير من أعمال التخريب والحرق التي تستهدف المساجد وأماكن العبادة في الولايات المتحدة، وكندا، وألمانيا، والسويد، والمملكة المتحدة، وهولندا.

إذاً تتمثل النقاط الساخنة الأساسية، حيث يتأجج رهاب الإسلام اليوم، بالولايات المتحدة وأوروبا. في حالة الولايات المتحدة، يُعتبر اتجاه رهاب الإسلام الأكثر مدعاةً للقلق من حيث حجمه ونطاقه. فحدث ولا حرج عن رسومات الغرافيتي العنصرية على الجدران، وجثث الخنازير المرمية، ورسائل التهديد، وتشويه القرآن الكريم، والاعتداءات الجسدية، والشتائم اللفظية، كمثالٍ على الحوادث المتكررة. ثم لا ننسى أجواء الفوضى العارمة التي طغت على الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة، حيث كانت إدارة الرئيس ترامب قد أوضحت في أيامها الأولى أنّ الإسلام هو من أبرز أعداء الشعب. ولعل أكثر الأمثلة السيئة السمعة في هذا المجال هو إصدار أمر نمّ عن كراهية الأجانب، وأطاح بقيم الحرية والمساواة التي لطالما تغنّت أميركا بها. عُرفت تلك السياسة باسم الأمر التنفيذي لحماية الأمة من دخول الإرهابيين الأجانب إلى الولايات المتحدة، وعُلّق بموجبها دخول مواطنين من دول إسلامية معيّنة إلى البلاد. في غضون ذلك الوقت في أوروبا، تكشّفت صورة رهاب الإسلام القاتمة من خلال حملات مكثفة شنتها أحزاب يمينية شعبوية في خضمّ مواسم الانتخابات.

الاستجابة للمشكلة

لا ريب في أنّ إيجاد حلّ شامل لرهاب الإسلام يعتمد على العمل الجماعي والمساهمات الناشطة من أصحاب المصلحة، كالحكومات، والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية، والمجتمعات المدنية، والزعماء الدينيين، والمجتمعات المحلية. فنظراً إلى درجة تعقيد هذه القضية، لا بد من تصميم استراتيجية فعالة تتّخذ شكل مقاربة متعددة الطبقات، وتتضمّن تطبيق إجراءات على جبهات مختلفة.

الطبقة 1: جبهة الحوار

يجب أن تركّز الاستراتيجية على الجهود الساعية إلى تعزيز دور الزعماء الدينيين وقادة المجتمعات المحلية في لجم التطرف، من

خلال تعزيز المثل العليا المتعلقة بالتسامح، والاعتدال، والاحترام المتبادل، والتعايش السلمي. كما ينبغي تصويب الجهود نفسها نحو تعزيز الآليات المعتمدة حالياً من أجل فتح باب الحوار بين الأديان وضمن الدين الواحد، للمساعدة في تجنّب الانطباعات المغلوطة، وتعزيز فهم أفضل واحترام متبادل ضمن الدين الواحد وبين جميع الأديان.

الطبقة 2: جبهة الإعلام

يجب أن يتعاون أصحاب المصلحة مع الإعلام للتشجيع على فهم استخدام حرية التعبير بشكل مسؤول، مع ضرورة أن تقوم الحكومة بمساءلة وسائل الإعلام الكارهة للأجانب كونها تساهم في استدامة خطاب الكراهية والتطرف. فضلاً عن ذلك، يمكن استخدام مجموعة متنوعة من قنوات التواصل لتوسيع نطاق النقاش العام والمشاركة في الحياة العامة، لا سيما في صفوف الشباب.

الطبقة 3: جبهتا التنمية والأمن

يجدر بالحكومات، لا سيما في البلدان الغربية، توسيع نطاق البرامج التنموية بحيث تشمل مجتمعات المهاجرين المسلمين المحرومة. فهناك حاجة ملحة إلى إجراء محادثات ثنائية ومتعددة الأطراف لمراجعة مشاكل التمييز في العمل، والفرص المتاحة، والاندماج في المجتمع، بهدف ردع الشباب المسلم العاطل عن العمل عن الوقوع فريسة الأيديولوجيات المتطرفة. تُعتبر هذه المقاربة مناسبةً. فلمعالجة مشكلة رهاب الإسلام، يجب ألا تركّز الإجراءات على مكافحة الإرهاب والحلول العسكرية فحسب؛ بل ينبغي دمج الأهداف التنموية ضمن جهود القضاء على الراديكالية ومكافحة الإرهاب.

الطبقة 4: جبهتا التربية والمجتمع

من بالغ الأهمية إدماج ثقافة السلام في التعليم من خلال دمج حقوق الإنسان وقيم التعددية الثقافية في المناهج الدراسية. بالتوازي مع ذلك، تدعو الحاجة إلى تطبيق البرامج وحشد الموارد لدعم مشاركة المجتمعات المحلية في تحقيق السلام. ومن المطلوب أيضاً الاستمرار في إجراء الأبحاث وفتح باب الحوار حول السياسات، من أجل فهم أفضل لطرق العمل والاستراتيجيات المستخدمة لنشر التطرف ، بما في ذلك محفّزات التطرف الاجتماعية وتلك المستندة إلى القيم. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يبذل أصحاب المصلحة جهوداً لكي تحقّق السياسات والبرامج المطبّقة في البلدان التماسك الاجتماعي والتعددية، من خلال إبراز دور الأسر في مكافحة السلوكيات الخطرة والتشجيع على المصالحة في المجتمعات المحلية. كذلك، من الضروري إشراك المجتمعات الدينية في معالجة التطرف والانقسامات الطائفية، وإيجاد قيمٍ مشتركة يمكن، من خلالها، إرساء أسس التفاهم والتعاون. في هذا الإطار، يجدر بالحكومات والمنظمات الدولية إشراك منظمات المجتمع المدني الملمّة بحلّ النزاعات، والتعاون، والمصالحة السياسية.

الطبقة 5: الجبهتان الدولية والوطنية

لا يخفى على أحد أنّ رهاب الإسلام هو أحد التحديات العالمية المعاصرة الأساسية التي تتداخل مع مشاكل أخرى، كالإرهاب، والتطرف، والراديكالية، وحقوق الإنسان، والنزاع بين الأديان، والتوترات ضمن الدين الواحد، والإبادة الجماعية المرتكزة على الدين إلخ. من هذا المنطلق، بالإضافة إلى المقاربة المذكورة أعلاه، يجب أن يعمل المجتمع الدولي يداً بيد بهدف استئصال آفة رهاب الإسلام، والتطرف، والتعصّب، بشكلٍ جماعي وبمزيج من العزم والصلابة. فعند هذه المرحلة، إذا ما طبّق أصحاب المصلحة، عملياً، الصيغة والتوصيات الواردة في قرار مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة رقم 16/18، سيكون أثر ذلك عظيماً. جديرٌ بالذكر أنّ هذا القرار الذي اعتُمد عام 2011 يحدّد إطاراً سياساتياً لمساعدة الدول على معالجة مشاكل التعصب، والتمييز، والعنف ضد الأشخاص على أساس الدين أو المعتقد.

يشكّل القرار 16/18 بصيص أمل لوضع خطة عمل عالمية تعالج التمييز، والتعصب، والوصم على أساس الدين والمعتقد؛ وبالتالي من بالغ الأهمية أن يلتزم أصحاب المصلحة بإحراز التقدم من أجل تحقيق هذا الإجماع الدولي. ولا بد من الإشارة إلى وجود آلية متابعة في هذا المجال تتّخذ شكل جلسات سنوية ضمن إطار عملية إسطنبول، غير أنّ الكثير من الحكومات لم تقم، للأسف، بالترويج بما يكفي لهذه الآلية حتى يومنا هذا. لذا، من الضروري أن تنفذ الحكومات التشريعات اللازمة على المستوى الوطني لمناهضة الأفعال المؤدية إلى التحريض على الكراهية، والتمييز، والعنف ضد الأشخاص على أساس ديانتهم.

بعض العقبات الأساسية

يتعرض المسلمون، منذ مدة طويلة، لتحيّز وأفكار نمطية سلبية تتّخذ أشكالاً ومظاهر مختلفة. وقد شهدت هذه الظاهرة تصعيداً جذرياً على المستوى العالمي، لا سيما منذ الهجمات على مركز التجارة العالمي في 2001. وازداد الوضع تأزماً مع نمو تنظيم

الدولة الإسلامية، حيث بات الإسلام في تلك الآونة يُصوّر كدين ينطوي على عنف جوهري، ينزع أتباعه إلى أذية أتباع الديانات الأخرى. وبلغ الأمر حدّ اعتبار الإسلام، في العديد من البلدان الغربية، ديانةً "دخيلة" ميالة إلى سفك الدماء، مما شكّل وصمةً حفّزت على انتشار مواقف التعصب في أوساط غير المسلمين. في نهاية الأمر، أدّت هذه الأفكار النمطية السلبية إلى انتشار المشاعر السلبية، والخوف من الإسلام أو كراهيته، بما في ذلك انتشار التمييز المتعدد الأشكال ضد أتباعه الذي تجلى بإقصاء المسلمين عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعامة.

من هذا المنطلق، لا يُعتبر رهاب الإسلام قضيةً "قائمة بذاتها"؛ بل إنه وثيق الصلة بقضايا أخرى تغذّي هذه الظواهر بشكل متبادل. بعبارة أخرى، كانت أحداث 11/9 مشكلةً متأتية عن الإرهاب، وتنظيم الدولة الإسلامية مشكلة ناجمة عن الراديكالية والتطرف العنيف. أما رهاب الإسلام فكان، في الواقع، شيئاً آخر، إلا أنه تأثّر بتلك القضايا في الوقت نفسه. فساهم كلّ من الإرهاب والتطرف العنيف في تأجيج رهاب الإسلام، وأدى رهاب الإسلام المتسارع النمو، بدوره، إلى تغذية التطرف والإرهاب. نتيجة ذلك، يجب معالجة قضية رهاب الإسلام بالتوازي مع الجهود المبذولة لمعالجة "قضايا ذات صلة" أخرى، وهو، مع الأسف، ليس بالأمر اليسير.

في سياق صياغة استراتيجية لمكافحة رهاب الإسلام، يمكن اعتبار هذه القضايا المتوازية بمثابة "عقبات". في هذا الإطار، بناءً على ملاحظات منظمة التعاون الإسلامي خلال السنوات القليلة الماضية، تمّ تحديد ثلاث قضايا أساسية مترابطة بشكل وثيق برهاب الإسلام، هي: (1) نمو اليمين المتشدد في الولايات المتحدة وأوروبا؛ (2) وأزمة اللاجئين وقضية الهجرة؛ (3) واستمرار موجة الإرهاب في أوروبا.

نمو اليمين المتشدد في الولايات المتحدة وأوروبا

اعتُبر دونالد ترامب، على نطاق واسع، رمزاً "لليمين المتشدد" في الولايات المتحدة، وقد زرع توليه منصب الرئيس مخاوف عميقة في نفوس المسلمين المقيمين في الولايات المتحدة. بالفعل، تمسّك السيد ترامب، منذ البداية، بمعارضة الإسلام والمسلمين، وهو موقف ظهر بشكل واضح في حملته السياسية. فبعد إعلانه "أنّ الإسلام يكره الأميركيين"، انبرى يقترح حظر دخول المسلمين إلى الولايات المتحدة، وفرض المراقبة المشددة على المساجد في مختلف أنحاء البلاد. كما اعتنق لغة الكراهية التي حفلت بها التجمّعات المنادية بحرق القرآن والتظاهرات المناهضة للمساجد. نتيجةً لذلك، بعد أسبوع من انتخابه، تمّ الإبلاغ عن عدد كبير من حوادث المضايقات والتخويف العنصرية والكارهة للإسلام.[281] واللافت أنّ رهاب الأجانب المتزايد هذا لم يكن يستهدف المسلمين فحسب، بل اليهود وبعض الأقليات الإثنية والدينية الأخرى أيضاً، كالأميركيين المتحدّرين من أصول أفريقية وإسبانية. مع ذلك، كان من المثير للاهتمام ملاحظة أنّ رهاب الإسلام في الولايات المتحدة سجّل اتجاهاً تنازلياً منذ مايو 2017. فبدا أنّ الرئيس ترامب نفسه قد خفف من لهجته الحادة تجاه الإسلام. بالفعل، لدى جلوس الرئيس ترامب بين 55 من رؤساء العالم الإسلامي في السعودية، ألقى خطاباً معتدلاً حول الإسلام، بهدف فتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي. وقد نأى الرئيس ترامب في خطابه عن اللهجة الانقسامية المعادية للمسلمين التي كان قد استخدمها من أجل جذب الناخبين خلال حملته الانتخابية.

عزّز انتخاب السيد ترامب القوى اليمينية أينما كانت في العالم، لا سيما في أوروبا التي كانت تشهد على إعادة ترتيب جدية لمشهدها السياسي. فبدا هذا الوضع متوقعاً جداً، خاصةً وأنّ بلدان تلك المنطقة كانت ترزح تحت ثقل مشاكل ديون عظيمة، وارتفاع في مستويات البطالة منذ أن عصفت بها الأزمة الاقتصادية عام 2008. أدت هذه الظروف بدورها إلى جدالات داخلية حول بعض القضايا "الساخنة" مثل المهاجرين، والأجانب غير الأوروبيين، والاستيعاب والدمج، والهوية الوطنية إلخ. كما ازداد المشهد تأزماً بفعل الارتفاع الحاد لعدد اللاجئين الهاربين من الحرب الأهلية السورية، والهجمات الإرهابية المنتظمة التي شهدتها مدن أوروبية. فأوجدت هذه المكوّنات بيئةً خصبةً لازدهار الأحزاب والشخصيات اليمينية. نتيجةً لذلك، اكتسبت المنصات المعادية للاتحاد الأوروبي والهجرة والمسلمين زخماً، مساهمةً في ارتفاع مشاعر رهاب الإسلام ارتفاعاً صاروخياً في أوروبا. اليوم، تستمر الأحزاب اليمينية في كسب الدعم في فرنسا، وألمانيا، والنمسا، وهولندا، والدانمارك، والسويد، وهنغاريا، وإيطاليا.

> يجب أن يعمل المجتمع الدولي يداً بيد بهدف استئصال آفة رهاب الإسلام، والتطرف، والتعصّب، بشكلٍ جماعي وبمزيج من العزم والصلابة.

281 Christopher Mathis, "2016 Elections Coincided With Horrifying Increase in Anti-Muslim Hate Crimes, Report Finds," The Huffington Post, May 9, 2017, https://www.huffingtonpost.com/entry/anti-muslim-hate-crimes-2016-council-on-american-islamic-relations_us_5910acf4e4b0d5d9049e96d5

أزمة اللاجئين وقضية الهجرة

ما زالت البلدان الغربية، لا سيما في أوروبا، تشهد ردود فعل عنيفة وقوية ضد المهاجرين واللاجئين ومواقف سلبية تجاه المسلمين. كما شقّ الخطاب المعادي للمهاجرين والمسلمين طريقه نحو البرامج الانتخابية، حيث اتّخذت الأحزاب الشعبوية اليمينية المهاجرين واللاجئين، لا سيما المسلمون منهم، كبش فداء لتعليل كل سوء في المجتمع. فخلّف هذا الأمر عواقب سلبية على أقليات المسلمين المقيمين في أوروبا، ومنهم من كان يقيم فيها لأجيال طويلة ويُعتبر من المواطنين الراسخين، وكذلك على المهاجرين واللاجئين الجدد الوافدين من البلدان المسلمة. بطبيعة الحال، تحدّد أحزاب اليمين المتشدد في عدة دول تابعة للاتحاد الأوروبي التوجه الذي سيسلكه نقاش الهجرة، فتختار التركيز على المهاجرين المسلمين، واستغلال ذلك الرابط الأفقي بين الهجرة والأمن. جديرٌ بالذكر هنا أنّ هذا الخطاب يصدر حتى عن دول الاتحاد الأوروبي ذات العدد الأقل من الأقليات المسلمة، كهنغاريا والجمهورية التشيكية وسلوفاكيا. وكانت معظم الهجمات الإرهابية الأخيرة على دول الاتحاد الأوروبي قد ارتُكبت على يد مواطنين أوروبيين، غير أنّ ربطها بالمهاجرين بشكل متواصل خلّف أصداءً قوية في أوروبا. فساهم أولئك الذين لاموا المسلمين على الجرائم والإرهاب في إيجاد مناخ اجتماعي وسياسي عرقل دمج المهاجرين الذين كانوا متواجدين في أوروبا قبل ذلك. فضلاً عن ذلك، تساهم المواقف السلبية تجاه الأقليات المسلمة والمهاجرين أو اللاجئين الجدد في أوروبا في عزلهم عن مجتمعاتهم المضيفة، لا بل قد تدفع، في سياق هذه العملية، ببعضهم نحو أحضان التطرف. في غضون ذلك الوقت، سلّطت الدول الأوروبية الضوء على المشاكل المتعلقة بالأمن والعمل لتبرير القيود المفروضة على استقبال اللاجئين وقبول طلبات اللجوء. في المقابل، استمرّت بلدان أخرى، مثل الأردن، ولبنان، وإيران، وباكستان، وتركيا باستقبال النسبة الأكبر من اللاجئين[282] الهاربين من النزاعات المستشرية في الشرق الأوسط وأفغانستان، وهي حقيقةٌ غالباً ما يتجاهلها النقاش حول الهجرة في أوروبا. نسجاً على المنوال نفسه، لا يتمّ إطلاع المجتمع على مساهمات المهاجرين الإيجابية في نمو الأنظمة الاقتصادية في أوروبا، حيث تزداد الحاجة إلى اليد العاملة على ضوء الانخفاض الديموغرافي فيها، بل على العكس. فالشعبويون تواقون إلى الإعلان أنّ المهاجرين يسرقون الوظائف وأنّ المسلمين، على وجه التحديد، يشكّلون تهديدات أمنية. في هذا الإطار، تستكمل أحزاب اليمين المتطرف تعصّبها وكرهها للأجانب بمشاعر القومية، لتثبت حججها ضد الهجرة، وبالتحديد ضد المهاجرين المسلمين، بناءً على أسس أمنية واقتصادية.

استمرار موجة الإرهاب في أوروبا

في خضم المخاوف من التطرف العنيف الذي يرتكبه تنظيم الدولة الإسلامية، ضربت موجة جديدة من الإرهاب عقر أوروبا، عبر سلسلة من الهجمات العنيفة التي استهدفت مدناً في تلك القارة، ضمن اتجاه مؤسف أوقد نيران رهاب الإسلام. فوقع مسلمون أبرياء، لا سيما في أوروبا، ضحية ذلك، وواجهوا ردود فعل عنيفة مع تحوّل الخوف من المسلمين إلى وصم شاهر: كالاعتقاد أنّ الإسلام يشجع على العنف، وأنّ هذا الدين لا يتوافق مع القيم الليبرالية فعلاً، وأنّ المسلمين ميالون إلى التطرف والإرهاب، وأنّ الإسلام ديانة بالية بحاجة إلى الإصلاح لكي تتأقلم مع الحداثة، وهكذا دواليك.

تأتّى عدد من النتائج عن الموجة الأخيرة من الهجمات الإرهابية في أوروبا، هي:

أولاً، وسّع هذا الإرهاب قضية الإسلام في أوروبا إلى ما يتجاوز إطار الدمج. فبات يُنظر إلى الإسلام اليوم لا كتهديد للهوية والثقافة والديموغرافية والمجتمع الأوروبي فحسب، بل كتهديد سياسي وأمني يطال العالم الغربي بأسره أيضاً. وتتمحور الجدالات والخطابات الحالية في أوروبا حول مسألة مدى توافق الإسلام مع القيم الغربية.

ثانياً، ضاعفت موجة الإرهاب مستوى رهاب الإسلام في أوروبا، مخلّفةً المسلمين أسرى شكوك كثيرة، خاصةً وأنّ الهجمات الإرهابية تتبعها أحياناً ردود فعل عنيفة تُشنّ على نطاق واسع ضد المسلمين والأشخاص باللباس الإسلامي. بالفعل، سُجّل عدد كبير من الهجمات ضد المسلمين خلال الأشهر الأربعة والعشرين الأخيرة، مما يُظهر فداحة الأثر على حياة المسلمين المقيمين في أوروبا.

282 "اللاجئون"، الأمم المتحدة، تمّت زيارة الموقع في 6 نيسان/أبريل 2018، http://www.un.org/en/sections/issues-depth/refugees/

ثالثاً، سلّطت موجة الإرهاب الجديدة هذه، مرّة أخرى، الضوء على مسألة حرية التعبير في أوساط النقاشات العامة في أوروبا. وللأسف، تميل النقاشات البناءة حول حرية التعبير، وقيودها وتجلياتها، إلى الانحسار على حساب تقوية المشاعر المعادية للإسلام. كما طغت على الرأي العام فكرة أنّ حرية التعبير هو "شرط ثابت" بالنسبة إلى المجتمعات الأوروبية، وأنه يجب عدم إفساح أي مجال للتفاوض مع الأيديولوجيات الأخرى، بما فيها الإسلام.

توصيات عملية

رهاب الإسلام مسألة معقدة، وهناك عقبات كثيرة قد تعيق وضع استراتيجية فعالة لمكافحته. من هذا المنطلق، أقدّم في ما يلي مجموعةً من التوصيات العملية، أملاً في أن يهتدي بها أصحاب المصلحة عند رسم سياساتهم أو اتخاذ الإجراءات اللازمة:

- التشديد على أهمية حقوق الإنسان والحريات الأساسية عند مكافحة رهاب الإسلام.
- الاستفادة من معاهدات الأمم المتحدة القائمة حول الحريات الدينية، وحرية التعبير، وحظر التمييز العرقي وغيرها، لتكون أدوات في مجال مكافحة رهاب الإسلام.
- ضمان إحراز التقدم في تحقيق إجماع دولي يتّخذ شكل خطة عمل لقرار مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة رقم 16/18.
- تشجيع الحكومات على إحياء مبادرة تحالف الأمم المتحدة للحضارات، مع الاهتمام بشكل خاص بالانقسام الإسلامي-الغربي الذي يؤجج رهاب الإسلام.
- اعتماد مقاربات متكاملة لمكافحة رهاب الإسلام، عوضاً عن المقاربات الجغرافية.
- إنشاء روابط متينة بين المجموعات التي تكافح التمييز على أساس الدين، بما في ذلك رهاب الإسلام، ومعاداة السامية، ورهاب المسيحية، ونسج تحالفات مع مجموعات أخرى تعرّضت للتهميش وجُردت من إنسانيتها بسبب العنصرية ورهاب الأجانب.
- إنشاء مراكز لدراسة الإسلام في المجتمعات الغربية، تشبه المراكز القليلة الموجودة في جامعتي جورج تاون وهارفارد.
- ضمن المجتمعات والبلدان الإسلامية، معالجة القضايا والمسائل الداخلية التي تساهم في تكريس الصور السلبية عن الإسلام والمسلمين، والتشديد على أهمية التربية الإسلامية الملائمة للأطفال لتجنب تجاهل الجيل الجديد للدين.
- إنشاء مبادرات لتطوير هوية وطنية/دينية صحية من أجل تعزيز مساهمة المسلمين الشباب في المجتمع الأوسع من دون التخلي عن دينهم.
- التواصل مع المجتمع المدني والشباب عند تطبيق البرامج والتدابير الحكومية لمعالجة المشاكل المتعلقة بالدين والتميز.
- المشاركة في حوار بناء وهادف (بين الأديان، وبين الثقافات، وبين الحضارات) من أجل الوصول إلى مجتمعات تعيش في تماسك ووئام.
- إيجاد مساحة أكبر لتسهيل التفاعل الاجتماعي بين المسلمين وغير المسلمين.
- العمل من أجل تغيير قلوب مواطني الدول الغربية غير المسلمين وعقولهم بحيث يؤمنون أنّ المهاجرين لا يشكلون بالضرورة تهديداً لقيمهم ومبادئهم.
- ضمن الدول والمجتمعات المحلية الإسلامية، العمل أكثر من أجل الإثبات للعالم من يكون المسلمون، عوضاً عن الاكتفاء باستنكار ما يقوله المتطرفون أو يفعلونه.
- الطعن في خرافة "أسلمة" الغرب التي تغذيها الأحزاب الشعبوية الكارهة للأجانب التي يتصاعد نجمها في أنحاء أوروبا وغيرها.
- تشجيع المناصرة القانونية والمدنية لرفض تعميم رهاب الإسلام في الخطابات السياسية والإعلامية السائدة، لا سيما في أوروبا والولايات المتحدة.
- العمل من أجل مكافحة التقارير الإعلامية التي تروّج للأفكار النمطية ووصم السكان المسلمين.
- الإصرار على أن ترسم الحكومات حداً وتتخذ إجراءات ملموسة لإنهاء الظروف التي تلصق الوصم بالمسلمين وتعزلهم، مع تطوير الآليات اللازمة لمكافحة مختلف أنواع التمييز.
- الاستمرار في إدانة كافة الأعمال الإرهابية بغضّ النظر عن مكان وقوعها ومرتكبيها.

روايات شخصية عن الإجراءات الأمنية المفرطة: رهاب الإسلام وسياسات مكافحة الإرهاب في المؤسسات التربوية في المملكة المتحدة

تانيا سعيد

جامعة لاهور للعلوم الإدارية، باكستان

في خضم الجهود التي بذلتها الدولة البريطانية لمكافحة الإرهاب ومنع التطرف، جذبت إلى صفوفها عدداً متزايداً من المؤسسات العامة، كالمدارس والجامعات. فأصدرت عام 2015 قانون مكافحة الإرهاب والأمن الذي عزّز خطة الدولة الأمنية في هذه المؤسسات تحت راية برنامجها المتعلق "بالمنع". أما الطريقة المعتمدة في هذا الإطار، فهي إلزام المؤسسات التربوية، وفق "واجب قانوني"، بالإبلاغ عن أي طالب يُعتبر "عرضةً للانجراف في تيار الإرهاب".[283] جديرٌ بالذكر أنّ المنع هو جزءٌ من مقاربة الحكومة البريطانية الرباعية المحاور (التي تشمل أيضاً الحماية، والمتابعة، والاستعداد)، ضمن إطار استراتيجية "كونتيست" (CONTEST) وهو برنامج لمكافحة الإرهاب أنشئ عام 2003، لكن تم توسيع نطاقه في أعقاب الهجمات الإرهابية والتهديدات التي طالت المملكة المتحدة. يتمثل هدف محور المنع بـ"إيقاف" الأفراد وردعهم عن التحوّل إلى إرهابيين من خلال التدخل في مرحلة مبكرة؛ عندئذٍ، يُحال المشتبه به إلى "برنامج تشانيل (Channel)"- وهي مبادرة "طوعية" "متعددة الوكالات" تشمل لجنةً "ترأسها سلطة محلية، بمشاركة شركاء آخرين كممثلين عن مؤسسات

> لكن عوضاً عن مساعدة الأفراد "العرضة" للإرهاب، ساهم تطبيق محور المنع في الجامعات في زيادة تعرّض الطلاب المسلمين لرهاب الإسلام.

تربوية وصحية"، "يناقشون مسألة الإحالة، ويقيّمون درجة تعرّض الشخص المعني لخطر الإرهاب، ثم يحدّدون مجموعةً من إجراءات الدعم المفصلة بحسب الحالة."[284] ولما كان التهديد الأكبر يرد من جماعات إرهابية مثل داعش (والقاعدة في الماضي)، فقد ركّز محور المنع في المؤسسات التربوية، بشكل غالب، على الطلاب المسلمين.[285] وخُصّت بالتركيز الجمعيات الطلابية الإسلامية ضمن الجامعات.[286] لكن عوضاً عن مساعدة الأفراد "العرضة" للإرهاب، ساهم تطبيق محور المنع في الجامعات في زيادة تعرّض الطلاب المسلمين لرهاب الإسلام. في هذا الإطار، يركّز بحثي على تجارب الطلاب المسلمين، لا سيما النساء وأعضاء الجمعيات الطلابية الإسلامية، الذين رووا لي طريقة اختبارهم لرهاب الإسلام واستراتيجية الدولة البريطانية لمكافحة الإرهاب في الجامعات وضمن مجتمعاتهم المحلية. وبناءً عليه، يتعمّق هذا البحث في تلك الروايات الشخصية بهدف تكوين فهم متعمّق لتأثير سياسات مكافحة الإرهاب على الأفراد والمجتمعات المحلية، وتوفير أفكار متعمّقة وتوصيات بشأن كيفية مكافحة التطرف والإرهاب من دون التحريض على رهاب الإسلام، لا سيما في مؤسسات مثل المدارس والجامعات.

المرأة المسلمة والتدابير الأمنية المفرطة

تُعتبر المرأة المسلمة، بحسب الصورة التي ترسمها عنها وسائل الإعلام والخطاب السياسي، ضحيةً تارةً بحاجة إلى من ينقذها من ديانة بدائية، وإرهابيةً خطيرةً طوراً تختبئ خلف حجابها في وضح

283 (Her Majesty's Government (HM Government), Counter Terrorism and Security Act 2015. (UK: Crown.

284 Home Office, Individuals referred to and supported through the Prevent Programme, April 2015 to March 2016. Statistical Bulletin 23/17 (2017).

285 راجع:
T. Saeed and D. Johnson, "Intelligence, Global Terrorism and Higher Education: neutralising threats or alienating allies?" British Journal of Educational Studies, 64(1), (2016): 37-51.

286 Tufyal Choudhury, "Campaigning on Campus: Student Islamic Societies and Counterterrorism," Studies in Conflict and Terrorism, 40(12), (2017): 1004-1022.

النهار، لتعطّل طريقة الحياة "الغربية" التقدمية على المستوى الأيديولوجي والمادي. وفي حين يُصنّف الرجال المسلمون، بكل بساطة، ضمن الخانة النمطية للأشخاص الخطرين الذين يشكّلون تهديداً فعلياً مباشراً، تُصنّف النساء المسلمات في المقابل بشكل متناقض "كمتعصّبات ضعيفات".[287] ولعلّ ما يكرّس هذا الخوف التقارير المتعدّدة عن نساء مسلمات بريطانيات غادرن برطانيا ليلتحقن بصفوف داعش.

تخلّف هذه الأفكار النمطية نتائج فعلية على المرأة المسلمة في حياتها اليومية، فتفيد التقارير عن تعرضها لرهاب الإسلام في حيها، كما في المدارس والجامعات. لكن يختلف نطاق اختبارها لهذه التجربة استناداً إلى "درجات التدين" التي يتم تحديدها وفقاً لمظهرها الخارجي: فتُعتبر المرأة المنقّبة الأكثر عرضةً لمثل هذه الهجمات، تليها المرأة المحجبة، كما يمكن أن تتعرض المرأة التي ترتدي ثوباً مرتبطاً بثقافة بلد إسلامي معين لرهاب الإسلام أيضاً. أما المرأة التي تمارس الشعائر الإسلامية، من دون أي علامات دينية ظاهرة، فتواجه نوعاً آخر من رهاب الإسلام: حيث يتوجب عليها أن تثبت إسلامها لكلٍّ من غير المسلمين والمجموعات الإسلامية المتدينة بشكل مفرط، كما تتلقى أسئلةً حول مدى تديّنها بشكل مستمر.[288]

تتراوح مستويات الإساءة بين الألفاظ المهينة التي تعكس رهاب الإسلام، كتسمية المرأة المنقبة "بالنينجا" بنبرة ازدرائية، أو المرأة المسلمة "بزوجة أسامة بن لادن"؛ أما التسميات الأكثر شيوعاً، فإلصاق صفة "الإرهابية" بها أو استخدام مصطلح "المثلية جنسياً" كشتيمة. ومع أنّ الصلة بين الخطاب الإعلامي والسياسي الذي يتناول الإرهاب والمسلمين يمكن أن تفسّر اللجوء إلى هذه الشتائم، إلا أنّ مصطلح المثلية جنسياً يكشف عن شكل آخر من أشكال رهاب الإسلام الممزوج برهاب المثليين. بالفعل، غالباً ما تُلصق صفة "المثلية الجنسية" بالمسلمات الشابات المحجبات أو المنقبات اللواتي يسرنَ وحدهن أو ضمن مجموعة مع نساء أخريات. في هذا الإطار، تعتقد الشابات اللواتي أطلقت عليهن صفة "المثلية الجنسية" كشتيمة أنّ الأمر يعود إلى فكرة الفصل بين الجنسين لدى المسلمين، والافتراض بأنّ المرأة المسلمة مكبوتة جنسياً، استناداً إلى مثال معيارية المغايرة الذي يُحدّد ما يُعتبر طبيعياً وما يُعتبر ذا طبيعة جنسية.[289]

بالإضافة إلى ذلك، تعرّضت النساء المسلمات لهجمات جسدية، كما يُعتبرن أكثر عرضةً لرهاب الإسلام بعد وقوع اعتداء أو تهديد إرهابي؛ وليس هذا فحسب، بل كذلك في أعقاب قرار بريطانيا بالخروج من الاتحاد الاوروبي بعد استفتاء 2016.

وفقاً لمنظمة "أخبروا ماما" (اختصاراً لقياس الهجمات ضد المسلمين)، تم الإبلاغ عن 1223 حادثة رهاب إسلام عام 2016، منها 64% سُجلت "خارج نطاق الإنترنت"، كان فيها 56% من الضحايا نساءً.[290] يسلّط هذا البحث الضوء أيضاً على "الارتفاعات الحادة" في هذه البلاغات بعد استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي والهجمات الإرهابية في المملكة المتحدة. في هذا الإطار، باتت النساء المسلمات، في أغلب الأحيان، كبش فداء للأفعال التي يرتكبها الإرهابيون، مع العلم أنّ هؤلاء يمثّلون

بالإضافة إلى ذلك، تعرّضت النساء المسلمات لهجمات جسدية، كما يُعتبرن أكثر عرضةً لرهاب الإسلام بعد وقوع اعتداء أو تهديد إرهابي؛ وليس هذا فحسب، بل كذلك في أعقاب قرار بريطانيا بالخروج من الاتحاد الاوروبي بعد استفتاء 2016.

تهديداً بالنسبة إلى المجتمع المسلم بقدر ما يمثّلونه بالنسبة إلى السكان البريطانيين. في هذه الأجواء، بات تعميم رهاب الإسلام جلياً من خلال تطبيق واجب المنع في الجامعات البريطانية.

الإجراءات الأمنية المفرطة ورهاب الإسلام: الجمعيات الطلابية الإسلامية والطلاب المسلمون

باتت الجامعات تحت مجهر الأجهزة الأمنية البريطانية في أعقاب الهجمات الإرهابية التي وقعت في 7 يوليو 2005 في لندن. ومع تكشف المزيد من المعلومات عن الإرهابيين، لا سيما شهزاد تنوير وهو خريج جامعي بريطاني، بدّدت هذه الهجمات الاعتقاد بأنّ الإرهابيين هم أشخاص فقراء، منبوذون من المجتمع.[291] مع مرور السنوات، تبيّن أنّ أشخاصاً متعلّمين آخرين قد لجأوا إلى الإرهاب: مثل عمر فاروق عبد المطلب، خريج جامعة لندنية والرئيس السابق لجمعية الطلبة فيها، الذي حاول تفجير طائرة متوجهة إلى الولايات المتحدة؛ وروشونارا شودري، طالبة في

287 K. Brown, "The promise and perils of women's participation in UK Mosques: The impact of securitisation agendas on identity, gender and community," The British Journal of Politics & International Relations, 10 (3), (2008): 472–491; E.M. Saltman and M. Smith, "'Till Martyrdom Do Us Part' Gender and the ISIS Phenomenon," Institute for Strategic Dialogue (2015); P. Werbner, "Honor, shame and the politics of sexual embodiment among South Asian Muslims in Britain and beyond: An analysis of debates in the public sphere," International Social Science Review, 6 (1), (2005): 25–47; T. Saeed, Islamophobia and Securitization. Religion, Ethnicity and the Female Voice (UK: Palgrave Macmillan, 2016), pp. 59-63.

288 T. Saeed, Islamophobia and Securitization. Religion, Ethnicity and the Female Voice (UK: Palgrave Macmillan, 2016).

289 T. Saeed, Islamophobia and Securitization. Religion, Ethnicity and the Female Voice (UK: Palgrave Macmillan, 2016).

290 Tell MAMA, A Constructed Threat: Identity, Intolerance and the Impact of Anti-Muslim Hatred , Tell MAMA Annual Report 2016 (UK: Faith Matters, 2017).

291 "Suicide bombers' 'ordinary' lives," BBC News, July 16, 2005, http://news.bbc.co.uk/2/hi/4678837.stm.

جامعة لندنية أخرى، تركت مقاعد الدراسة قبل سنة من التخرج ثم طعنت وأصابت نائباً في البرلمان البريطاني انتقاماً منه على حرب العراق؛ من دون أن ننسى "عروسات الجهاديين" المثيرات للجدل، ومنهن طالبات شابات تخلّين عن مصادر الراحة في وطنهن في بريطانيا من أجل دعم مقاتلي داعش في الخارج.[292] ومع أنه لم يكن من رابط ثابت بين الوقت الذي قضاه الطلاب في جامعاتهم ولجوئهم إلى الإرهاب، فقد بادر المسؤولون في الجامعات إلى التعاون مع العناصر والخبراء الأمنيين طوعاً. لكن، مع صدور قانون مكافحة الإرهاب والأمن عام 2015، بات الإبلاغ عن الطلاب المعرضين للتطرف والإرهاب "واجباً قانونياً".

لقي "واجب المنع" هذا انتقاداً شديد اللهجة من أكاديميين وناشطين في مجال الحقوق المدنية، كونه يروّج لبيئة من الرصد والرقابة ضمن المؤسسات الأكاديمية.[293] فاندرج الطلاب المسلمون في ما سماه أودونل بمسرح "ما قبل الجريمة"،[294] بما أنهم لم يكونوا قد ارتكبوا بعد جريمةً أو عملاً إرهابياً، لكن بموجب محور المنع، يمكن ردعهم عن سلوك هذه الطريق إذا ظهرت عليهم علامات ضعف، وكأنّ هذه الطريق نتيجة حتمية بالنسبة إلى الطلاب المسلمين. في الواقع، إنّ ما تفترضه هذه "العلامات"، أو ما إذا كان يمكن لموظفي الجامعات تحديد هذه "العلامات" من دون تحيّز، ما زال محط أخذ ورد.[295] ولعلّ التهديد الذي تمثله هذه العلامات يشبه ما سماه جاكسون ""المجهول المجهول" على طريقة رامسفيلد" في إشارة إلى "مقولة دونالد رامسفيلد الشهيرة" بشأن ما لا نعرف أننا لا نعرفه، ومفادها أنّ أفراد المجتمعات المحلية المسلمة يشكّلون تهديداً دائماً بالتحوّل إلى إرهابيين مستقبليين، إن لم يكن اليوم، فغداً.[296] ومع أنّ أجواء المراقبة هذه تشدّدت عبر إصدار قانون مكافحة الإرهاب والأمن عام 2015، إلا أنها كانت موجودة مسبقاً في الجامعات، لا سيما في أعقاب الاعتداء الذي حاول عبد المطلب تنفيذه.

> تكرّس هذه الأمثلة الشعور بانعدام الأمان بشأن تحديد ما هي اللغة المشروعة والأيديولوجية المقبولة بالنسبة إلى الطلاب المسلمين، مع العلم أنها تُعتبر مختلفةً بالنسبة إلى الطلاب الآخرين.

روى الطلاب المسلمون في دراستي أنهم كانوا يشعرون وكأنهم "يدرسون تحت الحصار".[297] وكان لديهم تصور أنهم كانوا دوماً موضع شبهات لا بنظر إدارة الجامعة فحسب، بل بنظر زملائهم الطلاب وأساتذتهم أحياناً أيضاً. كما باتوا أكثر حذراً خلال مسيرتهم الأكاديمية بشأن المواضيع التي اختاروها للبحث، لا سيما بعد حادثة رضوان صابر. كان صابر طالباً تمّ الإبلاغ عنه لتنزيله دليل منظمة القاعدة عبر الإنترنت من أجل الاستعانة به في أبحاثه، مع العلم أنّ هذا الدليل كان متوفراً على نطاق واسع في المكتبات المحلية. ورغم التوضيح الذي قدّمه المشرف عن صابر في الكلية إلى السلطات بشأن ذلك البحث، احتجزته الشرطة لعشرة أيام تقريباً. في الواقع، تم اعتقال صابر عام 2008، لكنه لم يتلق اعتذاراً من الشرطة إلا عام 2011، بعد أن تقدم بشكوى لمحاسبة الشرطة على اعتقاله غير المشروع، تمّ على إثرها التوصل إلى تسوية.[298] كان الطلاب المسلمون على علم بما جرى لصابر، وكانوا غالباً ما يستشهدون بالحادثة كأحد الأسباب التي تجعلهم يتجنبون المواضيع المثيرة للجدل التي يمكن أن تعرضهم لموقف مشابه. وبعد إصدار قانون مكافحة الإرهاب والأمن عام 2015، أظهرت قضية محمد عمر فاروق كم هو سهل ارتكاب الأخطاء نفسها مجدداً. فقد أبلغ أحدهم عن فاروق الذي "توحي هيئته" أنه مسلم لأنه كان يقرأ كتاباً عن الإرهاب في مكتبة جامعته، وهو أحد الكتب التي كانت مفروضة عليه في إطار صف الدراسات العليا حول الإرهاب الذي كان يتابعه.[299] فضلاً عن ذلك، سُجّلت حالات أخرى تمّ فيها إبلاغ السلطات عن تلاميذ في المدارس لكونهم يُظهرون علامات على احتمال تحوّلهم إلى الإرهاب. ففي إحدى الحالات، أُبلغ عن تلميذ لدعمه حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمار منها وفرض الجزاءات عليها، وفي حالة أخرى، أُبلغ عن تلميذ آخر لأنه استخدم مصطلح الإرهاب الإيكولوجي في معرض مناقشة حول البيئة.[300] تكرّس هذه الأمثلة الشعور بانعدام الأمان بشأن

292 "Profile: Umar Farouk Abdulmutallab," BBC News, October 12, 2011, http://www.bbc.com/news/world-us-canada-11545509; V. Dodd, "Profile: Roshonara Choudhry," The Guardian, November 2, 2010, https://www.theguardian.com/uk/2010/nov/02/profile-roshonara-choudhry-stephen-timms; L. Dearden, "Isis' British brides: What we know about the girls and women still in Syria after the death of Kadiza Sultana," The Independent, August 12, 2016, http://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/isis-british-brides-kadiza-sultana-girls-women-syria-married-death-killed-aqsa-mahmood-islamic-state-a7187751.html.

293 "Counter-terrorism and security bill is a threat to freedom of speech at universities," The Guardian, February 2, 2015, https://www.theguardian.com/education/2015/feb/02/counter-terrorism-security-bill-threat-freedom-of-speech-universities.

294 A. O'Donnell, "Securitisation, Counterterrorism and the Silencing of Dissent: The Educational Implications of Prevent," British Journal of Educational Studies, 64(1), (2016): 53-76.

295 Open Society Justice Initiative, Eroding Trust. The UK's PREVENT Counter-extremism Strategy in Health and Education (US: Open Society Foundations, 2016).

296 R. Jackson, "The epistemological crisis of counterterrorism," Critical Studies on Terrorism, 8(1), (2015): 33-54.

297 T. Saeed and D. Johnson, "Intelligence, Global Terrorism and Higher Education: neutralising threats or alienating allies?," British Journal of Educational Studies, 64(1), (2016): 37-51.

298 "Police agree £20,000 payment over Rizwaan Sabir arrest," BBC News, September 14, 2011, http://www.bbc.com/news/uk-england-nottinghamshire-14923411.

299 R. Ramesh and J. Halliday, "Student accused of being a terrorist for reading book on terrorism," The Guardian, September 24, 2015, https://www.theguardian.com/education/2015/sep/24/student-accused-being-terrorist-reading-book-terrorism

300 T. Saeed, "Muslim Narratives of Schooling in Britain: From 'Paki' to the 'Would-be Terrorist'," In M.M.A Ghaill and C. Haywood (eds.) Muslim Students, Education and Neoliberalism. Schooling a 'Suspect Community' (UK: Palgrave Macmillan, 2015).

تحديد ما هي اللغة المشروعة والأيديولوجية المقبولة بالنسبة إلى الطلاب المسلمين، مع العلم أنها تُعتبر مختلفةً بالنسبة إلى الطلاب الآخرين. في معرض دراستي، كرّر الطلاب أنّ هذه المشكلة هي نتيجة مباشرة لسياسات مكافحة الإرهاب، والخطاب الإعلامي والسياسي الذي رسّخ بيئةً من "انعدام الثقة" و"الشك" بالهيئات الطلابية الخاصة بالمسلمين.

بالفعل، تعرّضت الجمعيات الطلابية الإسلامية، على وجه الخصوص، لرهاب الإسلام. ولا يخفى على أحد أنّ هذه الجمعيات تقدّم خدمات اجتماعية للطلاب المسلمين، ومنهم كثيرون ممّن تركوا أسرهم للمرة الأولى في حياتهم. فتلبي الجمعيات احتياجات محددة للطلاب المسلمين، لا بل إنّ الكثير منها نظّم حملات ناجحة لكي تصبح المأكولات الحلال أحد الاحتمالات المتوفرة في حرم الجامعة، أو لتأمين أماكن للصلاة للطلاب المسلمين. كما تشكّل هذه الجمعيات بالنسبة إلى الكثيرين مكاناً لا يضطر فيه الطلاب إلى شرح معتقداتهم وممارساتهم للآخرين، لا سيما في شهر رمضان، أو خلال احتفالات العيد. لكنّ هذه الجمعيات تنظّم أيضاً ندوات ومحادثات، فتدعو متكلّمين مسلمين سبق ولفتوا نظر الأجهزة الأمنية. وقد اتُّهم اتحاد الجمعيات الطلابية الإسلامية، وهو المنظمة الجامعة التي تمثّل كافة الجمعيات الطلابية الإسلامية في مختلف جامعات بريطانيا، بأنه لا يفعل ما يكفي لمكافحة التطرف، وذلك عبر السماح للجمعيات الطلابية باستضافة مثل هذه اللقاءات.[301] في هذا الإطار، حدث مراراً أن أقدمت هيئات الجامعات على إلغاء اللقاءات في الدقيقة الأخيرة؛ أو سُجّلت مشاكل مع الإدارة الوسطى لتحديد قاعة الجامعة التي ستستضيف هذه اللقاءات؛ أو قام موظفو الجامعات بمراقبة حثيثة للقاءات حيث تتمّ استضافة المتكلمين- مع الإشارة إلى أنّ انعدام الثقة ينجم في هذا المجال عن عجز الإدارات أو امتناعها عن إبلاغ الجمعيات الطلابية الإسلامية بهذه التغييرات.[302] فلا يخفى على أحد أنّ هذه السياسات توجد عجزاً في الثقة، بما أنّ الطلاب لا يُعطَون تبريراً أو حتى فرصة لمناقشة أهلية أنشطتهم تلك. وفي الواقع، يجب أن تشكّل الجامعة فسحةً لفتح مثل هذا الحوار، حيث يمكن للطلاب انتقاد القواعد والأنظمة، لا سيما عندما يعتبرونها غير عادلة. لكنّ البيئة المتأتية عن سياسات مكافحة الإرهاب، كقانون مكافحة الإرهاب والأمن لعام 2015، ترسّخ انعدام الثقة، كما تساهم في نموّ أجواء من الشك والارتياب.

تتجلى هذه الأجواء واضحةً في تجارب أعضاء الجمعيات الطلابية الإسلامية، عندما يحاولون الترويج لمناسبةٍ ستنعقد ضمن الجامعة. فيتهمهم زملاؤهم الطلاب بأنهم إرهابيون، أو يسعون إلى استقطاب إرهابيين. أما الطلاب المسلمون الذين يدعون أنهم "معتدلون"، فيتجنبونهم كونهم لا يريدون أن يتم تصنيفهم كإرهابيين من خلال ربطهم بجمعيات كهذه. وبعد حادثة عبد المطلب، بلغ الأمر بالأهل حد الطلب من أولادهم تجنب الجمعيات الطلابية الإسلامية، لا لأنهم كانوا يعتقدون أنّ أعضاءها إرهابيون، بل لأنّ الأجهزة الأمنية ستستهدف هؤلاء الأعضاء أو تخضعهم لمراقبتها. وفي حين كانت هذه الجمعيات تناضل من أجل إثبات براءتها، كانت في الوقت نفسه تنشط في المطالبة بحقها كمنظمات طلابية في أن تكون ناشطة دينياً وفي بعض الأحيان سياسياً أيضاً.

وفي الواقع، يجب أن تشكّل الجامعة فسحةً لفتح مثل هذا الحوار، حيث يمكن للطلاب انتقاد القواعد والأنظمة، لا سيما عندما يعتبرونها غير عادلة. لكنّ البيئة المتأتية عن سياسات مكافحة الإرهاب، كقانون مكافحة الإرهاب والأمن لعام 2015، ترسّخ انعدام الثقة، كما تساهم في نموّ أجواء من الشك والارتياب.

الجمعيات الطلابية الإسلامية وصوت (أصوات) الطلاب المسلمين

من الاستراتيجيات التي شجع عليها اتحاد الجمعيات الطلابية الإسلامية، وجمعيات طلابية إسلامية في جامعات مختلفة، "تعميم وجود الطلاب المسلمين في حرم الجامعات." تُظهر الحاجة إلى "التعميم" إلى أي مدى بات وجود الطلاب المسلمين يُعتبر "غير اعتيادي" وفقاً للبرنامج الأمني، حيث بات المسلمون يُخصَّون بمعايير سلوك مختلفة بالمقارنة مع زملائهم الطلاب. يتحقّق هذا التعميم من خلال تشجيع الطلاب المسلمين على المشاركة في جمعيات طلابية أخرى خارج نطاق الجمعيات الطلابية الإسلامية، وكذلك في اتحادات الطلبة في الجامعات. غير أنّ هذا الأمر لا يفترض أنّ الطلاب المسلمين لم يكونوا أعضاء في جمعيات طلابية أخرى من قبل، ولكنّ معظمهم كانوا أكثر ارتباطاً بالنشاطات التي نظمتها الجمعيات الطلابية الإسلامية. فتمّ بذل

301 H M Government (2011) Report to the Home Secretary of Independent Oversight of Prevent Review and Strategy by Lord Carlile of Berriew Q.C. UK: Crown.

302 T. Saeed, Islamophobia and Securitization. Religion, Ethnicity and the Female Voice (UK: Palgrave Macmillan, 2016).

جهود منسّقة للإثبات للجامعة والطلاب أنّ الطلاب المسلمين ليسوا بمختلفين. وتمّ لمس هذا التغيير بشكل واضح في جامعات كثيرة، مع مشاركة عدد أكثر من الطلاب المسلمين في السياسة الطلابية في الجامعات. لكنّ النجاح الفعلي تحقق عندما أصبحت ماليا بو عطية أول رئيسة مسلمة للاتحاد الوطني للطلاب في المملكة المتحدة، مع أنّ ولايتها لم تكن خالية من الجدل.[303]

لعلّ هذه الجهود المبذولة "لتعميم" وجود الطلاب المسلمين تنبع من إدراك الطلاب المسلمين (لكن ليس كلهم) أنّ هناك حاجة إلى أن يتحكم المسلمون بالخطاب الذي يؤثّر على حياتهم اليومية. فضلاً عن ذلك، تنبّهوا إلى تنامي مشكلة الإرهاب، وهو أمرٌ أدركته منظمات مثل اتحاد الجمعيات الطلابية الإسلامية، ما دفعها

تُظهر الحاجة إلى "التعميم" إلى أي مدى بات وجود الطلاب المسلمين يُعتبر "غير اعتيادي" وفقاً للبرنامج الأمني، حيث بات المسلمون يُخصَّون بمعايير سلوك مختلفة بالمقارنة مع زملائهم الطلاب.

إلى تنظيم مؤتمرات دعت فيها مسؤولين حكوميين، وموظفين أمنيين، وأكاديميين، وناشطين في مجال حقوق الإنسان، وطلاب، لتسهيل التعاون وسبل المضي قدماً. بالإضافة إلى ذلك، أدرك الطلاب المسلمون ضرورة أن يشارك عدد أكبر من المسلمين لا في السياسة على مستوى الجامعة فحسب، بل على المستويات المحلية والوطنية أيضاً. كما أقرّوا بالحاجة إلى أن تصبح الأصوات المسلمة جزءاً من الإعلام السائد لكي تقدّم وجهة نظر مختلفة عن المسلمين والتنوع في المملكة المتحدة. ورغم مجادلة الطلاب بأن هذه التوقعات غير عادلة، كونها تحمّل مسلمين أبرياء مسؤولية الدفاع عن المسلمين وتغيير الخطاب المتعلق بهم، فقد نشأت جيوب مقاومة بين الطلاب المسلمين من خلال النظام الديمقراطي الذي يكافح مثل هذه الأفكار النمطية. فضلاً عن ذلك، تُبذل جهود لمواصلة العمل مع الحلفاء، لا سيما في سياق الحملات، على غرار مبادرة "منع المنع" التي تُنفّذ بقيادة طلابية.[304] مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ الجمعيات الطلابية الإسلامية لا تتساوى كلها في نشاطها السياسي، لكن هناك أعضاء في مختلف هذه الجمعيات يحاولون تغيير الخطاب القائم. هذه هي الأصوات التي يجب الاعتراف بها، عندما يكون هناك استعداد للمشاركة في العملية الديمقراطية، لكن في حالة واحدة فقط: إذا تمّ الاعتراف بالطلاب المسلمين كأفراد لهم كيانهم الخاص، عوضاً عن إهمالهم بصفتهم مجموعات ضعيفة بحاجة دوماً إلى من يراقبها أو ينقذها.

التبعات والتوصيات

تنوّعت استجابات الطلاب المسلمين لمشكلة رهاب الإسلام في ما يتعلق باستراتيجية المنع، مما يسلط الضوء على تنوع تجارب الطلاب المسلمين وأصواتهم التي لا يمكن حصرها ضمن فئة واحدة. من هنا، لا بد من الاعتراف بتنوع لا الطلاب المسلمين فحسب، بل المجتمع المسلم أيضاً، عوضاً عن تبسيطه وحصره في كيان متجانس واحد يُطلق عليه اسم المسلمين البريطانيين. فمن خلال الاعتراف بهذا التنوّع، يمكن الاستفادة من فرصة الإصغاء إلى تعددية الأصوات ووجهات النظر ضمن المجتمعات المسلمة.

تتمتع المساحات التربوية بدور مهم هو تعزيز النقاش والمشاركة الحيوية في المواضيع الصعبة والمثيرة للجدل. فهنا تكمن نقطة قوة هذه المؤسسات، وخاصة الجامعات منها، في مكافحة رهاب الإسلام وأي شكل من أشكال "التعرض" لأي أيديولوجية متطرفة والتأثر بها. لذا، بهدف مكافحة التطرف بأي شكل كان، يجب تعزيز هذا الدور الأساسي للجامعات. في هذا الإطار، يسلّط أودونل الضوء على هذه المشكلة ملاحظاً أنه "لو لم يتمّ النظر إلى التعليم كفسحة ترحّب بالحوار المفتوح وحرية التعبير، فلن يشارك الطلاب ولن يكونوا منفتحين على أنواع التغيير والتشكيك التي يمكن أن تقدّمها لهم العملية التربوية في مرحلة مقبلة من حياتهم."[305]

توفّر الجمعيات الطلابية الإسلامية وبقية الجمعيات الطلابية الفرصة الأمثل لتنظيم هذه النقاشات بالتنسيق مع طلاب مسلمين. جديرٌ بالذكر أنّ روايات المشاركين في دراستي تسلّط الضوء على انتشار قاعدة غير مكتوبة قائمة على الرقابة الذاتية، ضمن إطار تربوي متّسم بإجراءات أمنية مفرطة، حيث تُعتبر هذه الطريقة الوحيدة التي تمكّن الطلاب المسلمين من تجنّب شبكة "التعرض والتأثر" التي تُلقى حول تجربتهم. لكنّ هذه الرقابة الذاتية تكرّس شعور الانعزال، فيمسي الطلاب المسلمون متنبّهين للمعايير

303 A. Topping and S. Marsh, "Divisive NUS president Malia Bouattia defeated in election," The Guardian, April 26, 2017, https://www.theguardian.com/education/2017/apr/26/malia-bouattia-shakira-martin-nus-national-union-of-students-president-election.

304 NUS Black Students, Preventing Prevent. A Student Handbook on Countering the PREVENT Agenda on Campus (London: NUS, 2015), http://www.nusconnect.org.uk/resources/preventing-prevent-handbook.

305 A. O'Donnell, "Securitisation, Counterterrorism and the Silencing of Dissent: The Educational Implications of Prevent, British Journal of Educational Studies, 64(1), (2016): 71.

المزدوجة التي تملي عليهم حياتهم كطلاب، وبشكل خاص كأعضاء في الجمعيات الطلابية الإسلامية، بالمقارنة مع طلاب آخرين أو منظمات طلابية أخرى. لذا، لا بد من تكريس أهمية القيم والمؤسسات الديمقراطية بالنسبة إلى جميع الطلاب في إطار المساحات التربوية، كالجامعات مثلاً، حيث ينبغي تشجيع العمل السياسي الناشط ومناقشة المواضيع المثيرة للجدل، عوضاً عن صرف النظر عنها أو التغطية عليها.

من الضروري أيضاً التعرف على الخطابات المضادة التي بدأت تصدر عن المسلمين الشباب. في هذا الإطار، تعتبر حملات عدة، مثل "منع المنع" أو "#ليس باسمي"[306]، مبادرات أطلقها مسلمون شباب لاستعادة القدرة على التحكّم بالخطاب المهيمن بشأن مكانتهم في المجتمع. ترتكز هذه الحملات على مبادئ التظاهر الديمقراطية التي يجب تعزيزها. من هنا، يجب أن تتعاون الهيئات المحلية، والمؤسسات التربوية، لا بل حتى العناصر الأمنية، مع هذه الحملات، للاعتراف بتجارب المسلمين الشباب وتقديرها، هم الذين يُعتبرون مواطنين ملتزمين بالقانون، عوضاً عن فرض إجراءات أمنية مفرطة عليهم، وتحويلهم إلى أشخاص ضعفاء ومكتومي الصوت.

أخيراً، تتمتع المؤسسات التربوية "بواجب الرعاية" تجاه جميع الطلاب، ومسؤولية التأكد من عدم استهداف أي طالب على نحوٍ غير عادل، والحرص في هذه الحالة على عدم اتّباع سياسة اللا تسامح تجاه رهاب الإسلام. لكنّ "واجب الرعاية" هذا يتعرض للانتقاص عندما يطغى البرنامج الأمني على المؤسسة، لدرجة أنّ الطلاب الأبرياء يشعرون وكأنهم "تحت الحصار". لذا، يجدر بالمؤسسات التربوية صون "واجب الرعاية" هذا الذي قد يُهمل عل نحو غير عادل، على حساب واجب المنع.

كما أقرّوا بالحاجة إلى أن تصبح الأصوات المسلمة جزءاً من الإعلام السائد لكي تقدّم وجهة نظر مختلفة عن المسلمين والتنوع في المملكة المتحدة

306 #NotInMyName http://isisnotinmyname.com.

نحو دليل لمكافحة رهاب الإسلام: استناداً إلى أفضل الممارسات في الاتحاد الأوروبي

أمينة عزت- داس

جامعة ليدز

مقدمة

يشهد رهاب الإسلام تفاقماً وانتشاراً ملحوظاً في جميع أنحاء العالم، حتى أنه بات يتغلغل، أكثر فأكثر، في مجموعة متنوّعة من المجالات. بالفعل، يخلّف رهاب الإسلام تأثيره (على سبيل المثال لا الحصر) على الإجراءات السياساتية والقانونية، ووسائل الإعلام، كما ينمّي العنف اللفظي والجسدي ضد المسلمين، وأولئك الذين توحي هيئتهم بأنهم مسلمون، والمساحات الإسلامية. من الأمثلة على ذلك حرق المساجد والمراكز الثقافة الإسلامية[307]، واستهداف غير المسلمين كالسياسي الكندي الذي ينتمي إلى طائفة السيخ جاغميت سينغ، فضلاً عن أفظع الحوادث المتمثلة بقتل المسلمين، بمن فيهم ثلاثة أفراد من عائلة بركات في تشابل هيل، كارولاينا الشمالية، في فبراير 2015، ومحمد سليم في بيرمنغهام، إنكلترا، في أبريل 2013، على سبيل المثال لا الحصر. بالإضافة إلى تلك الأحداث المحددة، تثبت الأدلة الإحصائية حجم النموّ المطرد الذي تشهده الأحداث المقترنة برهاب الإسلام. فمثلاً، أوردت مجموعة مناهضة رهاب الإسلام في فرنسا، في أحد تقاريرها، عن زيادة بنسبة 18.5% في الأحداث المسجّلة المقترنة برهاب الإسلام بين 2015 و2016، [308] في حين سجّلت مجموعة مناهضة رهاب الإسلام في بلجيكا وقوع 36 حادثاً في شهر واحد بين مارس و أبريل 2016. [309] مع ذلك، ما من شك في أنّ هذه الحوادث والأرقام لا تمثّل إلا غيض من فيض ما يجري على أرض الواقع.

ينتشر رهاب الإسلام أيضاً من خلال الترويج للخطابات التي تتناول المسلم "الآخر" عبر الإنترنت، وفي وسائل الإعلام والثقافة الشعبية. ومن الأمثلة على ذلك ما تنشره مجلة شارلي إيبدو الفرنسية غالباً في رسومها الكاريكاتورية الساخرة، أو العناوين المثيرة التي تتصدّر الصحف الشعبية مثل "ذا مايل" أو "ذا صان" في المملكة المتحدة. ومع أنّ هذه الوسائل الإعلامية ليست مسؤولة عن ابتكار الخطابات المذكورة، إلا أنها توجد قنوات لنشر الخطابات الكارهة للإسلام على نطاق واسع. في هذا الإطار، تسعى بعض مبادرات المجتمع المدني إلى تحدي هذه الظاهرة أكثر فأكثر. على سبيل المثال، صمّمت المجموعة البريطانية "إشراك المسلمين والتطوير" مبادرة "مساءلة إعلامنا: دليل رصد وسائل الإعلام"، كما تواظب على إطلاق نداءات من أجل العمل بين أعضائها.[310]

بالإضافة إلى ذلك، من الملاحظ اشتداد حدة رهاب الإسلام على المستوى المؤسساتي في الخطاب السياسي، وعلى المستويات القضائية والتنفيذية، وعند سن الإجراءات التشريعية أيضاً. من الأمثلة على ذلك قانون ستازي الفرنسي الصادر عام 2004 والمتعلق "بالرموز الدينية اللافتة للنظر" الذي خلف تأثيراً غير متناسب على الشابات المسلمات في المؤسسات التعليمية،[311] والأحكام التمهيدية التي صدرت عن محكمة العدل الأوروبية مؤخراً حول صرف النساء المحجبات من عملهنّ.[312] وفي خطوة أقل تحيّزاً نحو نوع جنسي بعينه، لا ننسى مشروع القانون الأخير الذي لقي تأييداً جماعياً، والمتمثل بحظر ذبح الحيوانات وفق الطقوس الدينية (الطعام الحلال والكوشر) في المناطق الناطقة بالفلمندية والفرنسية في بلجيكا.[313]

307 راجع التقرير الأوروبي لرهاب الإسلام الصادر سنوياً للحصول على أمثلة أكثر تفصيلاً على المستويات الوطنية.
E. Bayrakli and F. Hafez, European Islamophobia Report Istanbul, SETA (2017), E. Bayrakli and F. Hafez (eds.), The State of Islamophobia in Europe, Istanbul SETA (2017).

308 التقرير السنوي 2015، 2016 (CCIF, C. C. L. I., (Paris: Collectif Contre l'Islamophobie en France, 2016).

309 Rapport d'Activités 2016. CCIB, (Brussels, Belgium: CCIB, 2017).

310 "Holing our Media to Account: The Media Monitoring Toolkit," In: MEND (ed.) (London, UK: MEND, 2014).

311 Legifrance, "Loi du 15 mars 2004-228 encadrant, en application du principe de laïcité, le porte de signes ou de tenues manifestant une appartenance religieuse dans les écoles, collèges et lycées publics (France)" (Paris : Legifrance, 2004).

312 Case c-157/15 Samira Achbita and Centrum voor Gelijkheid van Kansen en voor Racismebesirjding v. G4S Secure Solutions. European Court of Justice, 2017; Case C-188/15 Asma Bougnaoui. Association de Défence des Droits de l'Homme (ADDH) v. Micropole Univers. European Court of Justice, 2017.

313 A. Easat-Daas, "Islamphobia in Belgium: National Report 2017," in: E. Bayrakli and F. Hafez (eds.) European Islamophobia Report (Istanbul: SETA, 2018)

كما هو مفصّل في أقسام لاحقة من هذا البحث، صُمّمت مجموعة متنوعة من الأبحاث الأكاديمية ومبادرات المجتمع المدني من أجل تسجيل حالات رهاب الإسلام وتجلياته المتنوعة، والإبلاغ عنها، والتعمّق فيها. وقد توصّلت معظم هذه المبادرات إلى استنتاج مفاده ضرورة بذل المزيد من الجهود لمكافحة رهاب الإسلام بطريقة فعالة ومنهجية. في هذا المنظور، من الملاحظ أنه رغم تشكيل المساعي المذكورة آنفاً جزءاً لا يتجزأ من عملية التصدي لرهاب الإسلام، تبقى الأبحاث والنتاجات في هذا المجال محدودة. من هذا المنطلق، يوجز هذا البحث العمل الذي تقوده جامعة ليدز في المملكة المتحدة من أجل تطوير دليل لمكافحة رهاب الإسلام، كما يسلط الضوء على بعض من التوصيات الأولية للمشروع.

معلومات أساسية

إنّ دليل مكافحة رهاب الإسلام هو مشروع مدته سنتان، ممول في إطار عمل برنامج المفوضية الأوروبية للمنح (/JUST/2015 RRAC/AG/BEST/8910)، يسعى إلى إنشاء دليل قابل للنقل والاستخدام من أجل التصدي لرهاب الإسلام بشكل فعال. يستند المشروع إلى أفضل الممارسات المستخدمة في مختلف أنحاء الاتحاد الأوروبي.[314] وهو يرتكز على تحليل مفصل لثماني دراسات حالة من: المملكة المتحدة، وفرنسا، وبلجيكا، وألمانيا، واليونان، والبرتغال، وهنغاريا، والجمهورية التشيكية. تقدّم هذه المجموعة المختارة من الحالات مجموعة مثيرة للاهتمام من الأمثلة. فهي تتراوح بين دراسة الدول ذات المجتمعات المسلمة الكبيرة التي هاجرت إليها بعد الاستعمار (المملكة المتحدة، فرنسا، ألمانيا، بلجيكا)، فالدول ذات التواجد الإسلامي الأحدث والأصغر نسبياً (هنغاريا والجمهورية التشيكية) إلى تلك التي تضمّ مجتمعات إسلامية أصغر نسبياً والتي تملك في الوقت عينه علاقة تاريخية ومخيلة وطنية ذات صلة بالمسلمين (اليونان والبرتغال). لكن، مع أنّ تلك الحالات تشكّل أساس المشروع، من المتوقع ألا تقتصر نتائج العمل على هذه البلدان فقط، أو على الاتحاد الأوروبي وحده، بل ستتمتع الرسائل المتأتية عن المشروع بدلالة عالمية.

انطلق مشروع دليل مكافحة رهاب الإسلام في يناير 2017، وهو يتوزع على أربعة مسارات عمل أساسية، تدوم كلّ منها ستة أشهر. حدّد مسار العمل الأول خطابات رهاب الإسلام المهيمنة في كلّ من الحالات التي تمّت دراستها. وسعى مسار العمل الثاني إلى تكوين لمحة عامة عن أكثر الممارسات فعاليةً في مكافحة رهاب الإسلام ضمن كلّ من البلدان التي شملتها الدراسة. أما المساران الأخيران، فسيقومان على صياغة دليل لمكافحة رهاب الإسلام، ونشره في أوساط صناع السياسات، والخبراء، وأهل الاختصاص على المستويات المحلية والوطنية والدولية، عن طريق المؤتمرات وورش العمل ونواتج العمل الأكاديمية وذات الصلة بالسياسات.

نحو دليل لمكافحة رهاب الإسلام

بالرغم من الفوارق الجغرافية، والتاريخية، والمعيارية بين الحالات الثماني المشمولة بالدراسة في إطار هذا المشروع، ظهرت أوجه تقارب في طبيعة خطابات رهاب الإسلام. ومن هذه

> تصوّر خطابات رهاب الإسلام السائدة المسلمين كأشخاص غير متوافقين ثقافياً أو أخلاقياً مع مجتمعهم، وبالتالي كمواطنين ناقصين غير قادرين على الانصهار في المجتمع الغربي

الأوجه، تكوين صورة مركبة ثابتة عن المسلمين كأشخاص يشكّلون تهديداً ديموغرافياً، ويتطلعون إلى "أسلمة" الغرب، ويمثّلون خطر الانجراف في تهديدات عنيفة. بالإضافة إلى ذلك، تصوّر خطابات رهاب الإسلام المهيمنة التي تمّ تحديدها المسلمين كأصحاب قيمٍ غير معيارية متعلقة بالنوع الاجتماعي والجنس: فيُنظر إلى المسلمين كفئة تروّج لانعدام المساواة بين الجنسين، وتسحق حقوق المرأة والأقليات الجنسية، وكفئة منحرفة جنسياً أيضاً. أخيراً، تصوّر خطابات رهاب الإسلام السائدة المسلمين كأشخاص غير متوافقين ثقافياً أو أخلاقياً مع مجتمعهم، وبالتالي كمواطنين ناقصين غير قادرين على الانصهار في المجتمع الغربي.[315] كما يتمّ الاستشهاد بتعميم الصورة المكوّنة عن الآخر المسلم كتبرير لضبط المجتمعات المسلمة على مختلف المستويات.

في المرحلة الثانية من مشروع دليل مكافحة رهاب الإسلام، أجرى كل فريق وطني مجموعة متنوعة من الأنشطة الميدانية،

314 راجع دليل مكافحة رهاب الإسلام للاطلاع على أحدث مستجدات المشروع بشكل منتظم، بما في ذلك قراءة أوراق العمل القابلة للتنزيل- www.cik.leeds.ac.uk

315 للاطلاع على نظرة شاملة وتحليل لخطابات رهاب الإسلام المهيمنة التي تمّ تحديدها في المرحلة الأولى من هذا المشروع، راجع: E. Mescoli, Work stream 1: Dominant Islamophobic Narratives - Comparative Report. Leeds, UK: University of Leeds, 2017.

تضمّنت مقابلات مع خبراء وناشطين بارزين، بهدف تحديد أفضل الممارسات. فكشف استعراض تحاليل دراسات الحالة الوطنية الثماني عن سلسلة من أوجه التقارب في أفضل الممارسات المعتمدة لمكافحة رهاب الإسلام على أرض الواقع.[316] أولاً، في مختلف الحالات التي شملتها الدراسة، تمّ التشديد على ضرورة أن تتجنّب خطابات مكافحة رهاب الإسلام استنساخ الأفكار النمطية المعادية للإسلام، من خلال التفاعل مع هذه الخطابات على مستوى أساسي للغاية بهدف إثبات خطئها.[317] فضلاً عن ذلك، لفتت الحالات إلى أنّ تسجيل مظاهر رهاب الإسلام، ورصدها، وتصنيفها بطريقة منهجية ونظامية هو شرط أساسي للتعامل مع رهاب الإسلام، فمعالجته في مرحلة لاحقة، بأسلوب متماسك ومتسق. ولعل أحد الأمثلة على ذلك هو نشر التقرير السنوي الأوروبي لرهاب الإسلام الذي يوثّق حالات رهاب الإسلام في مختلف أنحاء القارة منذ العام 2015. [318] جدير بالذكر أنّ هناك مشاريع وطنية متعددة أخرى لها محور التركيز نفسه، على غرار مجموعتي مناهضة رهاب الإسلام في فرنسا وبلجيكا.[319]

فيمكن تفكيك خطاب التهديد هذا عبر التشديد على التوافق الثقافي بين المسلمين والمجتمعات الغربية، والإعلان أنّ المسلمين لا يتنافون مع روح المجتمع، بل يشكّلون جزءاً أساسياً منه

في ما يتعلق بمكافحة القواعد الأيديولوجية لخطابات رهاب الإسلام المهيمنة، سلطت تقاريرنا الضوء على أهمية تحدي مفاهيم التهديد الإسلامي. فيمكن تفكيك خطاب التهديد هذا عبر التشديد على التوافق الثقافي بين المسلمين والمجتمعات الغربية، والإعلان أنّ المسلمين لا يتنافون مع روح المجتمع، بل يشكّلون جزءاً أساسياً منه. يساهم هذا الأمر في مكافحة الأفكار المنتشرة عن رغبة المسلمين في السيطرة على البلاد أو أسلمتها، كما يدحض الخرافات المحيطة بالمسلمين ومسألة النوع الاجتماعي/الجنس، أو بكونهم يشكّلون تهديداً بشنّ هجمات عنيفة. فضلاً عن ذلك، بما أنّ خطاب التهديد يدعي أنّ المسلمين يمثّلون فئةً متجانسةً واحدة، يجب بذل الجهود لتسليط الضوء على تعددية المجتمعات المسلمة وتنوعها. باختصار، ينبغي استبدال خطاب التهديد و"الآخر المختلف" بالتركيز المتزايد على إنسانية المسلمين لتعزيز بناء مستقبل دامج. يتوافق أسلوب التصدي المقترح هذا، كل التوافق، مع طريقة فهم رهاب الإسلام كما هي معتمدة في هذا المشروع، ومفادها: "يجب فهم رهاب الإسلام، لا كمجرد تعبير عن الكراهية أو الخوف، بل كتقويضٍ لقدرة المسلمين، كمسلمين، على تصوّر أنفسهم في المستقبل."[320]

بهدف المحافظة على أكبر قدر ممكن من الفعالية، يجدر بالخطابات المضادة لرهاب الإسلام أن تفسح المجال أمام الطعن في رهاب الإسلام المؤسساتي. وفي الواقع، يتصل هذا الجانب من مكافحة رهاب الإسلام بمشاريع أوسع، تسعى إلى القضاء على مظاهر الراديكالية والاستعمار في الدولة. من الأمثلة على ذلك، الخطوات المتخذة ضد إجراءات قانونية مباشرة هدفها الحد من الممارسات الإسلامية، كالدعوى المشتركة التي رفعها مجلس تنسيق المؤسسات الإسلامية في بلجيكا والاتحاد البلجيكي للمنظمات اليهودية، بالتعاون مع المؤتمر اليهودي الأوروبي والمؤتمر اليهودي العالمي، ضد حظر ذبح الحيوانات وفق الطقوس الدينية في بلجيكا.[321] ومن الأمثلة الأخرى أيضاً، طريقة عمل مجموعة مناهضة رهاب الإسلام في فرنسا التي تسعى إلى تزويد المسلمين الفرنسيين بالمعرفة اللازمة بشأن حقوقهم القانونية، ومساعدة الأفراد في اتّخاذ إجراءات قانونية عند الحاجة، وغالباً ما يكون ذلك في الحالات المتعلقة بلباس المرأة المسلمة.[322]

في المرحلة الأولية من مشروع دليل مكافحة رهاب الإسلام، توصل الخبراء إلى أنّ خطابات رهاب الإسلام المهيمنة تدعي أنّ الإسلام يشجع على انعدام المساواة بين الجنسين. من هنا، وفي ما يتعلق بالخطابات المضادة لرهاب الإسلام في مختلف الحالات المشمولة بالدراسة في هذا التقرير، تبيّن أنه من الضروري أن تتيح استراتيجيات مكافحة رهاب الإسلام إنشاء مساحات يُعبّر فيها

316 راجع:
I. Law, A. Easat-Daas, and S. Sayyid, Dominant Counter-Islamophobia Narratives - Comparative Report. Leeds, UK: University of Leeds, 2018.

317 "التقرير السنوي 2015"، CCIF, C.C.L.I. (Paris: Collectif Contre L'Islamophobie, 2014).

318 راجع: www.islamophobiaeurope.com للاطلاع على كافة النسخات السابقة لهذا التقرير كما هو منقّح من قبل : Bayrakli, E., and Hafez, F

319 "Rapport d'Activitiés 2016," CCIB (Brussels, Belgium: CCIB, 2017); "Annual Report 2015," CCIF, C.C.L.I. (Paris: Collectif Contre L'Islamophobie, 2014).

320 S. Sayyid, "A Measure of Islamophobia," Islamophobia Studies Journal, 2 (2014): 10-25.

321 "Belgian Muslims, Jews Challenge Slaughter Ban," About Islam, January 18, 2018.

322 "Collectif Contre L'Islamophobie en France," CCIF, 2017 تمت زيارة الموقع في 27 كانون الأول/ديسمبر, www.Islamophobie.net

المسلمون عن آرائهم. ويمكن أن تكون هذه المساحات فرصةً لنمو وازدهار النسوية القائمة على الثقافة الإسلامية[323]، مما يتيح للمرأة المسلمة استعادة الخطاب الحالي المفرط في "استشراقيته"[324] حول دورها ومكانتها. فضلاً عن ذلك، قد تفسح هذه المساحات المجال أمام استخدام سبل التعبير الخلاقة والفنية كطريقة لإيصال الأصوات المسلمة. من الأمثلة الأبرز على ذلك مبادرة "أنا من بروكسل ومحجبة"[325] التي أطلقتها نساء مسلمات مقيمات في بروكسل. تستخدم هذه الجمعية وسائل التواصل الاجتماعي كأداة لنشر فيديوهاتها الشهرية التي تتحدث، في كل مرة، عن امرأة مسلمة محجبة من العاصمة البلجيكية، متوسعة في حياتها اليومية (من دون التركيز على الحجاب بشكل مفرط). وقد أعلنت جمعية "أنا من بروكسل ومحجبة" أنّ: "الهدف هو تعزيز مجتمع متعدد الثقافات من خلال مكافحة التمييز والأفكار النمطية، خاصة ضد النساء المسلمات المحجبات. إنها حركة فنية ومبادرة ملتزمة على السواء تهدف... إلى إبراز هوياتنا المتنوعة من خلال التحدث عن كل شيء ما خلا الحجاب."[326]

نسجاً على المنوال نفسه، من الأمثلة الأخرى على مكافحة رهاب الإسلام بشكل أوسع فيلم "فريزيا" (Fresia) البريطاني الذي صدر عام 2017. حظي الفيلم بتمويل من صندوق جوزيف راونتري الاستئماني الخيري. يؤكد صاحب الفيلم، كونور إبراهيم من شركة "أراكان كرياتيف" (Arakan Creative)، أنه أول فيلم أنتج لمكافحة رهاب الإسلام خصيصاً. إنه عملٌ جدير بالثناء نظراً لطريقته الخلاقة، والمؤثرة، والمفهومة من قبل الجميع، للتعبير عن الخطابات التي تكافح رهاب الإسلام، خارج إطار المؤلَّفات الأكاديمية الاعتيادية. وقد ذكر إبراهيم أيضاً أنه ينوي تحويل الفيلم إلى دليل يمكن استخدامه في المدارس لفتح باب النقاش حول قضايا صعبة مثل رهاب الإسلام، واليمين المتطرف، وغير ذلك، مما يسلط الضوء على الأثر الطويل المحتمل للمبادرات الخلاقة.[327]

بالإضافة إلى تحليل أفضل الممارسات المستخدمة لمكافحة رهاب الإسلام، شارك المشروع أيضاً في إجراء تحليل مستمر لطرق استخدام القانون الأوروبي لحقوق الإنسان وأوجه تطبيقه الحالية لمكافحة رهاب الإسلام، والأهم من ذلك ربما، كأساس لفهم أوجه تطبيقه المحتملة لمكافحة رهاب الإسلام في المستقبل.[328] من شأن هذه المقاربة القانونية، بالإضافة إلى استعراض تحاليل أفضل الممارسات في مجال مكافحة رهاب الإسلام على أرض الواقع، أن تشكّل أساساً لصياغة دليل قابل للنقل، يمكن استخدامه من قبل صناع السياسات، والخبراء، وأهل الاختصاص في الاتحاد الأوروبي وخارجه.

الملاحظات الاختتامية

ختاماً، يمكن القول إنني أوجزت في مساهمتي هذه عمل مشروع دليل مكافحة رهاب الإسلام، وذلك من خلال تحديد الأساس الذي ترتكز عليه خطابات رهاب الإسلام المهيمنة في أوروبا، وأفضل الممارسات لمكافحتها. ومع أنّ هذه الاستراتيجيات تستند إلى السياق الأوروبي، ما من شك في أنها تقدّم سبلاً لمكافحة المعدلات المتزايدة لرهاب الإسلام في مختلف أنحاء العالم. من هذا المنطلق، تمّ الاستناد إلى هذه الأمثلة لرفع التوصيات المبينة أدناه:

- الاستمرار في الإبلاغ عن حوادث رهاب الإسلام بشكل موحّد وشامل من وجهة نظر الضحايا وعلى المستويين المحلي والوطني. فيجب دعم هذه المساعي وتشريعها أينما كان ذلك ممكناً. لكن نظراً إلى المشاكل المتعلقة بالشرعية، يجب أن تُبذل تلك المساعي عن طريق مبادرات شعبية لا إجراءات حكومية.
- مكافحة الخطابات التي تزعم وجود تهديد إسلامي من خلال إفساح المجال أمام التعبير عن إنسانية المسلمين، وتعدديتهم، ومظاهر حياتهم الطبيعية.
- إنشاء مشاريع تشدّد على أهمية اعتماد مقاربة دامجة، بحيث يتم تصوير المسلمين كجزء لا يتجزأ من التوقعات المحلية/الوطنية الحالية والمستقبلية.
- الطعن في رهاب الإسلام المؤسساتي بشكل متماسك وفعال، كذلك المتمثل في الخطابات السياسية أو التدابير القانونية الحالية. ترتكز هذه المقاربة على تمكين المجتمعات المحلية الإسلامية.

323 أي تلك التي يكون مصدرها المجتمعات المسلمة/"العالم الإسلامي"، لا التي تُفرض من الخارج.

324 راجع: Edward Said, Orientalism, London Routledge, 1978.

325 من المتوقع أن تغير المنظمة اسمها إلى "كانيل" (Cann'elles) بدءاً من آذار/مارس 2018.

326 A. Easat-Daas (ed.), Islamophobia in Belgium: National Report 2016 (Istanbul: SETA, 2016).

327 حوار شخصي مع س. إبراهيم (آب/أغسطس 2017).

328 راجع: I. Trispiotis, Islamophibia in European Human Rights Law (Leeds, UK: University of Leeds, 2017).

• إنشاء مساحات للمسلمين، بما فيها تلك التي تعزز وتحترم مفهوم النسوية وفقاً للثقافة الإسلامية، وكذلك التعبير بشكل مبتكر وخلاق عن الأصوات المسلمة.

إنشاء مشاريع تشدّد على أهمية اعتماد مقاربة دامجة، بحيث يتم تصوير المسلمين كجزء لا يتجزأ من التوقعات المحلية/الوطنية الحالية والمستقبلية

جديرٌ بالذكر أنّ هذه التوصيات ليست بشاملة، بل ينبغي التركيز على تطوير الاستراتيجيات الملموسة والعملية بشكل مستمر. فضلاً عن ذلك، لا بد في هذا الإطار من الترحيب بمبادرات المفوضية الأوروبية ومركز كارتر، والثناء عليها في عملية المضي قدماً.

رهاب الإسلام: من التحديات إلى الفرص

ديبي المنتصر

مجموعة ملتقى الثقافات

لم يتطور رهاب الإسلام في أعقاب هجمات 11/9، بل لطالما كان موجوداً قبل ذلك. بالفعل، يواجه العرب والمسلمون المقيمون في الولايات المتحدة، منذ زمن طويل، صوراً نمطية سلبية تُرسم عنهم في وسائل الإعلام والثقافة الشعبية. في هذا الإطار، وثّق شاهين طريقة تشويه صورة العرب والمسلمين مثبتاً أنها تعود إلى حقبة الأفلام الصامتة بالأسود والأبيض.[329]

غير أنّ هجمات 11/9 أعطت رهاب الإسلام ثقلاً مجتمعياً أكبر، وسمحت بالتالي بأن تحظى تعابير رهاب الإسلام بقبول مجتمعي أوسع. في هذا الإطار، أفاد آلن، قبل بضعة أيام من هجمات 11/9، أنّ الأمم المتحدة اعترفت رسمياً برهاب الإسلام بصفته التحيّز والتمييز والكراهية ضد المسلمين والإسلام،[330] مضيفاً أنّ اعتراف الأمم المتحدة برهاب الإسلام يؤكّد أن المشاعر المعادية للمسلمين باتت شاغلاً عالمياً متزايداً. لكنّ آلن جادل أنّ الهجمات ساهمت في تأجيج التوتر وتفاقم الخوف من المسلمين. فتُعتبر الأطر المرجعية التي يستند إليها الإعلام لتصوير المسلمين والإسلام سلبيةً بشكل واضح، وقد باتت مع الأسف مقلقةً بدرجة كبيرة. في الواقع، كُرّست الصور السلبية المنقولة عن المسلمين كجزء من الحياة الطبيعية لدرجة أنها باتت أمراً منطقياً وواقعياً وحقيقياً بالنسبة إلى الكثيرين. في هذا الإطار، يقول آلن: "هذا التعميم في طريقة الفهم، على نطاق أوسع، هو ما يجعل من استمرار هذه الأفكار والتعابير المناهضة للمسلمين، لا بل من مجرّد افتراضها، أمراً مقبولاً."[331]

في أعقاب هجمات 11/9، بات رد الفعل العنيف والتمييز ضد العرب والمسلمين والجنوب آسيويين أمراً مشرّعاً ضمن قوانين. فأدت تشريعات، على غرار قانون توحيد وتعزيز أميركا بتوفير الأدوات المناسبة اللازمة لاعتراض الإرهاب وقمعه (قانون باتريوت)، إلى احتجاز آلاف المسلمين وترحيلهم بحجة "الحرب على الإرهاب". وقد استمرت التغطية السلبية للإسلام والمسلمين في السنوات التي تلت 11/9، بما في ذلك تغطية عدد من الهجمات الإرهابية التي ارتكبها أفراد صنفوا أنفسهم كمسلمين، والتشريعات والتحقيقات الحكومية المنجزة ضمن إطار الحرب على الإرهاب، أفي الخارج أم في الداخل.

في السنوات السبع عشرة الأخيرة، شارك مدوّنون يمينيون، وأكاديميون من المحافظين الجدد، وأعضاء من حركة حزب الشاي، وسياسيون محافظون في حملات تشهير إعلامية بحق العرب والمسلمين، في سعي منهم لتوسيع نطاق مناصبهم القيادية. وقد بلغ الأمر الذروة عدة مرات، كما في الأمثلة التالية: فكانت أبرز حملة تشهير في السنوات العشر الماضية قد سُجلت عام 2007، عندما تصدّرت أكاديمية جبران خليل جبران الدولية، وهي أول مدرسة رسمية ثنائية اللغة وعربية في الولايات المتحدة، ومديرها، عناوين الصحف، كمدرسة دينية ذات تمويل عام تسعى إلى تدريب إرهابيين في الداخل الأميركي.[332] وعام 2008، تمّ تصوير السيناتور باراك أوباما كمسلم في السر يحاول تحويل أميركا إلى الإسلام.[333] وفي 2010، أُعلن عن مشروع بناء مركز ثقافي إسلامي في مانهاتن

329 Jack Shaheen, Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People (New York, NY: Olive Branch Press, 2001).

330 Christopher Allen, "Justifying Islamophobia: a post-9/11 consideration of the European Union and British contexts," American Journal of Islamic Social Sciences 21, no. 3 (2004): 1-25.

331 المرجع نفسه، 22.

332 Lorraine Ali, "Speech Impediment," Newsweek, October 1, 2007, 14.

333 Jim Rutenberg, "The Man Behind the Whispers About Obama," The New York Times, October 12, 2008. http://www.nytimes.com/2008/10/13/us/politics/13martin.html

الدنيا، فأثارت المسألة جدلاً واسعاً حتى لُقّب المسجد بمسجد غراوند زيرو. فأجّج المدوّنون والسياسيون نيران التعصّب من خلال تقسيم البلاد إلى مجموعتين: مجموعة تؤمن بالحرية الدينية أينما كان، وأخرى تعتقد أنّ بناء مسجد بالقرب من موقع غراوند زيرو يدنّس ذكرى الأرواح المفقودة في 11/9. [334] عام 2011، دعا عضو الكونغرس بيتر كنغ، وهو رئيس لجنة الأمن القومي في مجلس النواب، إلى جلسة استماع بعنوان "نطاق التطرف في المجتمع الأميركي المسلم وطريقة استجابة ذلك المجتمع". وقد اقتبس مقال في مجلة سلايت عن كنغ قوله إنّ جلسات الاستماع تلك هدفت إلى معالجة "التطرف في المجتمع الأميركي المسلم والإرهاب الناشئ في الداخل."[335]

واجه المسلمون في مدينة نيويورك، بشكل خاص، ردود فعل عنيفة وتمييز في أعقاب هجمات 11/9. ورغم مواجهتهم تحديات عظيمة، إلا أنهم تمكنوا في الوقت عينه من تكوين أصدقاء جدد

واجه المسلمون في مدينة نيويورك، بشكل خاص، ردود فعل عنيفة وتمييز في أعقاب هجمات *11/9*. ورغم مواجهتهم تحديات عظيمة، إلا أنهم تمكنوا في الوقت عينه من تكوين أصدقاء جدد ما لبثوا أن أصبحوا حلفاء في ما بعد.

ما لبثوا أن أصبحوا حلفاء في ما بعد. فحوّل مسلمو نيويورك وحلفاؤهم هذه التحديات إلى فرص تضامن، أوجدت بدورها ائتلافات حقيقية أحدثت فرقاً في حياتهم وحياة جيرانهم. ولعلّ أفضل اقتباس يُعبّر عن هذا الأمر هو قول فرانكلين د. روزفلت: "إذا كان لهذه الحضارة أن تبقى على قيد الحياة، فحري بنا تشجيع علم العلاقات الإنسانية، لنزيد من قدرة جميع الشعوب، من الأجناس كافة، على العيش والعمل معاً بسلام في العالم نفسه."

على مرّ السنوات، أتاحت هذه الائتلافات تحريك عجلة العمل بين الفئات والمجتمعات التي تتعرض للتمييز، وذلك عند معالجة قضية تؤثّر على أحد المجتمعات ضمن هذه الائتلافات. أما العامل المحرك لهذا التعاون، فكان ضمان مجتمعات عادلة عرقياً واقتصادياً تدافع عن الحقوق المدنية لجميع المواطنين. وقد لمسنا تطوّر هذه الائتلافات على مر السنوات، مع توافر فرص لنسج علاقات تعاون حقيقية بين المجتمعات المحلية.

ما هي الفرص التي أتاحت تعزيز التنظيم بين الفئات والمجتمعات التي تتعرض للتمييز؟

- أدّى احتجاز العرب والمسلمين والجنوب آسيويين، وترحيلهم بحجة الحرب على الإرهاب، فضلاً عن تطبيق نظام الأمن القومي لتسجيل الدخول والخروج، إلى تظاهرات جماعية وتجمعات في مختلف أنحاء المدينة باسم الدستور الأميركي.
- أدى تنظيم الامتحانات الموحّدة في المدارس الحكومية خلال أيام العطل الإسلامية إلى إطلاق حملة من أجل إقرار العطل الإسلامية، حيث ضافرت حوالى 40 منظمة من مختلف المجموعات الإثنية والعرقية والدينية جهودها بهدف دمج العطل الإسلامية ضمن التقويم المدرسي.
- أدى برنامج مراقبة المسلمين الذي طبقته شرطة نيويورك إلى قيام مختلف الفئات التي تتعرض للتمييز بتنظيم نفسها ضمن تجمعات بهدف إنهاء ممارسة "التوقيف والتفتيش الجسدي" التي تنفذها شرطة نيويورك بحق الرجال الشباب السود واللاتينيين، كما أدى ذلك إلى رفع دعاوى قانونية من قبل المجتمع المسلم ضد شرطة نيويورك.
- دفعت التظاهرات ضد "مسجد غراوند زيرو" بأهالي نيويورك إلى الدفاع عن الحريات الدينية، مما أدى إلى تشكيل مجموعة "جيران نيويورك من أجل القيم الأميركية"، وهو ائتلاف ضمّ أكثر من 130 منظمة وآلاف الأفراد من قطاع عريض من سكان المدينة المتنوعين، بما في ذلك المنظمات التي تُعنى بالحكم الرشيد، والخدمات، والمناصرة، والجمعيات الدينية، والمهنية، والعمالية، ومنظمات الأحياء.
- أدت معارضة مكافحة التطرف العنيف وشبكة المدن القوية التي طرحتها حكومات المدن إلى التواصل مع المسؤولين وفق شروط مجتمع الأميركيين المسلمين وحلفائهم.
- في إحدى القضايا التي خالفت فيها شرطة نيويورك القانون، عندما امتنعت عن تأكيد أو نفي وجود وثائق سرية بشأن أميركيين مسلمين كردّ على طلبات رُفعت إليها بموجب قانون الحرية في الإعلام، أدى ذلك إلى رفع دعوى قانونية ومضافرة القوى مع ناشطي "بلاك لايفز ماتر" (حياة السود مهمة) للمطالبة بالكشف عن الوثائق في الحالات المماثلة، كحالة إريك غارنر الذي مات بعدما قبض ضابط من شرطة نيويورك على عنقه حتى مات خنقاً.

334 Laurie Goodstein, "American Muslims Ask, Will We Ever Belong?" The New York Times, September 5, 2010. http://www.nytimes.com/2010/09/06/us/06muslims.html

335 William Saletan, "Muslim-Bait and Switch," Frame Game, Slate, March 11, 2011. http://www.slate.com/articles/news_and_politics/frame_game/2011/03/muslimbait_and_switch.html

دفعت هذه التحديات التي تحوّلت إلى فرص بالقادة المسلمين المقيمين في نيويورك إلى المشاركة في العمل المدني والسياسي للمدافعة عن حقوق مجتمعاتهم المحلية، وحقوق المجتمعات الأخرى أيضاً. لقد أدركنا أننا بحاجة إلى أن تتعاون حكومتنا المحلية معنا لمكافحة رهاب الإسلام، مما يدفعنا كمجتمع محلي إلى أن نصبح جزءاً من العملية السياسية. فأدى هذا الأمر إلى تسجيل أشخاص في سجل الناخبين، ودعم مرشحين معيّنين، وترشيح أشخاص مسلمين وعرب وجنوب آسيويين من مجتمعاتنا لخوض الانتخابات.

تواصلنا مع الحكومة المحلية لمكافحة رهاب الإسلام بالطرق التالية:

- استضفنا احتفالات رمضان/العيد في قاعة البلدية.
- طرحنا منهاجاً تعليمياً للمدارس الرسمية حول العطل الإسلامية.
- اقترحنا مشروع قانون لمكافحة رهاب الإسلام في مجلس البلدية.
- شجعنا المسؤولين المنتخبين على فضح ممارسي رهاب الإسلام كلما دعت الحاجة إلى ذلك.
- أطلقنا حملة توعوية خاصة بلجنة لحقوق الإنسان عبر وسائل التواصل الاجتماعي والإعلانات المنشورة في المترو.

توصيات لمكافحة رهاب الإسلام

في المدارس والجامعات:

- توظيف رجال دين ومستشارين اجتماعيين مسلمين، أو مستشارين يتمتعون بالكفاءة الثقافية، يفهمون تنوّع المجتمعات المسلمة.
- الضغط والتأثير من أجل دمج التعليم الملائم ثقافياً في المدارس الرسمية، من صف الحضانة وحتى الصف الثاني عشر، مما يتطلب تدريب المعلّمين.
- إنشاء المزيد من المراكز الأكاديمية التي تتخصص في تاريخ المسلمين الأميركيين وثقافتهم.

على مستوى المجتمع المحلي:

- مساعدة المساجد على أن تصبح مورداً مجتمعياً لغير المسلمين من خلال تنظيم أيام البيوت المفتوحة والتواصل مع أشخاص من مختلف الأديان. في هذا الإطار، صمّمت شبكة المجتمعات المسلمة برنامجاً بعنوان "إقامة صلة وصل بين المجتمعات المحلية" لربط مسجد بكنيسة أو كنيس.
- أنشأت شبكة المجتمعات المسلمة أيضاً مشاريع للخدمة المجتمعية ضمن إطار برنامجها "الشبكة تخدم" لإشراك الأميركيين المسلمين وحلفائهم.
- فضلاً عن ذلك، طوّرت الشبكة برامج من تصميم الشباب لتمكين الشباب الأميركي المسلم من التعبير عن رأيه، بعنوان "MY-NYC"، أي الشباب المسلم في مدينة نيويورك.
- صمّم مزوّدو خدمات صحية نفسية مسلمون، سموا أنفسهم "Thrive NYC"، خدمات صحة نفسية واجتماعية مراعية للاعتبارات الثقافية.
- العمل مع مؤسسات ثقافية لاستضافة معارض وبرامج توعوية عن المسلمين والإسلام في أميركا (متحف الأطفال في منهاتن، متحف المدينة في نيويورك، جمعية بروكلين التاريخية).

على مستوى الولاية والمستوى الوطني، بدعم من الحكومة:

- رعاية حملات إعلانات الخدمة العامة حول التنوع والتسامح، بهدف تعزيز دمج الأميركيين المسلمين المهاجرين. تمّ إنجاز ذلك بالتعاون مع لجنة حقوق الإنسان في مدينة نيويورك.
- تسهيل إمكانية فهم اللغة في وكالات المدينة ومؤسساتها (تضمّ مدينة نيويورك خدمة ترجمة لثمانين لغة).
- توظيف المزيد من الأميركيين المسلمين في مختلف المجالات الحكومية للمساهمة في تحسين أميركا ورفع مستوى مهاراتها.
- التعاون مع قادة المجتمعات المسلمة علانيةً ليكون ذلك مثالاً يُقتدى به، والإثبات أنّ المسلمين جزء لا يتجزأ من مجتمعهم.
- دعوة المهنيين والشباب الأميركيين المسلمين إلى حوارات وطنية وعابرة للمحيط الأطلسي لتبادل الخبرات وأفضل الممارسات.

continues

توصيات لمكافحة رهاب الإسلام (continued)

في وسائل الإعلام:

- تنظيم ندوات للمذيعين والمنتجين من أجل مقاربة الأميركيين المسلمين بصدق، عن طريق التواصل مع المؤسسات الأميركية الإسلامية الوطنية وعلماء أميركيين مسلمين معروفين.
- ردع التعصّب في الإعلام من خلال مساءلة المنتجين الذين يعتمدون على أشخاص نصّبوا أنفسهم خبراء في شؤون الشرق الأوسط والإسلام.
- مقاطعة المعلنين عندما لا تتجاوب وسائل الإعلام بشكل إيجابي.
- إنشاء شبكتك الإعلامية الخاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ فعندما لا تغطي وسائل الإعلام حدثاً ما، نقوم ببثه مباشرةً عبر "فايسبوك لايف".
- إنشاء مكتب للناطقين الإعلاميين يضمّ أشخاص يُعوّل عليهم، تلقوا تدريباً إعلامياً.

أؤمن كل الإيمان أنّ رهاب الإسلام يعكس عنصريةً مؤسساتيةً وجماعيةً موجودة في المجتمع منذ مئات السنين، تكرّسها القوى القائلة بتفوق العرق الأبيض على حساب الأشخاص ذوي البشرة السوداء والسمراء. وعندما نعترف بالعنصرية المؤسساتية والجماعية التي اختبرها الأشخاص ذوو البشرة السوداء والسمراء، ونعمل على مكافحتها، سيتلاشى رهاب الإسلام، شأنه شأن بقية أنواع الخوف من الأقليات.

وعندما نعترف بالعنصرية المؤسساتية والجماعية التي اختبرها الأشخاص ذوو البشرة السوداء والسمراء، ونعمل على مكافحتها، سيتلاشى رهاب الإسلام، شأنه شأن بقية أنواع الخوف من الأقليات

مكافحة رهاب الإسلام

أرنو ميكاييليس

مؤلف، حياتي بعد الكراهية

من الضروري فهم العلاقة التكافلية بين التطرف الإسلامي العنيف ورهاب الإسلام. فيهدف ما يُسمى "بتنظيم الدولة الإسلامية"، والقاعدة، والشباب، وغيرها، إلى زرع بذور الفتنة بين كافة المسلمين على وجه الأرض، وعددهم 1.8 مليار، وكل الأشخاص الآخرين. وبناءً عليه، تُشنّ هجمات إرهابية ضد المجتمع المدني لتكريس ظروف اجتماعية يُنظر بموجبها إلى المسلمين كافة كأشخاص قادرين على ارتكاب هجمات مماثلة. في هذا الإطار، يمارس خطاب الأيديولوجية الإسلامية تأثيره من خلال الفصل الواضح بين المسلمين وغير المسلمين، شأنه شأن خطاب رهاب الإسلام. لذا، عندما ينظر المسلمون وغير المسلمين إلى بعضهم كجيران صالحين ومواطنين على قدم المساواة، لن ينجح أي من الخطابين في فرض تأثيره. ولعلّ انجح الطرق لمكافحة رهاب الإسلام والأصولية الإسلامية التي يتغذى منها هي تثقيف مجتمع مدني يقدّر المسلمين ويشملهم في الحياة المجتمعية.

لما كانت الزكاة هي أحد أركان الإسلام الخمسة، تُعتبر مشاريع تقديم الخدمات طريقة عملية وفعالة لإثبات حقيقة الإسلام، وإدماج المسلمين في المجتمع أيضاً.

من هنا، تتمعن هذه المقالة في الخوف الذي يولّد كافة أشكال الكراهية، كما تروي قصة تحول جريمة كراهية إلى عملية من الألفة والتآزر ما زالت جارية حتى يومنا هذا، مما يُحصّن المجتمعات ضد رهاب الإسلام ويوفّر الترياق المناسب لأولئك الذين أصيبوا به.

نرحّب بالجميع: 5 سنوات من التفاؤل الدائم رداً على جريمة الكراهية[336]

هناك الكثير من النقاط المشتركة بين غروتون في ماساشوستس وأوك كريك في ويسكونسون.

كلتاهما بلدتان أميركيتان أصيلتان، تجسّدان القيم وأخلاقيات العمل الخاصة بالطبقة الوسطى. كلتاهما من الأمكنة التي يحلو فيها لأي كان أن يكوّن أسرةً، وحيث ينعم المرء بوظائف لائقة ومدارس ممتازة، وتتكاثر محال البقالة الجميلة والمتاجر التي تبيع أصنافاً غريبة.

في هذا الإطار، يمارس خطاب الأيديولوجية الإسلامية تأثيره من خلال الفصل الواضح بين المسلمين وغير المسلمين، شأنه شأن خطاب رهاب الإسلام. لذا، عندما ينظر المسلمون وغير المسلمين إلى بعضهم كجيران صالحين ومواطنين على قدم المساواة، لن ينجح أي من الخطابين في فرض تأثيره.

سكانهما أشخاص طيبون، مجدّون في عملهم، وجيران صالحون، لا يتوانون عن مساعدة بعضهم. هم من الأشخاص الذين يطيب لهم تبادل الزيارات في عطل نهاية الأسبوع لحفل شواء أو لمشاهدة مباراة في كرة القدم.

336 نُشر للمرة الأولى على موقع mylifeafterhate.com، 5 آب/أغسطس 2017

على مرّ الأجيال، كان التنوّع مرادفاً لارتياد كنيسة من طائفة مسيحية أخرى، أو التحدّر من أجداد من نواحٍ مختلفة في أوروبا. فاستُقبلت الأسر الإيطالية واليونانية القليلة التي حطت رحالها في هاتين البلدتين بترحاب، وأحبّ السكان غرابتها وأكلاتها. ولم يكن ينافس نادي الموس لودجز الأبيض إلا منظمة قدامى المحاربين في الحروب الخارجية، البيضاء بدورها.

خلال العقود القليلة الماضية، وصلت تدفقات جديدة من المهاجرين إلى أوك كريك وغروتون، منطلقين من شمال الهند وجنوبها على التوالي. قد يُخيّل للمرء أنّ هؤلاء الجيران الجدد سينسجمون تماماً مع بيئتهم الجديدة، خاصةً وأنهم لا يقلون طيبةً واجتهاداً عن أيّ كان. فعلى غرار سائر المهاجرين الأوروبيين الذين توافدوا إلى الولايات المتحدة، ترك هؤلاء المهاجرون الهنود أوطانهم الحبيبة وثقافاتهم القديمة ليؤسسوا حياة أفضل من خلال الحلم الأميركي.

لكن بالرغم من هذه القيم والتجارب المشتركة، لم يرحب الجميع بهؤلاء المهاجرين.

> اكتشفنا أنّ أوجه الشبه التي تجمعنا أكثر بكثير من الاختلافات، بالرغم من كوننا من أصقاع مختلفة من الكرة الأرضية، ومن ثقافات متباعدة ظاهرياً. أذهلنا أنّ هذه الإنسانية المشتركة كانت الشرط الأساسي لحل كافة المشاكل التي يواجهها الجنس البشري.

ففي غروتون، عندما اقترح بعض الهندوس بناء دور عبادة لهم، المعروفة بالمانديں، عبّر بعض المواطنين عن قلقهم. واعتبر البعض الوافدين الجدد خطراً يهدد طريقة العيش المعتادة. فماذا لو استولوا على وظائفنا؟ ماذا لو كان بعضهم إرهابياً؟ هل ستعاني مدارسنا لأنّ بعضاً من هؤلاء الأطفال الجدد لا يجيدون الإنجليزية؟ طالت لائحة الأفكار والتبريرات، لكن كان يمكن اختصارها كلها بكلمة واحدة: الخوف. الخوف من التغيير.

أما أوك كريك، فتضمّ عدداً أكبر بقليل من السكان وتقع على مقربة من المدينة، مما جعلها تبدو، للوهلة الأولى، أفضل حالاً بالنسبة إلى العديد من الأسر البنجابية التي انتقلت إليها. فبُني فيها معبد للسيخ، أو ما يُعرف بـ"غوردوارا"، وسرعان ما أصبح هذا المكان المقدّس منارةً استقطبت المزيد من الهنود إلى ويسكنسون. وحظي السيخ بالقبول بين الكثيرين من أبناء المجتمع بفضل ما ميّزهم من حماس وجدٍّ في العمل، لكنّ ميلهم إلى الانطواء على أنفسهم جعلهم أيضاً مادّةً للشبهات.

يوم الأحد 5 أغسطس 2012، وذات صباح صيفي عليل، أقدم وايد مايكل بايدج، وهو رجلٌ من جماعة ذوي الرؤوس الحليقة التي تؤمن بتفوق البيض، كما زعم، على قتل شقيقين أثناء خروجهما من معبد الغوردوارا، بمسدس من عيار 9 ملم. ثم دخل المعبد واستمر بإطلاق النار، مردياً أربعة أشخاص وموقعاً جرحى آخرين، منهم بابا بنجاب سنغ، وهو رجل دين مسنّ ما زال يقبع في الكوما حتى أيامنا هذه. كان الملازم براين مورفي من مخفر شرطة أوك كريك أول من استجاب للحادث. فتشابك مع بايدج في إطلاق نار كثيف، أصيب على إثره 15 مرة قبل أن يصل الشرطي سام ليندا إلى مسرح الجريمة ويصيب مطلق النار الذي أقدم حينذاك على الانتحار.

كان الرجل الذي ارتكب هذا العمل الوحشي أحد أفراد عصابة ذوي الرؤوس الحليقة البيضاء التي كنت قد ساعدت في تأسيسها عام 1988. كان يمثّل الرجل الذي كنته في ما مضى.

في تلك الآونة، كنت منشغلاً في شنّ حرب على البشرية طيلة سنوات سبع. اليوم، عندما أستعيد ما جرى، أدرك أنني، في الحقيقة، ما كنت أكره إلا نفسي. فقد تجسّد عجزي عن محبة نفسي كعدائية متقلبة ألحقت ضرراً بالغاً بالعالم. لكن أسعفني الحظ، بدرجة لا تُصدّق، لأنّ الأشخاص الذين استهدفتهم بكراهيتي رفضوا الخضوع لخوفي وجهلي. أظهروا لي كيف يجدر بالبشر أن يتعاملوا مع بعضهم. ومع أنني لم أتتبّع هذه الأدلة على الفور، لم أستطع أن أتجنب الخير الجوهري الذي تفيض به تجربتنا الإنسانية والذي أثبت لي إلى أي مدى كنت مخطئاً. أكسبني هذا الخطأ معارف متنامية، امتزجت بشعور متزايد بالإنهاك، مما دفعني في نهاية الأمر إلى ترك "الحركة" بعد أن أصبحت أباً عازباً وفقدت رفيقاً آخر بسبب العنف المستشري في الشوارع عام 1994.

أُطلع الناس على كتابي "حياتي بعد الكراهية" منذ العام 2010، آملاً أن يتجنّب آخرون ارتكاب الخطأ نفسه. لقد ساعدتني مشاعر العطف والامتنان والغفران على الانتقال من جحيم على الأرض، لا حب فيه ولا محبة، إلى مكان حيث يفيض قلبي فرحاً بهذه الحياة وبمساعدة إخواني البشر على سلوك طريق التعافي وتضميد الجراح.

كان آخر شخصٍ قُتل في 5 أغسطس 2012 يُدعى ساتوانت سنغ كاليكا. واجه الرجل المسلّح بسكين زبدة، مماطلاً في الوقت ريثما تصل الشرطة، ومنقذاً أرواح الكثير من الأطفال والمسنين الذين اختبأوا في المعبد خلال إطلاق النار. تواصل معي ابن ساتوانت الأكبر، بارديب، في أكتوبر من العام 2012، ساعياً إلى فهم كيف يمكن لأي كان أن يقتل أشخاص بينما يصلون في دور عبادتهم.

تكهني المدروس حتّم علي القول إنّ وايد بايدج قاد نفسه إلى التعاسة والبؤس من خلال ممارسة الكراهية والعنف طيلة عقد من الزمن، لدرجة أن لا شيء ما خلا القتل والانتحار بدا منطقياً بالنسبة إليه. فالإنسان يعتاد ما يمارسه، مهما كانت هذه الممارسة. قد تنتج عن ذلك مباراة رائعة في الغولف، أو لاعب غيتار ماهر، أو نفور لاذع من الحب، والحنان، والعطف، وكل تلك الصفات الإنسانية النبيلة التي تجعل الحياة رائعةً. المثال الأخير هو ما يحدث بالضبط عندما نعتاد الكراهية.

عشية لقائنا أنا وبار، تحدّثنا طيلة خمس ساعات حول طبق من اليقطين التايلاندي بالكاري. اكتشفنا أنّ أوجه الشبه التي تجمعنا أكثر بكثير من الاختلافات، بالرغم من كوننا من أصقاع مختلفة من الكرة الأرضية، ومن ثقافات متباعدة ظاهرياً. أذهلنا أنّ هذه الإنسانية المشتركة كانت الشرط الأساسي لحل كافة المشاكل التي يواجهها الجنس البشري.

وخلال بضعة أيام من حادث إطلاق النار في معبد الغوردوارا، ولد مفهوم "سيرف تو يونايت" (Serve 2 Unite). فقام بارديب، وشقيقه الأصغر أمارديب، وناجون آخرون، بمضافرة قواهم من أجل إنشاء منظمة مرتكزة على "السيفا"، وهو مبدأ من مبادئ السيخ قائم على خدمة الآخرين، و"إك أونكار"، أي مفهوم "حقيقة مطلقة واحدة" تكون كل حياة جزءاً منها.

في أبريل 2013، أطلقنا أنا وبارديب حملة "سيرف تو يونايت" في المدارس، بمساعدة قيّمة من منظمة غير ربحية رائعة من ميلووكي، هي آرتز آت لاردج (Arts @ Large). ومنذ ذلك الحين، عملنا مع فتيان وفتيات من الصف الثاني وحتى السنوات الجامعية في 50 مدرسة تقريباً، حيث عزّزنا الهوية الإنسانية المشتركة من خلال تعليم مفاهيم الخدمة، والمشاركة العالمية، والفنون. وقد شكّلت فرصة تعليم فتيان وفتيات من الخلفيات كافة، والتعلّم منهم، إحدى أعظم الهبات التي تلقيتها، ناهيك عن هبة السفر مع بارديب لنروي حكاياتنا ونثبت للجميع إمكانية المحبة كما أثبتها لي آخرون قبلاً.

في أبريل 2017، سافرنا إلى غروتون، في ماساشوستس. كانت المجموعة المحلية المشتركة بين الأديان قد نظّمت، بالشراكة مع مجلس البلدة ورئيس الشرطة، عرضاً لفيلم وثائقي قصير، مصوّر ببراعة، هو "الاستيقاظ في أوك كريك" (Waking in Oak Creek) الذي أنتجته منظمة "ليس في بلدتي" (Not In Our Town) حول حادث إطلاق النار في 5 أغسطس. يروي هذا الفيلم كيف توحّد مجتمع أوك كريك كردّ فعل على الحادث. بعد العرض، نُظّمت حلقة نقاش ضمّتني أنا وبار، فضلاً عن رئيس شرطة غروتون دونالد بالما، ورئيس المجلس المشترك بين الأديان في غروتون شوا خان أرشاد. دار بيننا حديث شيّق، ومع الجمهور أيضاً، تعمّقنا فيه في طرق تمكّننا من تجاوز الخوف في تفكيرنا كي نكتشف فهماً حقيقياً لقيمة التنوع البشري وروعته.

تبيّن أنّ أحد أعضاء مجلس البلدية، جاك بتروبوليس، كان قد بدأ العمل على إجراء لإنشاء نُصبٍ حجرية تحمل عبارة "نرحّب بالجميع" عند كل تقاطعات الطرق المؤدية إلى البلدة، ضمن إطار مبادرة للترحيب بالمهاجرين الجدد والتخفيف من مشاعر القلق التي تساور أهل البلدة. فاقترحنا إضافة مشاريع خدمات يمكن للجميع المشاركة فيها؛ وآخذين العبرة من الطلاب الذين شاركوا في حملة "سيرف تو يونايت"، اقترحنا أيضاً تمكين الجميع من الاحتفال معاً كلما سنحت الفرصة ذلك. عندما أخبرَنا بتروبوليس عن شعوره بالإحباط نظراً إلى ممانعة البعض للفكرة، رجوناه أن يستمر في ممارسة الضغط بأسلوب المحبة والتفاني، وبالإيمان لدكّ أسوار الشكوك.

بعد بضعة أسابيع من عودتنا إلى ميلووكي، تلقيت هذه الرسالة الإلكترونية:

"مرحباً آرنو وبارديب،

أودّ أن أشكركما على زيارة بلدتنا الأسبوع الماضي، وأن أخبركما عما عنته هذه الزيارة بالنسبة إلي، وما أعتقد أنها عنته بالمعنى الأوسع.

بادئ ذي بدء، شكراً. لقد خصّصتما وقتاً من أجلنا، وأنا أقدّر لكما حجم الالتزام المطلوب للقيام بذلك.

ثانياً، لقد كانت لرسالتكما أصداء عالية وواضحة. إنّ تشجيعكما إياي على المواصلة قدماً رفع من معنوياتي، ودفع بالكثير منا إلى رؤية الأمور من منظور جديد لم نختبره قبلاً قط.

أخيراً، أودّ أن أعلمكما أنّ حديثكما ألهمني للمضي قدماً بطرح مادة "نرحب بالجميع" على مجلس البلدة، مع التزام متجدد بأهمية هذه المحاولة. كم كانت صحيحة ملاحظاتكما عندما قلتما لي "حتى وإن لم يتمّ إقرارها، ستكون قد رفعت السقف". والأهم من ذلك، إنّ روايتكما لأحداث أغسطس 2012 وطريقة تفاعلكما معها كانت بمثابة إنذار وخارطة طريق بالنسبة إلينا جميعاً. لقد توجهت إلى اجتماع البلدية وأنا مصمّم على حمل الشعلة التي استلمتها منكما في ذلك المساء، بغض النظر عن النتيجة التي سأُمنى بها. وسمحت لنفسي أن أستخدم حديثكما، وتاريخكما، وتشجيعكما، عندما خاطبت المجلس. فتمّت الموافقة على اقتراحي بأغلبية 27 صوتاً في قاعة ضمّت 300 مصوّت. وأعلم تمام العلم

أنّ هناك أشخاصاً حضروا وفي نيّتهم التصويت بالرفض، معتقدين أنهم يعرفون كل ما هم بحاجة إلى معرفته بشأن المبادرة، لكنهم ما لبثوا أن بدّلوا رأيهم وصوّتوا لصالح القرار. يمكنكما الاطلاع على العرض التقديمي على الموقع الإلكتروني للبلدية، بدءاً من الدقيقة 1:33:20.

بعد دقيقتين فقط على التصويت لصالح القرار، بدأنا نتلقى رسائل نصية لتقديم التبرعات.

ستُنصب هذه العلامات عند حدود البلدة عند كلّ من الطرقات الأساسية التي تصل بالزائرين إلى بلدتنا. ويشاء القدر أن يكون ذلك في موقع معبدنا الجديد بالضبط.

لقد أحدثتما فرقاً في بلدتنا. شكراً جزيلاً لكما.

جاك"

> والرفق هو أشد الأسلحة تدميراً للمعاناة التي ينبع منها العنف بأشكاله كافة. أما الحب، فهو الترياق ضد الخوف والوحدة التي تزرع بذور الكراهية.

من الأسباب الكثيرة التي دفعت إلى نشوء علاقة طيبة بيني وبين بارديب هو أنّ كلانا يحبّ التسبب بقدر بسيط من المتاعب. كان ميلي إلى التسبب بالمتاعب كاد يقتلني أنا وآخرين في الماضي، غير أنّ بار أظهر لي كيفية التسبب بالمتاعب بأفضل طريقة ممكنة: أي عبر تحدي الكراهية والعنف. بالنسبة إلى بارديب، الصفح هو انتقام. والرفق هو أشد الأسلحة تدميراً للمعاناة التي ينبع منها العنف بأشكاله كافة. أما الحب، فهو الترياق ضد الخوف والوحدة التي تزرع بذور الكراهية.

حاول وايد بايدج ترهيب مجتمع السيخ وإخضاعهم، على نحو كان ليبدو بنظره انعكاساً لمشاعره. أرادهم أن يكونوا عنيفين. أرادهم أن يكونوا مفعمين بالكراهية. أرادهم أن يتبرأوا من إيمانهم بمبدأ شاردي كالا، أو التفاؤل الدائم لا سيما في وجه المشقات.

لكنه فشل، لا بل مني بفشل ذريع.

فنتيجة محاولته البائسة لزرع بذور الخلاف والفتنة، أصبح مجتمع السيخ في ويسكنسون والعالم برمته أكثر تواصلاً بكثير مع الآخرين. وأصبح عدد أكبر من ذي قبل من الأشخاص مطلعين على مبادئ السيخ: كالإيمان، والمحبة، والعمل الجاد.

وبسبب اعتداء وايد بايدج اليائس على كلّ ما يمثّل الخير في البشر، أصبحت في بلدة غروتون اليوم نصبٌ تقول "نرحّب بالجميع" عند كل تقاطع يؤدي إلى البلدة.

هكذا نردّ على التطرف العنيف. أكان مصدره المؤمنون بتفوق العرق الأبيض، أو اليمين المتطرف، أو اليسار المتطرف، أو الأصوليون المتديّنون من أي عقيدة كانوا، نتّبع الحقائق العالمية لإنسانيتنا المشتركة التي تملي علينا البحث عن حلول مبنية على ما نؤيده- أي الرفق، والعرفان، والصفح، والعطف، والشجاعة، والحكمة، والمحبة- كي نقضي تماماً على ما نحن ضده. ولا نسمح للكراهية بأن تملي علينا شروط التعامل مع بعضنا.

بناءً على أسس التفاؤل الدائم، يشكّل المقال التالي رداً على مسيرة "توحيد اليمين" التي جرت في شارلوتسفيل، فيرجينيا، بعد 10 أيام على الذكرى الخامسة لحادث إطلاق النار في معبد السيخ في أوك كريك. إنه وصفة لإحباط تجمعات النازيين الجدد، أو قل خطة يمكن تنظيمها بكل فعالية رداً على الأحداث المتجذرة في رهاب الإسلام، أو أي شكل آخر من الخوف والجهل. كما يمكن أن تكون اللقاءات الترفيهية المشتركة بين الأديان، والمتعددة الثقافات، الهادفة إلى جمع التبرعات، طريقة رائعة لتقريب المجتمعات وإنشاء صلات الوصل للحؤول دون سيطرة عقليات التطرف العنيف مهما كان نوعها.

كيف تسحق تجمّعات النازيين الجدد[337]

نظّم لقاءً لجمع التبرعات لمنظّمة غير ربحية تُعنى ببناء السلام على الجانب المقابل من الشارع حيث ينظّمون تجمعهم، أو في مكان قريب منه.

فليتمحور لقاؤك حول موضوع ترفيهي ومسلٍّ، كالفنون، أو الموسيقى، أو الأكلات، أو الرياضة. اجمع، قدر الإمكان، أشخاصاً غاية في التنوّع، واطلب منهم القيام بأنشطة رائعة، واستعن بمنظمات مؤثّرة تهتمّ بخدمة بشر آخرين.

أشرك القطاع الخاص. فلن تتردد شركات الأعمال الواعية لدورها في المجتمع في اقتناص هذه الفرصة للمساعدة، تماماً

337 نُشر للمرة الأولى على موقع mylifeafterhate.com يوم 15 آب/أغسطس 2017

كما سيفعل المشاهير، والرياضيون، لا بل حتى السياسيين من مختلف الانتماءات. فلتكن خيمة اللقاء كبيرةً قدر الإمكان. أشرك كل من يرغب في رؤية مجموعات الكراهية تُمنى بالفشل. أما وسائل الإعلام، فيمكنها أن تساعدك في الترويج للقاء، والمطاعم أن تزوّدك بوجبات لإطعام الحاضرين. في جعبة كل شخص ما يساهم فيه.

سلّط الضوء على ما يمكن الحصول عليه بفضل التنوّع، وإلى أي مدى ستكون الحياة أكثر سعادةً عندما تزول حواجز الخوف ما بيننا.

نظّم اللقاء بالتزامن مع تجمّع الكراهية. فكل وسائل الإعلام التي سيستقطبها ذلك التجمّع ستنجذب أيضاً إلى لقاء جمع التبرعات. باختصار، سيحاصر ناشطو بناء السلام النازيين الجدد في كل ما يفعلونه. ولن يتمكّن هؤلاء من التحرك قيد أنملة من دون إطعام مشرّدين من قدامى المحاربين، أو مساعدة أفراد عصابات على قلب حياتهم رأساً على عقب.

يمكنني أن أتخيّل لافتة كرتونية بالحجم الطبيعي لدايفيد ديوك وهو يقدّم شيكاً كبيراً بقيمة 50 ألف دولار إلى منظمة "أهل من أجل السلام"، لمساعدة الأهالي على إبعاد أطفالهم عن طريق التطرف العنيف.

لكن، لكي ينجح هذا الأمر لا بدّ من تجاهل النازيين الجدد تماماً... بمعنى أن يتوافد الأشخاص إلى لقاء جمع التبرعات الرائع، متجاوزين أفراد الكو كلوس كلان تماماً وكأنهم غير موجودين. أي من دون أي اعتراف برسالة الكراهية على الإطلاق. لا لافتات. ولا تلك التظاهرات المضادة الاعتيادية. ونعم، مع الاعتذار لمناصري حركة الأنتيفا، لا هجمات ضدهم كذلك.

إذا تم التوصل إلى هذا الاتفاق بين جميع من يسعى فعلاً إلى مكافحة مناصري تفوق العرق الأبيض، أو أي مجموعة من مجموعات التطرف العنيف مهما كان نوعها، وإذا ركّزنا كل طاقاتنا على لقاء جمع التبرعات فقط، يمكننا إيقاف تجمعات الكراهية ومنعها من التقدم حرفياً.

سأقولها مجدداً: إنّ التظاهرات العنيفة ضد أولئك الأغبياء تساعدهم. فلنمتنع إذاً عن مدّهم بالمساعدة. ولنعد توجيه صوتهم لمساعدة أناس آخرين، في عرض باهر يظهر أجمل ما يميّز عائلتنا البشرية الرائعة.

سوف يكرهون ذلك تماماً.

من الأمثلة عن المنظمات التي يمكن جمع التبرعات لها:

هوم بوي إندستريز (Homeboy Industries)

أنا معجب جداً بالأب غريغ بويل. توفّر هذه المنظمة الأمل، والتدريب، والدعم، لسجناء سابقين من نساء ورجال كانوا متورطين في عصابات، وتمكّنهم من إعادة توجيه حياتهم والمساهمة في مجتمعنا المحلي. يطرق أبوابها كل سنة حوالى 10 آلاف من أعضاء العصابات السابقين، من مختلف أنحاء لوس أنجلوس، في محاولة منهم لإحداث تغيير إيجابي. فيُستقبلون بترحاب ضمن مجتمع من الألفة والمحبة المتبادلة، ويستفيدون من مجموعة متنوّعة من الخدمات التي تتراوح بين إزالة الوشوم، وصفوف في إدارة مشاعر الغضب، ودورات تعليمية للآباء. كما تُعرض فرص عمل بدوام كامل لأكثر من 200 رجل وامرأة في آن، من خلال برنامج يمتدّ لثمانية عشر شهراً، لمساعدتهم في إعادة تحديد من يكونون في العالم، وتدريبهم على العمل بحيث يتمكنون من استكمال مسيرتهم بعد مغادرة المنظمة، ليصبحوا أفراداً فاعلين في المجتمع، ويعرفوا أنهم مهمّون! https://www.homeboyindustries.org/

التواصل مع قدامى المحاربين في ويسكنسون (Veterans Outreach of Wisconsin)

تقدّم هذه المنظمة خدمات إلى قدامى المحاربين المشردين في راسين، ويسكنسون وخارجها. وقد أنشأها مؤسّسها حباً منه لابنه الذي حارب في أفغانستان وعاد وهو يعاني من اضطراب ما بعد الصدمة. تقتدي هذه المنظمة بمبدأ الروابط الإنسانية عند التعامل مع جميع الأشخاص الذين توفّر لهم الخدمات، ومنها خدمات الصحة العقلية، والعلاج من الإدمان، واستشارات العمل والمهارات الحياتية، مع تأمين الوصول إلى الرعاية الصحية، والغذاء، والمأوى. ما زال المركز المجتمعي الصغير لهذه المنظمة قيد الإنشاء، وهي تنوي توفير بيوت صغيرة لقدامى المحاربين المشردين، مع منحهم قدر ما يشاؤون من الوقت لاستعادة قواهم. زد على أنها تطبّق برنامجاً رائعاً لحيوانات الخدمة! https://vetsoutreachwi.us/

تحويل التحديات إلى فرص في بيئتنا الحالية

سمية خليفة

التحالف من أجل الحرية والكرامة

أظهرت استطلاعات كثيرة على مر السنوات أنّ رهاب الإسلام، أو كراهية الإسلام والمسلمين والخوف اللامنطقي منهم، آخذٌ في الارتفاع. ينطبق هذا الأمر تماماً بالنسبة إليّ وإلى أسرتي، لا بل قل إنه يتخذ طابعاً شخصياً بنظرنا. فقد واجه أولادي الثلاثة رهاب الإسلام بشكلٍ مباشر. بالفعل، اتهمت إحدى الممرضات ابني البكر مرةً، وهو جرّاح عيون، أنه يستخدم كلمات مشفّرة خاصة بتنظيم الدولة الإسلامية لا لشيء إلا لأنه تلفّظ بكلمة باللغة الألمانية في غرفة العمليات. أما ابني الأصغر، فمن سوء حظه أنّ اسمه أسامة. خلال دراسته في المرحلة الثانوية، عمل كموظف فني في إحدى الصيدليات، وقد حدث أن اتصلت إحدى الزبونات بالصيدلية عندما قرأت اسمه على الوصفة الطبية الخاصة بها. طالبت بطرده مهدّدةً أنها لن تعود إلى تلك الصيدلية إن لم يتمّ ذلك. أما ابنتي، فكانت تتابع صفاً في إدارة الأعمال في المرحلة الثانوية، حيث كان أستاذها يتكلم عن اللغات التي ستشهد ازدهاراً في قطاع الأعمال حول العالم في المستقبل، ومنها العربية كما ذكر. فإذا بطالب زميل لها يردّ: "ليست هذه بلغة للأعمال بل للإرهاب."

هذا غيضٌ من فيض الأخبار التي أسمعها يومياً. وهو أمرٌ لا يختبره المسلمون وحدهم، بل الأشخاص الذين يُعتقد أنهم مسلمون أيضاً. فمن أوائل الضحايا الذين سقطوا بعد هجمات 11/9 المروّعة، مصري من المسيحيين الأقباط. وفي السنوات الأخيرة، وقع أعضاء من مجتمع السيخ ضحية الهجمات، كون المهاجمين اعتقدوا خطأً أنهم مسلمون.

من النتائج التي توصّلت إليها الاستطلاعات، على غرار استطلاع غالوب (Gallup)، أنّ هذا الخوف من الإسلام والمسلمين يُعدّ أكثر انتشاراً بين الأفراد الذين لم يتواصلوا مع مسلمين في حياتهم قط.[338] لهذا السبب بالذات، قامت مجموعة من مسلمي أتلانتا بإنشاء مكتب المتحدثين الإسلاميين في أتلانتا يوم 18 أغسطس 2001. نعم، هذا صحيح. كان ذلك قبل ثلاثة أسابيع بالضبط من هجمات 11/9. لدى وقوع اعتداء 11/9، ارتأى المنظّمون التريث قليلاً قبل بدء العمل، لكن لحسن الحظ كان الناس قد سمعوا بإنشاء المنظمة، فبدأنا نتلقى اتصالات ترسل في طلب متحدّثين، مع رغبة الأميركيين في التعرف أكثر على الإسلام والمسلمين.

بدأ المكتب بمزاولة عمله كمنظمة تربوية تنظّم تدريبات وتوزّع شهادات على المتحدثين، بعد تدريبهم على كيفية التعريف بالإسلام والمسلمين، بحيث يمكن عرض المحتوى في أي سياق وأمام أي جمهور، مع الالتزام في الوقت عينه بروح التعديل الأول على الدستور، حتى ضمن المدارس الرسمية أو الوكالات الحكومية. عنى هذا الأمر أن يعتمد المتحدّثون أسلوب التعليم عوضاً عن الوعظ، وأن يشكّلوا مصدر معلومات حيوية تشرح كيف يعيش المسلم الأميركي حياته. من الأفكار التي نشدّد عليها في تدريبنا هي توفير المعلومات المتاحة بسهولة على الدوام، ولكن الأهم من ذلك التواصل مع جمهورنا. فكما قالت مايا أنجلو مرةً: "سينسى الناس ما قلته، وسينسون ما فعلته، ولكنهم أبداً لن ينسوا كيف جعلتهم يشعرون." وهذا ما نشدّد عليه باستمرار مع متحدّثينا.

واجه مكتب المتحدثين الإسلاميين في أتلانتا عدة تحديات في مطلع عمله: بعضها كان داخلياً وبعضها الآخر خارجياً. ومنها ما يلي:

338 "In U.S., Religious Prejudice Stronger Against Muslims," Gallup, January 21, 2010, http://news.gallup.com/poll/125312/religious-prejudice-stronger-against-muslims.aspx

1. المكتب منظمة افتراضية وليس من المنظمات القائمة مادياً التي اعتادها مجتمع المسلمين، مما صعّب عملية جمع التمويل اللازم لتسيير العمل.

2. عام 2001، لم يكن من منظمات عديدة بقيادة نساء في مجتمع أتلانتا المسلم.

3. إنّ المجتمع المسلم جاهز للاستثمار في المساجد والإغاثة في أوقات الكوارث، لكن من الأصعب حمل الأفراد على التبرّع لأنواع مختلفة من المنظمات، على غرار مكتبنا.

4. كنا نحمل جميعاً أصدق النوايا لهذه المنظمة لكننا لم نملك أدنى فكرة عن الخطوات المستقبلية. لم نعرف البتة أين سيكون المكتب وما سيعنيه بعد 10 أو 15 سنة.

مع تدريب المرشّحين لمنصب المتحدّثين، وتوزيع الشهادات عليهم، أوضحنا أنّ هدف عملنا ليس موجّهاً نحو الدعوة أو التبشير. هدفنا هو التواصل مع جماهيرنا، والإجابة عن أسئلتهم، ومدّ جسور من التفاهم.

بالإضافة إلى العروض التقديمية الجارية اليوم، ضمّت مبادرات المكتب على مرّ السنوات ما يلي:

1. 100 مسلم مؤثّر من جورجيا (2014)
2. مسابقة كتابة المقالات حول إحداث فرق (2015)
3. 40 مسلماً من جورجيا دون الأربعين (2016)
4. حفل توزيع جوائز على صانعي التغيير (2017)
5. إفطار رمضاني من تنظيم عمدة أتلانتا (2017)
6. برنامج الغداء الصيفي في مقاطعة فاييت (منذ 2006)
7. مسيرة سنوية ضد الجوع من تنظيم بنك الأغذية في أتلانتا (منذ 2007)
8. صلاة الجمعة المستمر تنظيمها حتى اليوم في مطار هارتسفيلد- جاكسون الدولي (منذ 2007)
9. شبكة المتحدثين المشتركة بين الأديان (2012)
10. حديث صريح (2015)

سأجمع في ما يلي المبادرات ضمن الفئات التالية: 1. توفير خطابات بديلة حول المسلمين. 2. تمكين الشباب المسلم. 3. التقدير. 4. رد الجميل إلى المجتمع المحلي. 5. دعم المجتمع المسلم. وسأقدّم وصفاً وجيزاً عن هذه المبادرات مع لمحة عن بعض المعلومات الأساسية، والتحديات، والفرص التي صادفناها.

توفير خطابات بديلة حول المسلمين

100 مسلم مؤثّر من جورجيا هي مبادرة لتمكين مجتمع المسلمين في جورجيا من تحديد روايته الخاصة للأحداث. ففي جعبة المجتمع المحلي قصص نجاح ممتازة وغير مسموعة من أشخاص في مجال العلوم، والطب، والهندسة، وتكنولوجيا المعلومات، والأعمال الخيرية، والفنون، والإعلام، وغيرها كثير. لذا، أراد مكتب المتحدثين الإسلاميين في أتلانتا تسليط الضوء على هؤلاء الأفراد وأصواتهم. حملت هذه المبادرة شعار "استكمال الإرث وتغيير الخطاب."

بالفعل، اتهمت إحدى الممرضات ابني البكر مرةً، وهو جرّاح عيون، أنه يستخدم كلمات مشفّرة خاصة بتنظيم الدولة الإسلامية لا لشيء إلا لأنه تلفّظ بكلمة باللغة الألمانية في غرفة العمليات. أما ابني الأصغر، فمن سوء حظه أنّ اسمه أسامة. خلال دراسته في المرحلة الثانوية، عمل كموظف فني في إحدى الصيدليات، وقد حدث أن اتصلت إحدى الزبونات بالصيدلية عندما قرأت اسمه على الوصفة الطبية الخاصة بها. طالبت بطرده مهدّدةً أنها لن تعود إلى تلك الصيدلية إن لم يتمّ ذلك

لقيت الفكرة في بادئ الأمر ممانعة كبيرة، مثل: 1. هل نرغب حقاً في تسليط الضوء علينا في مثل هذه الأجواء الحالية؟ 2. ماذا عن الأشخاص الذين لم يقع عليهم الاختيار؟ كيف سيشعرون؟ 3. كيف نضمن تمثيل مجتمع مسلمي جورجيا بكافة أطيافه المتنوّعة؟

تمت معالجة جميع تلك المخاوف في طريقة اختيار المنظمة للترشيحات والحكّام الذين عاد إليهم اختيار المرشّحين النهائيين. فقد ضافرنا الجهود للتواصل مع مختلف المجتمعات المحلية المسلمة. وفتحنا باب الترشيحات عبر الإنترنت، وكان الحكّام قادةً من خارج المجتمع المسلم اختاروا المرشّحين النهائيين بناءً على إنجازاتهم ومساهماتهم في عملهم الميداني، ومجتمعهم، والعالم. استخدم هؤلاء الحكّام إطاراً مخصصاً لتقييم تأثير المرشّح في مجال اختصاصه ومشاركته في مجتمعه الأوسع.

339 "100 Influential Georgia American Muslims; commend," Georgia General Assembly, HR 575 (2015-2016 Regular Session), http://www.legis.ga.gov/Legislation/en-US/display/20152016/HR/575.

أخيراً، تمّ تنظيم حفل عشاء وتوزيع جوائز التقدير على المرشّحين الذين بلغوا المرحلة النهائية. عرّف قادة جورجيا بالمكرَّمين، كلّ في مجال اختصاصه. فضلاً عن ذلك، أصدرنا كتاباً عرّف بالمرشّحين النهائيين الخمسين، مع صور عنهم ونبذة عن سيرهم. ثم أُرسل هذا الكتاب إلى المشرّعين، وحاكم ولاية جورجيا، والمرشّحين للرئاسة الأميركية في تلك الآونة. كما كُرّم مسلمو جورجيا المؤثّرون في برلمان ولاية جورجيا من خلال قرار صادر عن مجلس نواب جورجيا.[339] كذلك، أنتجنا فيديو عن عملية الاختيار وأهمية حملة 100 مسلم مؤثّر من جورجيا.[340]

استُخدم الفيديو عن المكرّمين للترويج للحفلة.[341] كما نُظّمت لقاءات تشبيك على الفطور والغداء على مدار السنة للحفاظ على حماس المكرّمين ومشاركتهم.

اتّبعت حملة 40 مسلماً من جورجيا دون الأربعين النهج نفسه كالمبادرة الآنفة الذكر. في العام الافتتاحي للحملة، بلغ عدد الواصلين إلى التصفيات النهائية 25، تمّ أيضاً تكريمهم في حفل وإصدار كتاب خاص بهم. كما اعترف بهم برلمان ولاية جورجيا بقرار،[342] وحياهم الحاكم ملتقطاً صورة معهم. فضلاً عن ذلك، عُرض شريط فيديو عن المكرّمين خلال الحفلة وفي وسائل التواصل الاجتماعي.[343] أنتجنا أيضاً فيديو لتسليط الضوء على تأثير مسلمي جورجيا الأربعين ما دون الأربعين، تمّ عرضه خلال الحفل.[344]

تمكين الشباب المسلم

استهدفت مسابقة كتابة مقالات حول إحداث فرق طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية في مدارس جورجيا، من أي عقيدة كانوا. من أهداف هذه المسابقة (1) تعريف الطلاب على مساهمة المسلمين في ولاية جورجيا، (2) وتشجيعهم على التفكير في أهدافهم الخاصة وكيفية تحقيقها. طُلب من الطلاب اختيار أحد مسلمي جورجيا المؤثرين المئة والكتابة عن سبب اختيارهم لهذا الشخص؛ وكيف يمكن أن يكونوا مثالاً يُحتذى به؛ وما هي أهدافهم في الحياة؛ وكيف ينوون تحقيقها. بلغت قيمة الجوائز 500 دولار للفائز بالمركز الأول، و350 دولار للمركز الثاني، و250 دولار للثالث. كان على الترشيحات أن تحمل توقيع أحد الأبوين أو المعلّمين. وقد تمّ الإعلان عن الفائزين في حفل لتوزيع الجوائز، كان فيه المتحدث الأبرز هو د. مصطفى السيد، أحد أبرز الشخصيات العالمية في مجال تقنية النانو، وواحد من المسلمين المئة المؤثرين في جورجيا.

يركّز حديث صريح على الشبان في سن المرحلة الدراسية المتوسطة والثانوية، كونه يتعلق بحفاظهم على هويتهم الإسلامية. فلا يخفى على أحد أنّ العديد من الشباب المسلمين يواجهون، في بيئتهم الحالية، أفكاراً نمطية عنصرية وتعليقات مهينة بشكل منتظم. يحدث لهم ذلك من قبل أقرانهم في المدرسة، وكذلك خارج المدرسة، كما يواجهونه من خلال ما يرونه في وسائل الإعلام. نتيجةً لذلك، يبدأ الشباب المسلمون بالتشكيك في هويتهم، مما يمكن أن يؤدي إلى مشاكل على صعيد الثقة بالنفس. وبالتالي، يؤدي بهم تدني ثقتهم بأنفسهم إلى مجموعة متنوّعة من المشاكل الشخصية الأخرى، مما ينتج في نهاية الأمر مستوى معيشة متدنياً.

ينقسم البرنامج إلى ورشتي عمل، إحداهما موجّهة نحو الشباب والأخرى تستهدف الأهل.

في ورشة العمل التي تستهدف الشباب، يجتمع هؤلاء في مكان حيث يمكنهم تبادل التجارب بشأن ما يواجهونه في البيئة الحالية. ومن مجالات التركيز في هذه الورشة ما يلي:

- التحدّث عن الثقة بالنفس، لفهم ما هي وكيف تتأثر بما يجري. في بداية ورشة العمل، يخضع الجمهور لاستطلاع لتقييم ثقته بنفسه. يساعد هذا الاستطلاع مكتب المتحدثين الإسلاميين في أتلانتا على فهم معدّل ثقة الشباب المسلم بنفسه في مختلف المجتمعات المحلية.
- اكتساب الأصدقاء والتحوّل إلى مؤثّرين. جدير بالذكر أنّ هذه المفاهيم مستقاة من كتاب دايل كارنيجي بعنوان "كيف تفوز بالأصدقاء وتؤثّر على الأشخاص". تراجع ورشة العمل المفاهيم الستة التي يمكن للشباب القيام بها بهدف اكتساب الأصدقاء وترك تأثير إيجابي.
- مناقشة كيف يعلّم الدين الإسلامي المسلمين التسامح تجاه الأديان والخلفيات الأخرى، مع ذكر أمثلة محددة. يثبت هذا الأمر للشباب أنّ الأفكار النمطية والتعليقات السلبية غالباً ما تكون مفاهيم مغلوطة.

340 ISB Atlanta—100 Influential Atlanta Muslims, September 30, 2014, https://www.youtube.com/watch?v=dRDUf9YXgrA&t=10s

341 Islamic Speakers Bureau of Atlanta, September 9, 2014, https://www.facebook.com/ISBAtlanta/videos/925484474147675/

342 “Commending the 40 Under Forty Georgia Muslims,” Georgia Senate, SR 345 (2015-16 Regular Session), http://www.legis.ga.gov/Legislation/20172018/167232.pdf

343 “40 Under Forty Georgia Muslims,” IBN 40 Under 40 Gala, August 5, 2016, https://www.youtube.com/watch?v=j44r2btNhkc

344 “40 Under Forty Georgia Muslims,” IBN 40 Under 40 Gala, August 5, 2016, https://www.youtube.com/watch?v=j44r2btNhkc

- سيناريوهات أداء الأدوار. في هذا القسم، يُقسم الجمهور على مجموعات مختلفة يُسند إلى كلّ منها دور تؤديه (موضوع يتعلق بالحفاظ على هويتك). أما الهدف، فهو ملاحظة كيفية استجابة الشباب لتلك السيناريوهات، وتدريبهم على الطريقة المثلى للتعامل مع الوضع بناءً على ما تمّت مناقشته في ورشة العمل.

في النهاية، سيغادر الشباب ورشة العمل متسلّحين بمجموعة من الأدوات حول كيفية الحفاظ على هويتهم، وكيف يصبحون مؤثّرين إيجابيين في حلقاتهم الاجتماعية.

أما ورشة العمل الثانية المخصصة للأهل، فهدفها مناقشة ما جرى مع الشباب من دون إسناد الكلام إلى مشاركين بعينهم، ومراجعة نتائج الاستطلاع. لماذا نتعامل مع الأهل؟ لسبب بسيط: مهما بلغت أهمية ورش العمل التي ننظمها، فإنّ الشباب بحاجة إلى هيكل داعم يساعدهم على تطبيق هذه المفاهيم. والأهل هم هذا الهيكل الداعم. في نهاية الامر، يقع على الأهل أن يرسّخوا في نفوس أولادهم ما تعلّموه، ويترصّدوا أي مشكلة تتعلق بتدني ثقتهم بأنفسهم.

في نهاية ورشة العمل، سيكون الأهل أكثر وعياً لما يواجهه الشباب المسلم، ويشعرون بثقة أكبر بالمقاربات التي تمّ إطلاعهم عليها. تُعتبر ورشة العمل هذه تعاونية، حيث يتبادل الأهل الحديث مع بعضهم بشأن قضايا الهوية-إنها مقاربة جماعية حول التعامل مع الأبناء.

التقدير

الإفطار الرمضاني من تنظيم عمدة أتلانتا هو أحد المناسبات القليلة التي تُنظّم في البلاد ضمن هذا الإطار. لما كانت منظّمتنا فخورة بمدينتنا، وبما أننا نعرف أنّ المدينة تتقبّل تنوّعها برحابة صدر، فقد تواصلنا مع مكتب العمدة للشؤون الثقافية والترحيب في أتلانتا لإطلاق تقليد جديد يستضيف العمدة بموجبه إفطاراً رمضانياً. من المدعوين إلى الإفطار الافتتاحي شخصيات بارزة من مختلف المجتمعات المسلمة، وشركاء وأعضاء ومانحون لمنظمتنا، فضلاً عن موظفين مسلمين في بلدية أتلانتا، وأعضاء في المجلس التنفيذي للعمدة. كانت تجربة المنظّمين، والعمدة، وجميع الحاضرين إيجابية جداً. ومن المتوقع أن يستمرّ مكتبنا في تنفيذ هذه المبادرة بالشراكة مع مكتب العمدة.

حفل توزيع جوائز على صانعي التغيير. كرّم مكتب المتحدثين الإسلاميين في أتلانتا أربعة أشخاص قدّموا مساهمةً عظيمةً للمدينة، والمجتمعات المحلية، والبلد، والعالم. وكان المكرّمون لعام 2017 هم سالي ك. ياتس، وكيلة النائب العام الأميركي السابق، والأسقف روبرت رايت من أبرشية أتلانتا الأسقفية، والسيد آرثر بلانك، المؤسس الشريك لشركة "ذا هوم ديبو" وصاحب شركتي أتلانتا فالكونز وأتلانتا يونايتد إف. سي.، ود. مختار بزارعة وهو أكاديمي ورجل أعمال بارز. جدير بالذكر أنّ المكتب دأب تاريخياً على استضافة حفل توزيع جوائز على أشخاص ساهموا في مدّ الجسور، لكن أصبح من الواضح جداً عام 2017 أنّ الأشخاص المكرّمين لم يكتفوا بمدّ الجسور. اليوم، يُعتبر حفل توزيع الجوائز على صانعي التغيير الذي تشرف عليه منظّمتنا أحد أكثر مناسبات أتلانتا تنوّعاً. فهو يحشد قادةً من الخلفيات كافة في مكانٍ واحد للتلاقي والتفاعل.

لما كانت منظّمتنا فخورة بمدينتنا، وبما أننا نعرف أنّ المدينة تتقبّل تنوّعها برحابة صدر، فقد تواصلنا مع مكتب العمدة للشؤون الثقافية والترحيب في أتلانتا لإطلاق تقليد جديد يستضيف العمدة بموجبه إفطاراً رمضانياً.

رد الجميل إلى المجتمع المحلي

انطلق برنامج الغداء الصيفي- مقاطعة فاييت قبل 10 سنوات كمبادرة مشتركة بين الأديان، تقدّم عدة طوائف دينية بموجبها وجبات غداء صيفية إلى الطلاب المحرومين في مقاطعة فاييت. ينتظر هؤلاء الطلاب تسلّم هذه الوجبات. وقد أخبر بعضهم متطوّعينا: "هذه هي الوجبة الوحيدة التي سنأكلها اليوم." تجمع كل منظمةٍ مشاركةٍ التمويل المطلوب، ثم تحشد المتطوعين وتدربهم على شراء الطعام، وتجميع وجبات الغداء، وتسليمها. إنه جهد جامع بين الأديان حقاً، حيث يجتمع مسلمون ومسيحيون ويهود وآخرون للمساعدة في إطعام هؤلاء الطلاب.

مسيرة مكافحة الجوع من تنظيم بنك الأغذية في أتلانتا. على امتداد السنوات السبع الماضية، شارك مكتب المتحدثين الإسلاميين في أتلانتا في مسيرة مكافحة الجوع، وهي إحدى أكبر تظاهرات المشي/العدو في أتلانتا. فيشارك الأشخاص لجمع التبرعات من أجل بنك الأغذية في أتلانتا بهدف مكافحة الجوع في المدينة. على مر السنوات، جمع مكتبنا منظمات إسلامية كثيرة للمشاركة تحت جناحه. خلال السنتين الأخيرتين، سُجّلت حوالى 600 مشاركة في المجتمع المسلم، حصدت 25 ألف دولار تقريباً لبنك الأغذية. وبالإضافة إلى الأموال التي تمّ جمعها، تجمع المنظمات مواد غذائية لا تفسد في مقرّها لصالح بنك الأغذية. فيتمّ تجميع مئات الكيلوغرامات من الأغذية كل سنة. وتشرف منظّمتنا على تنسيق هذا الجهد.

دعم المجتمع المسلم

صلاة الجمعة في مطار هارتسفيلد- جاكسون الدولي هي إحدى الخدمات المماثلة القليلة في البلاد. فلا يخفى على أحد أنّ المطار يوظّف الكثير من المسلمين الذين لا يملكون ما يكفي من الوقت لأداة صلاة الجماعة يوم الجمعة، نظراً لمحدودية فترات الاستراحة والمسافة الطويلة التي عليهم أن يقطعوها للوصول إلى مسجد. فضلاً عن ذلك، يستقبل هذا المطار الذي يُعدّ الأكثر اكتظاظاً في العالم ما لا يُعدّ ولا يُحصى من المسافرين المسلمين. فلمس مكتبنا في الأمر فرصةً، وتعاون مع قيادة المصلى المشترك بين الأديان للبدء بتنسيق صلاة الجمعة. واختار الخطباء الذين سيؤمون المصلين ويلقون خطبة الجمعة. وقد تلقينا الكثير من الملاحظات الإيجابية من المسافرين والموظفين الذين امتدحوا أهمية هذه الخدمة بالنسبة إليهم.

تقدّم شبكة المتحدثين المشتركة بين الأديان إلى الجمهور تمثيلاً لما يصل إلى ست عقائد دينية- هي اليهودية، والمسيحية، والإسلام، والبوذية، والهندوسية، وطائفة السيخ. فنسج مكتبنا شراكةً مع تحالف الأديان لمترو أتلانتا بهدف إطلاق شبكة المتحدثين المشتركة بين الأديان عام 2012. يتمّ تدريب جميع المتحدثين على كيفية التعريف بدياناتهم ضمن إطار التعديل الأول، مع اعتماد مبدأ التعليم عوضاً عن الوعظ.

اقتراحات للناشطين:

1. يمكن لأي كان أن يحقق ما يرغب في تحقيقه. هذا أساس مهم لا بد من التركيز عليه. فيمكن للمرء أن يحقّق ما يعقد العزم عليه.
2. اعمل بشغف. هذا العمل مضنٍ. فإذا لم تكن تملك الشغف اللازم، قد يمسي شاقاً بالنسبة إليك.
3. أنجز الأعمال الشاقة! نعم، لن يخلو الأمر من الأعمال الشاقة والقرارات الصعبة. فلتكن أهدافك إذاً محددة، وقابلة للقياس، ودقيقة، وواقعية، ومحددة المدة الزمنية.
4. انسج علاقات مع الأفراد والمنظمات الذين تتوافق مهامهم وأهدافهم مع مهمتك وهدفك، وأولئك الذين قد يؤثّرون إيجاباً على مسيرة عملك. قد لا تحبّذ المجموعات التي تدعمك هذه العلاقات كافة، فتحلّ بالحكمة في هذا الشأن. تفاهم مع المنظمات الشريكة بشأن ما تسعى إليه وما هي حدودك. تقبّل الاختلاف في بعض الأحيان حول مواضيع أو مجالات معيّنة.
5. انسج علاقات تعود بالربح على الجميع. كن مستعداً لتقديم معروف إلى الآخرين. وفي بعض الأحيان، يقتصر الأمر على تقديم خدمة وعدم تلقي أي شيء في المقابل.
6. أحط نفسك بمجموعة من الأشخاص لدعمك وتزويدك بالنصائح. قد يكون هؤلاء الأشخاص من المرشدين والموجّهين، أو قادة مجتمعيين من مجتمعات محلية مختلفة يمكن أن يؤدوا دور مستشارين خاصين. قد يشكّل هذا الأمر إضافةً إلى مجلس الإدارة الخاص بمنظمتك.

اقتراحات لصناع السياسات:

من الأسس المهمة هنا، ضرورة توافر مبدأ الشرعية ونسج علاقات تعود بالربح على الجميع

1. **تعرّف على المجتمعات المحلية التي تمثّلها- خصص الوقت اللازم لذلك.**
   - شارك في لقاءات مجتمعية محلية
   - نظّم لقاءات شخصية مع القادة
2. **نظّم جلسات توعوية بشأن ما تقوم به منظمتك.** فالإنسان يخشى ما يجهله! كلما اطلعت المجتمعات المحلية على مؤسستك، ومهمتها، وطريقة عملك، كان ذلك أفضل بالنسبة إليك وإلى المجتمعات نفسها. تلك طريقة لبناء الثقة أيضاً.
3. **استقطب أعضاء من مجتمعات متنوّعة لتكوين فهم أفضل وأعمق وضم أصوات متنوّعة إلى جناح منظّمتك.**
4. **ابن الثقة.**
   - يستغرق هذا الأمر وقتاً.
   - نفّذ ما وعدت به.
   - حافظ على اهتمام المجتمعات المحلية ومشاركتهم.
   - انشر رسائل دورية.
5. **تواصل مع مجتمعات متنوّعة وقادة مختلفين.**

- لا تتردّد بإغناء تجربتك وتجربة المجتمعات المحلية من خلال تعريف المجتمعات المتنوّعة إلى بعضها، مع أخذك أنت وفريقك المبادرة.
- أبرز نقاط قوة مختلف المجتمعات لتحقيق الصالح العام للمجتمع الأوسع.

6. أظهر أنك تقدّر التنوع.

- ماذا تقول صفحتك في وسائل التواصل الاجتماعي للعالم عنك وعن فريقك- هل هناك رسالة دامجة؟
- هل يُظهر موقعك الإلكتروني التزامك بالتنوع، وأي شكل من أشكال التنوع تتمتع به منظمتك؟
- من هم الناطقون باسمك في مختلف المجتمعات المحلية؟
- هل تعتمد التنوع شكلياً فقط أم هل هو تنوّع وظيفي هادف؟

هدفنا كمنظمة هو العمل يومياً لترك تأثير إيجابي من خلال التوعية، والإشراك، والتعاون، ونسج العلاقات الحقيقية الدائمة. عندما أنشأت مكتب المتحدثين الإسلاميين في أتلانتا، كنت أعرف أنّ هدفنا سيكون التوعية، لكنني لم أتصور يوماً أننا سنشارك في مبادرات متنوّعة بهذا القدر على مر السنوات، وأننا سنخلّف تأثيراً أكبر مما تخيلته في بادئ الأمر. لقد تغيّرت حياتي الشخصية نتيجةً لذلك أيضاً. فقد حظيت بفرص كثيرة، كدعوتي إلى البيت الأبيض، والعمل مع مجلس الكنائس العالمي في جنيف حول حوار مسيحي مسلم بين قادة العالم من كلتا الديانتين، والمشاركة في ندوة مركز كارتر حول رهاب الإسلام، وتلقي العديد من الجوائز والتقديرات كجائزة فينيكس مثلاً، وهي أرفع وسام يُعطيه عمدة وبلدية أتلانتا إلى مدني. لقد أسبغت علي هذه التجربة، وفرصة تقديم أفضل ما لدي، شعوراً كبيراً بالتواضع والهيبة.

كيف يغيّر المسلمون التصورات الخاطئة بشأنهم

يوسف شهاب، ناشط في مجال حقوق الإنسان

بروكسل، بلجيكا

في وقت يحاط فيه الإسلام بدعاية سلبية ويُعتبر كل ما يمتّ بصلة إلى الدين مصدراً للشبهات، أنا مقتنع بأنّ المسلمين يدينون لأنفسهم بالتحلي بروح المبادرة والتصرف كعملاء تغيير في البيئة التي يعيشون فيها. فإذا لم يقدم المسلمون على التحرّك بأنفسهم والتحدث باسمهم، سيفعل آخرون ذلك، ولأسباب متنوّعة.

في هذه المقالة، سأتوسّع في رؤيتي حول مسألة "رفع المسلمين صوتهم عالياً" في زمنٍ كرّست فيه وسائل التواصل الاجتماعي نفسها كمكان يمكن لأي شيء أن يحدث فيه. وأنا لا أتكلّم هنا كخبير إعلامي، بل كناشط في مجال حقوق الإنسان من جهة وكعامل مجتمعي فاعل ينشط في منظمات متنوّعة في بلجيكا وأوروبا من جهة أخرى.

فإذا لم يقدم المسلمون على التحرّك بأنفسهم والتحدث باسمهم، سيفعل آخرون ذلك، ولأسباب متنوّعة.

ملاحظتي الأولى هي أنّ الأغلبية الساحقة من المفكرين في فرنسا وبلجيكا يتجنّبون مناقشة موضوع تأثير الإعلام على ارتفاع مستوى رهاب الإسلام. وليس هذا فحسب، بل بات من المقبول أيضاً إنكار هذا النوع من العنصرية، بحجة حق المرء في انتقاد الأديان. مع ذلك، لدي قناعة بأنه إذا لم يتدارك المتحكّمون بالإعلام الأمر سريعاً، وإذا لم يعوا الضرر الذي يُحتمل أن تخلّفه تغطيتهم الإعلامية على السكان، سنجازف بمواجهة أوضاع كارثية أخرى في المستقبل القريب. وفي الواقع، سبق وشهدنا على حالات اعتداء كثيرة في بلجيكا وفرنسا ضد مسلمين فتيان[345]، وراشدين[346]، ونساء[347] ، فضلاً عن تخريب دور العبادة[348].

نظراً إلى التصريحات العنيفة التي حفلت بها الصحافة بعد هجمات باريس وبروكسل، دُهشت فعلاً، كما فوجئت وسررت أيضاً بردود فعل عدد كبير من المواطنين، ومنهم مسلمون، ممن احتشدوا لمناهضة التظاهرات الكارهة للأجانب التي سُجّلت بعد يومٍ على الهجمات المأساوية في كلتا العاصمتين. ففي بلجيكا، احتشد أكثر من 15 ألف شخص رفضاً لرهاب الإسلام، مطلقين على مبادرتهم اسم "مسيرة ضد الترهيب والكراهية".[349]

ثانياً، أود تقييم الرسائل المنقولة منذ عشرينيات القرن الماضي. فمنذ تلك الآونة، يشكّل الإسلام والمسلمون هدفاً لحملات تحقيرية للغاية. بالفعل، لطالما تمّ تصوير المسلمين في مختلف وسائل الإعلام كأشخاص عنيفين وكارهين للنساء. في هذا الإطار، لعلّ الدراسة التي أجراها د. جاك شاهين من جامعة جنوب إلينوي لا تتطلّب استزادة. فقد أفاد د. شاهين، بعد مشاهدته ألف فيلم[350]، أنّ "العرب يُصوَّرون دوماً كهجميين متعطشين للدماء، وإرهابيين يريدون مهاجمة الغربيين الأخيار."[351]

345 Natacha Mann, “Islamophobie: un jeune musulman agressé à cause de sa religion,” rtbf.be, March 27, 2016, https://www.rtbf.be/info/regions/detail_islamophobie-un-jeune-musulman-agresse-a-cause-de-sa-religion?id=9253691

346 “Rouen: un musulman septuagénaire agressé,” Le Figaro, July 7, 2016, http://www.lefigaro.fr/flash-actu/2016/07/31/97001-20160731FILWWW00089-rouen-un-musulman-septuagenaire-agresse.php

347 “Insultée et violentée: Soumaya victime de la première agression anti-musulman après les attentats,” DH.be, March 31, 2016, http://www.dhnet.be/actu/belgique/insultee-et-violentee-soumaya-victime-de-la-premiere-agression-anti-musulman-apres-les-attentats-56fc2b5b35702a22d5e5c810

348 “En 48 heures, les attaques contre les mosquées se sont multipliées,” Le Figaro, August 1, 2016, http://www.lefigaro.fr/actualite-france/2015/01/08/01016-20150108ARTFIG00116-serie-d-actes-anti-musulmans-au-lendemain-de-l-attentat-contre-charlie-hebdo.php

349 “Plus de 10.000 personnes ont marché contre la haine à Bruxelles, selon les organisateurs,” La Libre, April 18, 2016, http://www.lalibre.be/actu/belgique/plus-de-10-000-personnes-ont-marche-contre-la-haine-a-bruxelles-selon-les-organisateurs-57111cbd35702a22d66986f5

350 Jack Shaheen, Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People (New York: Olive Branch Press, 2001).

351 Jhally, Sut, Jeremy Earp, Andrew Killoy, Mary Patierno, Simon Shaheen, and Jack G. Shaheen. Reel bad Arabs: how Hollywood vilifies a people (2006; Northampton, MA: Media Education Foundation), mp4, http://www.documentarytube.com/videos/reel-bad-arabs-how-hollywood-vilifies-a-people

لا ريب في أنّ هذه الأنواع من الرسائل خلّفت تأثيراً سلبياً للغاية على الصورة التي كوّنها الأميركيون، والغرب بشكلٍ عام، عن العرب طيلة عقود. ولعل المسلمين الذين كانوا مراهقين في الثمانينيات يتذكّرون شعورهم بالعار بعد مشاهدتهم لتلك الأفلام. من هنا، أعاق هذا الشعور بالخيبة والإحباط عملية دمج البعض منهم.

شكّلت النزاعات الدائرة عبر العالم إحدى الطرق التي تعاطى عبرها الإعلام مع مسألة المسلمين، ولا ريب في أنّ هذا الأمر غذى مشاعر الحقد تجاههم. وقد وصف طوماس دلتومب الوضع جيداً، مذكراً إيانا في كتابه "الإسلام المتخيّل"[352] كيف استغل الإعلام الفرنسي النزاعات عبر العالم لعرض المسلمين بطريقة سلبية للغاية. فأشار إلى أنّ الثورة الإيرانية عام 1978، واستيلاء الخميني على السلطة في 1979، وقضية سلمان رشدي عام 1989، والحرب الأهلية في الجزائر التي دامت بين 1992 و1997 وحصدت آلاف الأرواح، ناهيك عن النقاش حول مسألة الحجاب في المدارس، والضربة القاصمة التي شكّلها اعتداء 11 سبتمبر 2001، شكّلت المواد الأساسية المستخدمة في كافة المواضيع التي غطاها الإعلام. ومضى واصفاً كيف أنّ الإعلام عمد، منذ تلك الآونة، إلى استخدام المخيّلة لتحريض السكّان الفرنسيين ضد السكان المعروفين بأنهم مسلمون. بالفعل، قبل ذلك، لم يكن أحد يتكلّم عن المسلمين، بل عن المهاجرين. أما اليوم، فلم يعد أحد يُصدم لسماعه على قناة رسمية، في أوقات ذروة المشاهدة، أنّ المسلمين أشخاص خطرون وأنّ العرب متعطشون للدماء، وكارهون للنساء و/أو عنيفون.

كما ذكرت أعلاه، خلّفت العواقب الحقيقية والملموسة تأثيراً على سلامة المواطنين المسلمين الجسدية. وليس هذا فحسب. فقد أظهرت دراسات مختلفة أجريت في بلجيكا أنّ التمييز ضد الرجال ذوي الأصول العربية على أشدّه، وأنه يضرب ضربته في مناطق مختلفة. أدى هذا الأمر إلى تمييز فاضح مستمر منذ عقود على مستوى التعليم، والتوظيف، وتأجير المساكن، والعلاقة مع نظام العدالة.

في ما يتعلق بإحصاءات البطالة، تبيّن أنّ معدل بطالة الشباب المقيمين في بلدية مولنبيك (بروكسل) يتراوح بين 30% و50%، في حين أنّ المعدل الوطني هو 10% لا أكثر. ولا تنكر السلطات البلجيكية هذا الواقع. فقد أعلن الموقع الإلكتروني لمكتب العمل: "أظهرت دراسة أجريت بطلب من منظمة العمل الدولية أنّ المرشّحين البلجيكيي الأصل وأولئك ذوي الأصول المغربية يلقون معاملة مختلفة في مرحلة التوظيف."[353] وتأكّد هذا الوضع غير مرة من خلال دراسات عدة أجرتها مؤسسة الملك بودوان بالشراكة مع المركز الاتحادي المشترك لتكافؤ الفرص[354] وجامعات مثل جامعة بروكسل الحرة وشريكتها الناطقة بالهولندية (VUB)[355].

أما بالنسبة إلى مسألة نظام العدالة، فوفقاً لأندريا ريا، أستاذ علم الاجتماع في جامعة بروكسل الحرة ومدير مجموعة الدراسات حول الإثنية والعنصرية والهجرة والإقصاء، تشكّل طريقة تعامل نظام العدالة مع القضايا المتعلقة بهذه الشريحة من السكان مثالاً جيداً عن النظرة إلى المسلمين والعرب بشكلٍ أوسع. كما أظهرت عدة دراسات أنّ الشباب ذوي الأصول المغربية يلقون معاملة مختلفة، وأنّ معدّل احتجازهم في مرحلة ما قبل المحاكمة أعلى، وعقوباتهم أشد بالمقارنة مع أقرانهم المولودين في البلد الذين يرتكبون النوع نفسه من الجرائم. فضلاً عن ذلك، يميل القضاة إلى منح العفو وتطبيق عقوبات بديلة بدرجة أقل غالباً في الحالات التي تنطوي على مواطنين من أصول عربية.

إذاً، ما هو تقييمي؟

إنّ الإعلام مسؤول عن هذا الوضع. فبهدف بيع الصحف والمحافظة على معدلات انتشار عالية، عمد الإعلام إلى تغطية الأخبار المثيرة، وفتح بابه أمام خبراء وسياسيين استغلوا تلك الأخبار للدعاية لأنفسهم وكسب أصوات الناخبين الذين نجحوا في إثارة مخاوفهم.

يتشارك السياسيون بدورهم قسماً كبيراً من المسؤولية، لكنهم يرفضون الاعتراف بمسؤولياتهم ومواطن فشلهم السابق في مجال سياسات التعليم، والتوظيف، وإدارة المساحات العامة، وغير ذلك؛ لا بل إنّ الإجابة الوحيدة التي يقدّمونها إلينا اليوم هي الاكتفاء بتطبيق القانون والنظام، وإلحاق المزيد من الوصم بشريحة كبيرة من الأقليات السكانية.

352 Thomas Deltombe, L'islam imaginaire [Imaginary Islam] « La construction médiatique de l'islamophobie en France 1975-2005 » [The Media Construct of Islamophobia in France 1975-2005], La découverte, 2005.

353 Discrimination en raison de l'origine ethnique," SPF Belgium, accessed January 30, 2018, http://www.emploi.belgique.be/defaultTab.aspx?id=24200F

354 "For equality, against discrimination," UNIA, 2018 تمت زيارة الموقع في 2 شباط/فبراير, https://www.unia.be/en

355 Discriminations des étrangers et des personnes d'origine étrangère sur le marché du travail de la Région de Bruxelles-Capitale : Recherche dans le cadre du Pacte social pour l'emploi des Bruxellois, Université Libre de Bruxelles, January 2005, https://dipot.ulb.ac.be/dspace/bitstream/2013/17021/1/dp-0133.pdf

أما الملاحظة الثالثة، فهي فكرة أضعها بتصرف المجتمع المسلم ومكوّناته المختلفة (كالجمعيات، والمفكّرين، والأئمة إلخ.) الذين يجدر بهم أداء دور أيضاً من خلال اعتلاء المنصات الإعلامية والتعبير عن رأيهم. أدرك أنّ هذا ليس بالأمر السهل. فقد تعرّض هذا المجتمع للإهانة، والتمييز، والانتقاص من قيمته، والوصم، والتحقير، والأذى بشكلٍ جماعي، ولكن، بالرغم من ذلك، إنّ دوره لأساسي.

> من هذا المنطلق، أعتقد أنه يجدر بنا العمل مع الأجيال الأصغر سناً، ومنحها الأدوات اللازمة لمساعدتها على التعبير عن مشاعرها وسرد قصصها، وتجاربها، وطريقة نظرتها إلى المجتمع حيث تعيش.

اليوم، غالباً ما تبدي منظمات من "المجتمع" المسلم تردداً، لا بل عجزاً عن المجاهرة برأيها في حالات كثيرة. أما عندما تجاهر منظمة برأيها فعلاً، فتتعرّض، في كثير من الأحيان، إلى التحقير من قبل قريناتها التي تدّعي أنها لا تمثّل المجتمع، أو أنها غير مؤهلة لهذه المهمة، أو غير مشروعة. من هذا المنطلق، أعتقد أنه يجدر بنا العمل مع الأجيال الأصغر سناً، ومنحها الأدوات اللازمة لمساعدتها على التعبير عن مشاعرها وسرد قصصها، وتجاربها، وطريقة نظرتها إلى المجتمع حيث تعيش. كما يجب أن نذكّرها دوماً بأهمية فضح ما تلاحظه أو تقع ضحيته من إساءة لتطبيق العدالة، كون هذا الأمر سيعلّم أبناء مجتمعنا أنّ الحقوق الأساسية غير قابلة للتصرف وانتهاكها جريمة، كما سيتيح للضحايا تجنّب مشاعر الإحباط التي يمكن أن تتحوّل مع الوقت إلى أشكال عنف. فضلاً عن ذلك، يجب أن نعلّم هذه الأجيال كيف تعبّر، من جديد، عن سخطها تجاه المظالم، بهدف مكافحة عملية تسخيف العنف الذي نلمس، يوماً تلو الآخر، أنه نتاج المجتمعات الحديثة.

يفتقر الشباب إلى نماذج يُحتذى بها؛ فكلّ ما حولهم لا يوحي إلا بالفشل. لذا، من بالغ الأهمية بالنسبة إليهم أن يدركوا أنّ البعض قد سلك طريق النجاح. يجب أن يتصرّف قادة الأعمال والمنظمات، والأكاديميون، والمفكّرون، كقدوة من خلال المجاهرة برأيهم، وتقديم نموذج يُحتذى به، وكذلك من خلال تخصيص الوقت اللازم للتحدث إلى الشباب عن تجاربهم. لقد عملت كثيراً مع الشباب حول قضايا تتعلق بالإشراك، وفي كل مرة، تسنح لي الفرصة منحهم أدوات تساعدهم على أن يكونوا عملاء تغيير أينما حلوا. وفي كل مرة، يزدادون قوة بفضل مزيجٍ مما نعطيهم إياه من جهة وتجاربهم الخاصة التي كوّنوها في حياتهم من جهة أخرى. نذكّرهم أنه من خلال التواجد على الأرض، عبر شبكة الويب و/أو وسائل التواصل الاجتماعي، سيطوّرون، مع الوقت، المهارات التي يمكنهم نقلها إلى الأجيال المقبلة. ويجب أن نذكّرهم أيضاً أنّ التصرّف كعامل تغيير لا يعني إحراز النجاح فحسب، بل ارتكاب الأخطاء أيضاً، خاصةً وأنّ هذا ما سيتيح لهم التعلم. وكما قال الفيلسوف فريدريك نيتشه: "ما لا يقتلك يجعلك أقوى."

في هذا الإطار، لعل مثال الفنان البلجيكي إسماعيل السعيدي الذي جاهر برأيه من خلال نشر افتتاحية في إحدى الصحف البلجيكية مثير للاهتمام جداً. جاء مقال السعيدي رداً على سؤال كان الكثير من البلجيكيين يطرحونه على أنفسهم، وهو: "لماذا لم يتظاهر المسلمون في الشوارع بشكل جماعي بعد هجمات بروكسل؟" كان جوابه بسيطاً على نحو مربك، مع ذلك كان لا بد من صياغته ونشره لكي يدرك الكثير من الأشخاص حقيقة الأمر. باختصار، وصف في رده الوظائف التي كان المسلمون يؤدونها يوم الهجمات. وذكّر القراء أنّ بعض الضحايا كانوا مسلمين وأنّ بعض الفنيين الطبيين العاملين في حالات الطوارئ، وضباط الشرطة، وسائقي سيارات الأجرة والحافلات وقطارات الأنفاق كانوا أيضاً من المسلمين. ثم مضى مذكّراً إياهم أنّ أمهات مسلمات كنّ بانتظار عودة أولادهن إلى المنزل في ذلك النهار، وأنّ أولئك الأولاد لم يعودوا إلى المنزل قط. لقي هذا الرد نجاحاً لأنه صدر من القلب وسلّط الضوء على أمور كانت، في نهاية الأمر، بديهية.[356]

تجدر الإشارة إلى منظمات أخرى تقوم بعمل ذي نوعية على الأرض، وتستخدم وسائل التواصل الاجتماعي لنشر رسائلها حتى تصل إلى العدد الأكبر من الأشخاص. ومنها منظمة في بروكسل بادرت إلى توزيع ورود في شارع تجاري في العاصمة. كانت كل وردة مرفقة بـ"كلمات حكيمة من نبي الإسلام" أبرزت رسالة الإسلام القائمة على السلام والتسامح. في نهاية الأمر، أصدرت المنظمة شريط فيديو[357]، كما غطت الصحافة المناسبة.[358] أظهر هذا الفيديو أشخاصاً يتفاعلون بشكل إيجابي جداً مع هذه المبادرة.

356 Ismael Saidi, "Pourquoi les musulmans ne descendent pas dans la rue pour condemner ? Parce que… " Le Soir, March 23, 2017, http://plus.lesoir.be/32156/article/2016-03-23/ismael-saidi-pourquoi-les-musulmans-ne-descendent-pas-dans-la-rue-pour-condamner

357 "Fleurs de 1400 ans," Success Media, January 19, 2015, https://www.youtube.com/watch?v=pQOKEE-KwPE

358 "Hicham agit, avec des roses: "J'ai un garçon de 6 ans et j'aimerais qu'il puisse grandir dans un milieu encadré et rassurant"," January 23, 2016, https://www.rtl.be/info/vous/temoignages/hicham-agit-avec-des-roses-j-ai-un-garcon-de-6-ans-et-j-aimerais-qu-il-puisse-grandir-dans-un-milieu-encadre-et-rassurant--694072.aspx

تلك هي أنواع المبادرات التي يمكن أن تخلّف أثراً إيجابياً على من يشاهدها، بغض النظر عن ديانته. وأعتقد أنها تستطيع أن تعرض صورةً مختلفةً عن تلك التي يقدّمها بعض وسائل الإعلام. ختاماً، أعي أنّ هذا الأمر لن يحلّ المشاكل كلها، ولكنه سيمنح الشباب الأدوات التي يمكنهم استخدامها عندما يواجهون تمييزاً أو مظلمةً أو عوائق أخرى في مسيرة حياتهم.

> ويجب أن نذكّرهم أيضاً أنّ التصرّف كعامل تغيير لا يعني إحراز النجاح فحسب، بل ارتكاب الأخطاء أيضاً، خاصةً وأنّ هذا ما سيتيح لهم التعلم

المسجد وبناء سدود في مواجهة رهاب الإسلام

الإمام حاتم أشيخان

باريس، فرنسا

مقدمة

أود أن أشير إلى أنّ هذا البحث هو، بادئ ذي بدء، شهادة فاعل محلي وثمرة أفكاره، وبالتالي فهو لا يستوفي معايير العمل العلمي. إنه عملية تفكير مع التشديد بشكل تجريبي وإرشادي على الواقع والتجربة الحية، وتوفير مجموعة من المقترحات.

شكّلت هجمات 11 سبتمبر فاتحة عهد جديد: عهد الخلط بين الدين والإرهاب. ومنذ ذلك الحين، شهدنا على تنامي خطاب سياسي وإعلامي معيّن، يعرض الإسلام كمفهوم غير متوافق مع الحداثة الغربية. ولا يخفى على أحد أنّ هذا النوع من الخطاب العدائي جداً تجاه الإسلام والمسلمين يشجع على انتشار رهاب الإسلام ضد المسلمين والمباني الإسلامية، خاصة بعد الهجمات الفتاكة التي ضربت فرنسا، رغم أنه ليس السبب الوحيد والمباشر لذلك.

في هذا الإطار، وجد المسلمون أنفسهم، من جهة، في مواجهة التطرف العنيف الذي شوّه تفسير النصوص الدينية، مستغلاً الإذلال، والظلم، ورهاب الإسلام، وما إلى هنالك، من خلال اللعب على مشاعر الإحباط التي تلمّ ببعض الشباب. أما من جهة أخرى، فيواجه المسلمون الفرنسيون مطالب باستنكار أعمال العنف هذه والنأي بأنفسهم عنها بشكل جماعي وكمجتمع واحد. لكن غالباً ما يشوب هذه المطالب مزيج من التشكيك والوصم.

من المعروف بوجه عام أنّ المسلمين في فرنسا لا يشكّلون مجتمعاً واحداً. فليس من "مجتمع متجانس من الأفراد الذين يجتمعون على قيم ومعتقدات مشتركة، ويعتنقون، في الظروف كافة، الممارسات نفسها الناتجة عن الالتزام الصارم بالدين."[359] بل هناك "مجتمعات" متعددة. فتجدر الإشارة أولاً إلى المسلمين الذين وصلوا مؤخراً إلى الأراضي الفرنسية، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وخلال "الثلاثين عاماً المجيدة" التي أعقبت الحرب بشكل أساسي. هؤلاء أنشأوا روابط إثنية- وطنية مع بلدانهم المنشأ، ما زالت فاعلة حتى اليوم. لكن لا ننسى أيضاً أنّ الإسلام، شأنه شأن بقية الديانات المتواجدة على الأراضي الفرنسية، ليس منظماً على المستوى المركزي، ولا يتّبع أي تراتبية دينية ذات حجية.

تعرقل هذه البنية الضعيفة ضمن المجتمعات المسلمة المتواجدة في فرنسا إنشاء استراتيجية أو إجراء مجتمعي لمواجهة رهاب الإسلام المتزايد. فإذا تأمّلنا أعمال المنظمات الإسلامية، كعمل مجموعة مناهضة رهاب الإسلام أو مركز رصد رهاب الإسلام (وهو ذراع المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية)، أو الإجراءات التي يتّخذها غير المسلمين، ومعظمهم من اليسار بشكل عام، كمنظمي اليوم العالمي ضد رهاب الإسلام، فإنّ معظم الجهات الفاعلة المحلية، كالمساجد والجمعيات الإسلامية التي تدير دور العبادة، تبقى على مسافة من الإجراءات التي تتخذ بعداً وطنياً. يعود ذلك إلى الهيكلية الضعيفة لتلك المنظمات، وانعدام استراتيجية على المستوى الوطني، وعدم وجود شخصيات قيادية مشروعة بنظر المسلمين الفرنسيين عبر الوطن، أو واقع سلطتهم التي لا تطابق بشكل عام قوة السلطات المحلية أو سلطات المقاطعات.

359 Franck Fregosi, "Polyphonies et ploymorphies musulmanes en France," in Le devenir de L'islam en France Ghaleb Bencheikh ed. (Paris: Desclée de Brouwer, 2013).

تُعتبر المساحة المحلية مستقلةً نسبياً عن المساحة الوطنية، مما لا يشكّل وسيلةً تلقائيةً لسبر أفكار النقاشات والخلافات الجدلية على المستوى الوطني. ونظراً إلى هذه الاستقلالية، تتيح المساحة المحلية إجراء نقاشات واتّخاذ إجراءات دبلوماسية وغير أيديولوجية، كما تتيح للجهات الفاعلة الإسلامية المحلية اتخاذ إجراءات أولية وتكوين حس التضامن على نحوٍ يشكّل حصانة ضد تنامي رهاب الإسلام.

من هذا المنطلق، يُعتبر التفكير المتمعن في تدريب الأئمة، والعمل المدني الذي تنجزه المساجد، وعلاقاتها بالسلطات المحلية، والالتزام بالحوار بين الأديان، كلها طرق لتعزيز التعايش والتعاون، وبالتالي إيجاد الظروف الملائمة التي تتيح مواجهة رهاب الإسلام اليومي الذي يكون أحياناً شكلاً من أشكال الحياة العادية.

تدريب الأئمة والقادة الدينيين

كما هو مذكور أعلاه، تُعتبر معظم المساجد في المنطقة التي أقيم فيها كيانات مستقلة. وهي تنبثق عن حاجة المسلمين المقيمين في المدن المحيطة إلى تأمين دور للعبادة والتمكن من الصلاة في ظروف محترمة. وتكون أسباب بناء دور العبادة هذه هي نفسها عملياً، زد على أنّ ظهور نخبة تمثّل دور العبادة المذكورة لا يكون نتاج تدريب مسبق أو عملية تعيين تراتبية تحدّدها هيئة وطنية. فتتعلم هذه النخبة أصول وظيفة القائد الديني أثناء مزاولتها عملها، أو بفضل إلقاء الخطب، وكيفية التفاوض مع مسؤولي القطاع العام، ومن خلال الاهتمام بمكان العبادة إدارياً ومالياً إلخ.

وما ينطبق على المشرف على مكان العبادة، ينطبق أيضاً على الإمام الذي يؤمّ المصلين. بطبيعة الحال، من الأئمة من أرسله البلد المنشأ، لا سيما المغرب والجزائر وتركيا، لكن عددهم صغير من جهة (10% إلى 15% من جميع الأئمة في فرنسا)، كما أنّ إلمامهم باللغة والبيئة والمؤسسات الفرنسية، من جهة أخرى، يُعدّ بدائياً وغير كافٍ، لا بل معدوم وغير فعال. تضمّ فرنسا اليوم معهدَين تدريبيين للقادة الدينيين، لكنهما لا يلبيان احتياجات المساجد البتة، من حيث الحاجة إلى قادة دينيين مدرّبين وكفوئين، ناهيك عن أنّ عدداً لا بأس به من هؤلاء الأئمة المدرّبين لا يختارون العمل في المساجد لمجرّد أنّ الأئمة يملكون مكانةً اجتماعيةً متدنيةً ويتلقون تعويضاً مالياً بسيطاً.

بالرغم من هذه الظروف غير المؤاتية، تمكنّا من إنشاء مجلس أئمة للبلاد يلتئم مرتين إلى ثلاث مرات سنوياً للتباحث والتناقش والتشاور وتبادل الخبرات.

كما تُطبَّق عدة برامج، أو ستُطبّق قريباً، لجعل خطب أئمتنا مسموعة، وفعالة، ومشروعة.

1. بالنسبة إلى الأئمة الذين يحتاجون إلى ذلك، تأمين الوصول إلى برامج الشهادات الجامعية التي تعتمد اللغة الفرنسية كلغة ثانية.
2. تشجيع الأئمة والقادة الدينيين على الدراسة لنيل شهادة جامعية في التربية المدنية والقانون المدني في جامعة السوربون أو معهد الدراسات السياسية في باريس.
3. إنشاء مورد رقمي للوثائق يكون متاحاً لجميع الأئمة.
4. توفير التدريب في مجال الاتصال وإلقاء الخطب، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي والنشر على شبكة الويب.
5. تطوير خطاب يركّز على القيم والأخلاقيات في المقام الأول. المدافعة أولاً عن مبادئ السلام، والكرامة، والعدالة، والوحدة، والعمل المشترك.
6. دكّ الخطاب الحرفي الذي يرتكز على ازدواجية "الحلال والحرام" حصرياً من خلال الابتعاد عن الجدليات العقيمة.

العمل المدني للمسجد

المسجد هو الرمز الأكثر دلالةً على تواجد الإسلام في المساحات العامة. وهو أيضاً إحدى المؤسسات القليلة التي تستطيع تعبئة مسلمين في فرنسا. كما أشير إليه أعلاه، ليس من "مجتمع مسلم واحد" في فرنسا، بل هناك "مجتمعات مسلمة". ومردّ هذه التعددية إلى أصول المسلمين الإثنية، وانتماءاتهم إلى فروع إسلامية مختلفة في فرنسا، أو بكل بساطة إلى المسارات الفردية المتعددة والمختلفة التي ينتهجها اللاعبون الأساسيون في الإسلام في فرنسا.

من هنا، يتحوّل المسجد المشيّد في منطقة محلية محدّدة جيداً إلى مجتمع محلي بحد ذاته. ويصبح بإمكانه إيصال رسالته ورفع صوته ليسمعه المئات، إن لم نقل الآلاف من المسلمين المتدينين، من خلال جهوده لتوحيد المؤمنين حول خطة تشييده، وشبكة المانحين المحليين التي يطوّرها مع الوقت، وأهالي التلاميذ الذين يتوجهون إلى المسجد لتعليم أطفالهم مبادئ الدين واللغة العربية، ومنشوراته التي تتضمن الرسائل الإلكترونية والإخبارية الشهرية، وجمع الأشخاص في العطل والأنشطة الدينية، وهكذا دواليك. بفضل هذه الشبكة والقدرة على التعبئة والتوحيد، يصبح المسجد لاعباً أساسياً في المجتمع رغماً عنه. كما يصبح لاعباً أساسياً بالمعنى الأعم للكلمة. في هذا الإطار، كتب جاك

لاغروي، في مقدّمة مقاله "عمليات التسييس": "يغذي كل مجتمع [...] النظام السياسي من خلال مكوّناته الخاصة، أي العلاقات التي ينسجها الأفراد والمجموعات ومخاوفهم ومعتقداتهم. ومهما كانت المساحة السياسية متخصصة، تبقى في نهاية الأمر ثمرة أنشطة اقتصادية، ودينية، وثقافية، واجتماعية غاية في التنوّع."[360]

أما بعد، يشير كل ذلك إلى أهمية المسجد بالنسبة إلى مشاركته في نسيج المجتمع المحلي، وكيف أنه لم يعد يجدر به الوقوف على الحياد، على هامش المجتمع، بل تحمّل مسؤولياته بشكل متناسب مع قدرته الفعلية في أن يكون عنصراً حاشداً، وموحداً، وبناءً، وأن يقوم بذلك مع الالتزام التام بالقوانين الفرنسية.

تتجلى المشاركة المدنية في أماكن العبادة، بمظاهرها الأبسط، بالدعوة المستمرة في كل موسم انتخابي إلى تسجيل الناخبين، والتوجه إلى صناديق الاقتراع، وتواصل الأشخاص مع النواب المنتخبين بصفتهم مواطنين وناخبين. كما تتم دعوة المسلمين

أما بعد، يشير كل ذلك إلى أهمية المسجد بالنسبة إلى مشاركته في نسيج المجتمع المحلي، وكيف أنه لم يعد يجدر به الوقوف على الحياد، على هامش المجتمع، بل تحمّل مسؤولياته بشكل متناسب مع قدرته الفعلية في أن يكون عنصراً حاشداً، وموحداً، وبناءً، وأن يقوم بذلك مع الالتزام التام بالقوانين الفرنسية.

إلى المشاركة في مختلف الأحزاب السياسية والجمعيات وبالتالي اكتساب ثقافة مدنية وسياسية، من خلال مواكبة السياق المحلي والإحاطة به جيداً. في الواقع، لا يتعلق الأمر أبداً بالنسبة إلى المسجد بدعم مشروع أو انتماء سياسي معيّن، ولا هي إحدى مهامه على الإطلاق، كما إنّ الأمر لا يتعلق كذلك برفع الصوت من أجل حماية مصلحة مفترضة خاصة بالمسلمين أو الدفاع عن "مصالح المجتمع المحلي".

تتمثل التزامات المسجد بالمشاركة على المستوى المحلي في الحيّ أو المدينة التي أنشئ فيها، وعكس إهتمامات المواطنين الذين يرتادونه من حيث التعليم، والتضامن، والأمن، والتوظيف وغير ذلك.

العلاقة مع البلدية

بشكل عام، يرسي مشروع بناء مسجد أساس العلاقة بين رئيس البلدية، ومجلس المدينة، وممثلي الديانة الإسلامية في المدينة في المستقبل. مع ذلك، تتحمّل حكومة المدينة بدورها مسؤولية إدارة ملفات أخرى متعلقة بالديانة الإسلامية وتواجد المسلمين في المدينة. ومن هذه المسؤوليات، تخصيص أماكن للمسلمين في المقابر، ومقاصف المدارس، وفتح باب استخدام المساحات العامة أمام المناسبات الدينية، وفي بعض الأحيان المسائل المتعلقة بذبح الحيوانات على الطريقة الشرعية، وتوفير الإعانات للجمعيات الثقافية الإسلامية، وغير ذلك.

أشرنا أعلاه إلى أنّ أهمية مساحة محلية ما تكمن في استقلاليتها عن المساحة الوطنية. فلها دينامياتها الخاصة، كما تتيح اعتماد مقاربات أقل أيديولوجية لا تكون ممكنة على المستوى الوطني. لكنه وضع جديد ومتناقض في الوقت عينه. فمن جهة، يُعتبر التقليد الفرنسي المتمثل بإدارة القضايا الدينية مركزياً جداً، ومن جهة أخرى، يواجه رئيس البلدية، بصفته مسؤولاً محلياً منتخباً، مجموعة من الطلبات الثقافية الطابع التي يجدر به الإجابة عنها. هنا، تجدر الإشارة إلى أنّ إدارة ملف بناء مسجد في مدينة لا تقتصر على الإدارة التقنية والحضرية فقط، كما هي الحال في أي ملف بناء آخر، كما لا تشكّل مجرد استجابة لحاجة ثقافية لدى المواطنين.

إنها، في المقام الأول، تفاعل جديد وتعارف متبادل يحدث في ظروف من انعدام المساواة. في هذا الإطار، تُظهر فرانسواز دوتو، في كتابها "رئيس البلدية والمسجد"، أنّ رئيس البلدية وآراءه يؤدي دوراً حاسماً في تحديد شكل خطة بناء مكان العبادة أو المسجد.[361] أما فرانك فريغوزي، فقد حدد ثمانية مواقف يمكن أن يتّخذها رؤساء البلديات في سياساتهم المتعلقة بالديانة الإسلامية، وهي تتراوح بين "الطوعية الطموحة" و"التقليدية الأمنية".[362]

يدرك رئيس البلدية أيضاً أنّ بين يديه ملف حساس، وعادة ما تكون معرفته بالمروجين للمشروع سطحية بشكل عام، إن لم نقل معدومة. وتبعاً لخلفية رئيس البلدية الدينية، وأفكاره عن الإسلام وتابعيه في فرنسا، ومخاوفه الانتخابية والسياسية، أو مجرد

360 Jacques Lagroye, "Les processus de la politisation," Política & Sociedade 16.37 (December 2017): 18-35.

361 Françoise Duthu, Le maire et la mosquée (Paris: L'Harmattan, 2008).

362 Franck Frégosi, "New Muslims: between overexposure and invisibility," Esprit 5 (May 2014): 65-77.

خوفه من تكليف معالجة الملف إلى "راديكاليين"، سيتّخذ قراره إما بالتعاون مع ممثلي جمعية ما أو المروّجين للمشروع أو بالامتناع عن ذلك.

جدير بالذكر أنه، بالرغم من الدعوات إلى التنوع، تبقى مسألة "الصورة الفوتوغرافية" مؤشراً إلى انعدام مشاركة أشخاص من "الأقليات الظاهرة" في النسيج الانتخابي الوطني والمحلي: "كل ما عليك فعله هو التقاط صورة لجمعية تشريعية منتخبة، مهما كانت هذه الجمعية، وصورة أخرى عن السكان الذين انتخبوها، وسيكون الفرق واضحاً أمام عينيك. ففي الصورة الأولى (للنواب المنتخبين)، ستكون الأكثرية من الرجال المسنين نوعاً ما وجميعهم من ذوي البشرة البيضاء. أما في الثانية (صورة الناخبين)، فترى رجالاً ونساءً من كافة الأعمار والأصول."[363] لهذا السبب، يجب تشجيع المسلمين في البيئة المحلية على الاهتمام بالشؤون العامة، والمشاركة في الأنشطة المدنية المحلية، وتعزيز فهم أكثر منطقية وعدلاً وواقعية للإسلام والمسلمين، بعيداً عن الأفكار المبتذلة التي تنقلها مجموعة من وسائل الإعلام المهيمنة. ومن الضروري أيضاً تشجيع من يملك القدرة على خوض الانتخابات المحلية والرغبة في ذلك، والمشاركة في صياغة السياسات العامة المحلية: ليكون لا نائباً مسلماً استثنائياً ولا مدافعاً عن مجتمع محلي بعينه، بل رمزاً لاندماج المسلمين في النسيج الوطني ومؤيداً لمقترحات تصبّ في صالح المدينة خارج نطاق "القضية الإسلامية".

فضلاً عن ذلك، لا بد من تشجيع قادة المساجد ودور العبادة على نسج شبكات وعلاقات فعالة وصريحة وبناءة مع السلطات المحلية، وسلطات المناطق والأقاليم، وكذلك مع الجهات الفاعلة المدنية والدينية في المدينة. كما يُعتبر التدريب المتواصل والمتعدد التخصصات ضرورياً للتغلب على هذا التحدي.

الحوار بين الأديان

قال الكاردينال أندريه فان تروا، رئيس أساقفة باريس الأسبق، في عظته التي تناولت ضحايا كنيسة سان إتيان دو روفراي، ولا سيما اغتيال الأب جاك هامل في ظروف وحشية: "لا يمكن توحيد البشرية من خلال تصيّد أكباش الفداء. فلا يساهم المرء في التماسك المجتمعي وحيوية الروابط المجتمعية من خلال إنشاء عالم افتراضي من الخلافات والإساءات اللفظية. فستتحول هذه الإساءة الافتراضية، شيئاً فشيئاً، لكن بخطى ثابتة، إلى كراهية حقيقة في نهاية الأمر، وتروّج للدمار كطريقة للتقدم. غالباً ما تنتهي حرب الكلمات بتتفيه الاعتداء كطريقة للتواصل مع الآخرين. لكن المجتمع المبني على الثقة لا يمكن أن يمضي قدماً إلا بواسطة الحوار الذي يفسح المجال أمام الإصغاء إلى آراء مختلفة واحترامها."[364]

لعل نبرة التوفيق هذه، وعدم البحث عن كبش فداء، وإدارة النقاش، وإعطاء أهمية للتعايش والتماسك الاجتماعي عوضاً عن الخطاب المثير للمخاوف والعنيف والحاد، تشكّل معالم كافة الخطابات الرسمية الصادرة عن الكنيسة الكاثوليكية. ففي مدينتنا،

> تتمثل التزامات المسجد بالمشاركة على المستوى المحلي في الحيّ أو المدينة التي أنشئ فيها، وعكس إهتمامات المواطنين الذين يرتادونه من حيث التعليم، والتضامن، والأمن، والتوظيف وغير ذلك.

رحّب بنا أسقف المقاطعة الذي أصبح لاحقاً رئيس أساقفة باريس بصفتنا وفداً مسلماً. وفي عظته بمناسبة عيد الميلاد، استوحى معنى هذه الكلمات من الكاردينال فان تروا داعياً إلى عدم الخلط بين الدين والإرهاب، والتعايش، ورفض احتمال المواجهة بين الإسلام والمسيحية. وقد لقي الخطاب تقديراً وآذاناً صاغية من قبل مئات المؤمنين الذين شاركوا في القداس.

عندما يتحول الحوار بين الأديان من حوار يجمع خبراء أو شخصيات وطنية إلى حوار بين "الجهات الفاعلة على الأرض"، يؤتي ثماره على المستوى المحلي. بالفعل، يتيح هذا النوع من الحوار للمؤمنين التعبير عن شواغلهم اليومية ومخاوفهم الوجودية. إنه حوار يبني الثقة المتبادلة، والاحترام المتبادل، والإصغاء البناء بالنسبة إلى المؤمنين والقادة الدينيين على السواء. إنه "حوار تلقى فيه الاختلافات في الرأي أذناً صاغية وعقلاً قادراً على الاحترام." إنه حوار يحوّل الإجراءات المجتمعية والالتزامات المشتركة إلى حقيقة ويحسّن التأثير المجتمعي للخطاب الديني. فأن تحب جارك يعني أن تكون إلى جانبه، وتدافع عن كرامته، وتخدمه كأخيك في الإنسانية.

363 Martina Avanza, "Qui Représent Les Élus De La "Diversité"? Croyances partisanes et points de vue de 'divers'," Revue française de science politique, 60.4 (2010) : 745-767.

364 Cardinal André Vingt-Trois, "Homélie du cardinal André Vingt-Trois—Messe pour les victimes de Saint-Étienne du Rouvray," The Catholic Church in Paris, July 27, 2016, https://www.paris.catholique.fr/homelie-du-cardinal-andre-vingt-40311.html

أود أن أشير أيضاً إلى الاهتمام الذي تبديه السلطات المحلية ومسؤولو المقاطعات في هذا الحوار المدني بين الأديان. ففي ما خلا مجرد الاهتمام بتحسين العلاقات بين ممثلي كافة الأديان في المدينة، يُظهر التشجيع المؤسساتي للحوار المشترك بين الأديان مدى فعاليته في إيجاد طرق للتعايش، وقدرته على نسج روابط اجتماعية، ومكافحة التحيز والأفكار المبتذلة التي ينقلها الإعلام الوطني. بالفعل، تفتح قاعات البلدية أبوابها أمام مساحاتها العامة، فيشارك القادة المحليون في مثل هذه المناسبات.

عندما يتحول الحوار بين الأديان من حوار يجمع خبراء أو شخصيات وطنية إلى حوار بين "الجهات الفاعلة على الأرض"، يؤتي ثماره على المستوى المحلي. بالفعل، يتيح هذا النوع من الحوار للمؤمنين التعبير عن شواغلهم اليومية ومخاوفهم الوجودية. إنه حوار يبني الثقة المتبادلة، والاحترام المتبادل، والإصغاء البناء بالنسبة إلى المؤمنين والقادة الدينيين على السواء

الخاتمة

أخيراً، كما ترون، يهدف هذا البحث إلى الإظهار أنه في غياب بنية وطنية قوية ومشروعة، وفي غياب استراتيجيات شاملة ونطاق وطني لاقتلاع رهاب الإسلام، يُناط بمئات المساجد المستقلة دور مهم على صعيد تطبيق الإجراءات المحلية القادرة على بناء سدود في وجه رهاب الإسلام.

من هذا المنطلق، من بالغ الأهمية إعداد كتيبات عملية حول كافة القضايا المذكورة، بما في ذلك تدريب الأئمة، والقادة الدينيين، والمسؤولين، وجميع الشركاء الآخرين، ومواكبتهم في عملية إدارة الصلاة في تلك المساجد.

وفق هذه الطريقة، يمكننا بناء القدرة على التفكير، والتعبئة، والتحرك تدريجياً، بينما نستفيد من القدرات والفرص التي يتيحها لنا المستوى المحلي.

إعداد آلية استجابة مستدامة واستراتيجية لمعالجة رهاب الإسلام: دروس من نضال جنوب أفريقيا ضد نظام الفصل العنصري

السفير إبراهيم رسول (متقاعد)

مؤسسة عالم للجميع

لعلّ ما يميّز عمل مركز كارتر عن غيره هو قدرته على مقاومة اتّباع القطيع، والإحاطة بأي مسألة من كلا جانبيها، وتناول كلّ من الأسباب والآثار من منظورها الصحيح. تلك هي الحال في ما يتعلق بعمله على مقاومة رهاب الإسلام. فالقطيع لا ينظر إلى التطرف العنيف إلا من خلال الجري وراء دراسة الأعراض أو الآثار. وهي طبعاً لها مكانتها المهمة، لكنّ التطرف باسم الإسلام والمسلمين مردّه بشكل أساسي إلى حدّة رهاب الإسلام عبر العالم- نظراً إلى سهولة فرض الاحتلال والدكتاتورية والحروب على الأراضي ذات الأغلبية المسلمة- فضلاً عن التمييز الشخصي والاجتماعي الذي يطال المسلمين في البلدان حيث يشكّلون الأقلية.

لكن من الخطأ أن يكرّر المسلمون الذين يقودون النضال ضد رهاب الإسلام وجهة النظر الخاطئة التي اعتمدها القطيع من خلال تناول رهاب الإسلام كقضية قائمة بذاتها، مجرّدة من السوابق – أي عالم من التعصب المتنامي ضد كل من هو مختلف- مع إنكار للعواقب- أي ارتكاب المتطرفين لأمور رهيبة ومثيرة للخوف باسم مكافحة رهاب الإسلام. فضلاً عن ذلك، سيكون ضرباً من الغرور والغطرسة تناول رهاب الإسلام كالتمييز الأبرز أو الأولوية القصوى ضمن قائمة مظاهر التعصب عبر العالم. فرهاب الإسلام ليس إلا فرداً واحداً في أسرة الأمراض التي يجب مكافحتها كلها.

العالم حيث نعيش: الهيمنة و"إقصاء الآخر"

من آثار العولمة أنها تدمج، من خلال التكنولوجيا والاتصال، ما كان منفصلاً وغير متصل عبر التاريخ. فاليوم، يُطلب منا أن نربط نقاطاً تبدو متباينة ظاهرياً- كظواهر أو أحداث أو تأثيرات تبدو غير متصلة ببعضها، لكنها تكون مترابطة في العمق، أو تعود إلى مصدر واحد أو أصل مشترك. ولم تكن صحة هذا الأمر أكثر جلاءً ووضوحاً مما هو عليه في عصرنا الحالي. فنحن مرغمون اليوم على التعامل مع أيديولوجيات متنافسة ظاهرياً، وخيارات سياسات تبدو متباينة للوهلة الأولى، وأسباب متنافرة على ما يبدو لتنقل الأشخاص أو لمظاهر التعصب التي يفترض أن تكون متكتمة. يمكن اعتبار كل ذلك مجموعةً متكاملةً واحدةً من التحديات.

نعيش في عالم يتّسم بوجهي تطرف متنافسين، أحدهما غير رسمي وخطر، يتصرف باسم الإسلام والمسلمين، فيما الآخر معمّم وخطر، منتخب لشغل المناصب العامة وتطبيق القوانين وقيادة الجيوش. نعيش في عالم حيث اندفاع المسلمين من أجل الحقوق والحريات والديمقراطية قد اصطدم بحواجز، مما منح الدكتاتوريين والأنظمة الاستبدادية نفساً جديداً. فالتطرف المعمم يزود الدكتاتوريين بإجازة للإفلات من العقاب باسم مكافحة التطرف غير الرسمي.

نعيش في عالم حيث جشع النخبة، وخيارات السياسات الخاصة بصناع القرار، وآثار التغيير المناخي كلها تتآمر لإفقار أعداد كبيرة من الأشخاص والحكم عليهم بالبطالة والجوع والأمراض. فيُسجَّل، نتيجةً لذلك، نموّ في انعدام المساواة ضمن الدولة نفسها وبين الدول أو بين نصفي الكرة الأرضية.

يوجد كل هذا، بدوره، أنماط هجرة ضمن الدول وما بينها. فينتقل سكان الأرياف إلى المدن، وسكّان العالم النامي نحو العالم المتقدم. وينضمّ اللاجئون الفارون من الحروب والنزاعات إلى لاجئي الفقر والاضطهاد في مسيرة نحو الفرص. لكن تُواجَه هذه المسيرة اليوم، أكثر فأكثر، بعدائية تتّخذ شكل حظر السفر على أولئك المتجهين إلى الغرب، "وإقصاء الآخر" بالنسبة إلى أولئك المقيمين فيه.

بالفعل، تُعتبر هذه الظواهر مترابطة ويعزّز كل منها الآخر.

طبيعة المشكلة تغيّرت

نظراً إلى درجة انتشار المشاكل التي نواجهها، وعُمقها، يمكن الافتراض أنّ طبيعة المشكلة قد تبدّلت في جوهرها. واستناداً إلى نطاق الهجرة، وعدد اللاجئين، وفورية الاتصال، والترابط بين هذه الظواهر المثيرة للتحديات، يعني ذلك أن لا أمل كبير في حلّ هذه الأزمات بشكل تدريجي، سواء أأجريت إصلاحات طفيفة أم تغيير جذري في العمق.

عندما يجتمع المفكّرون وأهل الاختصاص لإيجاد حلول لأحد جوانب المشكلة- كما نفعل لمواجهة رهاب الإسلام- يجب أن نحترم في هذه الحالة أوجه ترابط المشكلة مع ظواهر أخرى، فضلاً عن الطبيعة العميقة للمشكلة. فنحن لا نزاول عملنا هنا وفق المعتاد.

مع أننا كنا، في الماضي، نتعامل مع مشاكل وأزمات كانت معروفة بالنسبة إلينا كوننا كنا قد واجهناها قبلاً، وكانت تندرج ضمن خانة المشاكل المعقدة لكن القابلة للإدارة، يجب أن نقرّ أن الأزمات التي نواجهها في أيامنا هذه معقدة لأنها غير مسبوقة. ومع أننا كنا واثقين جداً في الماضي بأننا قادرون على حلّ المشاكل

عندما يجتمع المفكّرون وأهل الاختصاص لإيجاد حلول لأحد جوانب المشكلة- كما نفعل لمواجهة رهاب الإسلام- يجب أن نحترم في هذه الحالة أوجه ترابط المشكلة مع ظواهر أخرى، فضلاً عن الطبيعة العميقة للمشكلة.

والأزمات التي واجهناها لأنها كانت تنطوي على القليل من الجوانب المجهولة فقط، يجب أن نقرّ اليوم أنّ أزماتنا باتت خالية من تلك الصيغ الجاهزة، وبالتالي فهي تندرج ضمن خانة المشاكل المستعصية. ومع أنّ الإدارة السليمة كانت تشترط منا في الماضي توحيد الجوانب والمصالح المتنافسة المتعلقة بالمشكلة والأزمة، يُطلب منا اليوم ممارسة دور القيادة الشاق، لإجراء عمليات مقايضة شاقة عند مواجهة تحدياتنا.

القيادة المصحوبة بالنزاهة

لا يخفى على أحد أنّ الطبيعة المتبدلة للمشاكل والأزمات التي تواجهنا تتطلّب طبيعةً متبدلةً للقيادة التي نحن بحاجة إلى ممارستها. ويجب أن تكون هذه القيادة مختلفة عن الأنواع التي أتيحت لنا قبلاً: أي تلك المستندة إلى قضية معيّنة؛ أو الخاصة بجمهور انتخابي معيّن؛ أو المنظمات القائمة بذاتها؛ أو النفقات غير المتناسبة التي تفضّل البنى التحتية على حساب البرامج المطبقة على الأرض.

هذا من جهة. أما من جهة أخرى، فيجب أن تكون قيادتنا متمايزة عن القيادة التي نقف في مواجهتها. فلا يمكننا أن نمتثل بالشعبويين الذين نعارضهم: فهم يبثون الخوف، ويشوّهون صورة من يخافون منهم ويعارضونهم؛ ويستغلون أبسط غرائز البشر؛ ويعرفون من وما يواجهون؛ ويركّزون على المدى الفوري القصير فقط. يجب أن نكون ذوي شعبية، لا شعبويين!

لكنّ التمتع بالشعبية هو ثمرة عملية. فما نحتاج إلى فعله هو ربط الواقع الحي للأشخاص بأسباب أكثر عمقاً لا تكون ظاهرة للوهلة الأولى. فيلمس الأشخاص معاناتهم الخاصة، كرهاب الإسلام مثلاً، لكنهم لا يلمسون الصلة بمعاناة الآخرين في ظل العنصرية؛ ويستاء الأشخاص من السبب الذي يدعو إلى التمييز ضدهم، لكنهم قد يميّزون في الوقت عينه ضد آخرين، كما يحدث في حالة كره النساء؛ ويخشون ممارسي التمييز ضدهم، لدرجة أنهم قد يجهلون مقدار قوتهم الكامنة؛ ويشعرون بالوحدة، فيفتقرون إلى الشجاعة اللازمة لمجابهة التمييز إلا إذا دلّهم أحدهم على قوة الائتلافات والتحالفات.

تنصّ القيادة المصحوبة بالنزاهة على ربط هذه النقاط المتباينة للوهلة الأولى من أجل هؤلاء الأشخاص الآنفي الذكر، والكشف عن صلات الوصل، وتعزيز مشاعر التعاطف مع الآخرين بالرغم من الاختلافات الظاهرة أو الحقيقية، وتحويل، من خلال الإشراك والإقناع والتضامن، ما يبدو غير شعبي في البداية إلى ظاهرة تزداد شعبية. القيادة الشعبية المصحوبة بالنزاهة هي عدم إخفاء الحقيقة عن الشعب، لكن جعل الحقيقة مقبولة وذات شعبية. يختلف هذا الأمر اختلافاً جوهرياً عن نموذج القيادة الذي يتّسم بحنين إلى الماضي- مثلاً فلنعد إلى أميركا التي كانت بلد المهاجرين- أو القيادة الغوغائية التي تتسبّب بالمشكلة اليوم. نحن بحاجة إلى قيادة استراتيجية.

ربط النقاط- شجرة عائلة التعصّب

عادةً ما يكون لمظاهر التعصب مصدر واحد. ففي عصرنا الحديث، يمكننا تتبّع جذور عمليات "إقصاء الآخر" إلى خطيئة أصلية، هي: الغزو الاستعماري، والتجريد من الممتلكات ومن الإنسانية. وقد تمّ تبرير هذه الخطيئة الأصلية من خلال مزيج من علم اللاهوت (الذي ينص على دونية من ليسوا بمسيحيين) وعلم الأحياء (دونية غير البيض في المسار التطوري). فأقصت هذه الخطيئة غير الأوروبيين وجرّدتهم من إنسانيتهم، فاتحةً

المجال أمام الإبادات الجماعية، واستعباد الشعوب وتجريدها من ممتلكاتها. وما لبثت هذه المعاملة أن اتّخذت طابعاً مؤسساتياً مع إنشاء سلطات استعمارية في الأراضي المستعمرة، وهي اليوم تتّخذ هذا الطابع حيث استقر المستعمَرون السابقون ضمن المراكز الاستعمارية.

لقيت هذه الخطيئة الأصلية استمراريةً، لا من خلال مفاهيم دونية الآخر فحسب، بل عبر تجاهل جوهر الآخر نفسه بشكل أساسي، وبشكل متزايد من خلال الخوف. بالفعل، يمكن اعتبار الخوف والجهل الجدَّين في عائلة التعصّب. يستمدّ الخوف ركيزته من غريزة غير منطقية، وبالتالي قد نتسامح معه غالباً لأنه شعور غريزي؛ أما الجهل، فلا عذر له على الإطلاق. ففي عصر من الاتصال الفائق، يمكن التغلب على الجهل من خلال التخلي عن الأفكار النمطية والتعميمات، والتعرف على مجتمع الآخر، وديانته، وتقاليده، وثقافته، وطريقة حياته، في حين أنّ البقاء منعزلاً في قريتنا العالمية يبدو خياراً يفرضه المرء على نفسه.

أما الجيل الذي يلي الخوف والجهل، فيضمّ التحيّز والتمييز. يعيش هذا الجيل بشكل إما رسمي- حيث يتّخذ طابعاً مؤسساتياً كما في نظام الفصل العنصري- وإما غير رسمي في اللقاءات اليومية بين مختلف الأشخاص. من جديد، تجدر الإشارة هنا إلى أنّ التحيّز قد يكون رد فعل طبيعي ومغفور عند مواجهة أشكال الاختلاف، وفي غياب قاعدة معارف كافية. فيميل المرء إلى التأثر بالأفكار النمطية والتعميمات المستقاة من وفرة الرسوم الكاريكاتورية التي تصوّر الآخر. لكن لا يحقّ للمرء تحويل مشاعر التحيّز ضد شخص ما إلى تمييز فعلي بحقه، سواء أكان ذلك في العلاقات الشخصية أم المؤسسات المجتمعية. فلا يجوز للحكم الذي يكوّنه المرء في قلبه أو عقله أن يتحول إلى كلمات مليئة بالكراهية، أو سلوك متعصّب، أو معايير اجتماعية تمييزية، أو إقصاء مشروع، أو ممارسة مؤسساتية غير متساوية.

أما ذرية التحيّز والتمييز، فلائحة لا تنتهي من التيارات المستحدثة وأشكال الرهاب. هؤلاء الأشقاء والشقيقات يتمتعون بالتركيبات الوراثية التي تميّز شجرة العائلة بأكملها: فغالباً ما يكونون المستفيدين من الخطيئة الأصلية، ويبقون في حالة إنكار تجاه مدى تواطئهم فيها؛ فيفضّلون انتهاج أسلوب جهل الآخر، كما ينمّون مشاعر الخوف في ما بينهم تجاه أي آخر؛ ويتمسكون بتحيّزهم ويبحثون عن طرق لمأسسة التمييز. فتكون النتيجة أن يمسي الاختلاف شقاقاً والتنوّع نزاعاً وتنافراً.

من هؤلاء الأشقاء والشقيقات الذين ينتمي إليهم رهاب الإسلام: العنصرية ضد أصحاب البشرة الداكنة، والتحيّز ضد المرأة، ومعاداة السامية ضد اليهود (في حين تُستثنى الشعوب السامية الأخرى عمداً من هذا التمييز، لكنها تكون مشمولة ضمن أشكال أخرى منه)، ورهاب الأجانب، ورهاب المثليين الذي يستهدف أشخاصاً من توجه جنسي مغاير. وقد بات رهاب الإسلام محور التركيز بصورة أقوى في السنوات الأخيرة، بصفته الخوف من الإسلام والمسلمين، وكراهيتهم في الوقت عينه، بتأثير ناجم تاريخياً عن الآثار المستمرّة للحملات الصليبية والاستشراق، وفي الآونة الأخيرة عن المشاريع الاستعمارية والصهيونية في الأراضي الإسلامية، والارتدادات السلبية المؤسفة في عصرنا هذا التي تتّخذ شكل التطرف والإرهاب باسم الإسلام والمسلمين.

محاربة نظام واحد ومتكامل من الشر

إذا اعترفنا برهاب الإسلام كأحد الأشقاء في سلالة متعددة الأجيال، وكإحدى الظواهر في عائلة من الأشقاء الأشرار، فمن الطبيعي إذاً أن يخلّف ذلك تبعات على كيفية فهمنا لرهاب الإسلام ومحاربته. هذا كان الواقع التصوري المفروض على مسلمي جنوب أفريقيا في مجتمع الفصل العنصري.

لا ريب في أنّ تاريخ جنوب أفريقيا تخلّله رهاب الإسلام. فقد كان الإسلام كدين محظوراً طيلة أكثر من 100 عام، وممارسته محرّمة لا بل تستوجب العقاب، وقادته منفيين محلياً بعيداً عن أماكنهم المنشأ، وأتباعه مرغمين على إيجاد الذرائع والحيل لممارسة ديانتهم. بالفعل، خلال تطبيق نظام الفصل العنصري، لم يكن الإسلام معترفاً به كديانة (بل أُعلن أنه "إيمان كاذب")؛ على سبيل المثال، لم يكن للزواج الإسلامي أي صفة، وكان الأطفال ثمرة هذا الزواج يُسجّلون كأطفال غير شرعيين. ومع أنّ رهاب الإسلام كانت منتشراً حتماً، وآثاره كانت مدمّرة بالنسبة إلى المسلمين، إلا أنه لم يتحوّل إلى خطاب مهيمن وطاغٍ بين الجنوب أفريقيين، ولا حتى بين المسلمين في البلاد.

قاوم قادة مسلمي جنوب أفريقيا إغراء حصر معاناتهم ضمن نطاق رهاب الإسلام، احتراماً لحجم معاناة الجنوب أفريقيين السود وعمقها تحت نير العنصرية، ومعاناة عمال المناجم الوافدين من دول أفريقية أخرى بسبب رهاب الأجانب. لقد فهم المسلمون أنه رغم معاناتهم بسبب رهاب الإسلام، فإنّ لون بشرتهم يعني أنهم يعانون بسبب العنصرية أيضاً، كما تواجه المرأة المسلمة التحيّز الجنساني بدورها. تلك كانت النقاط المترابطة التي وضّحت الطبيعة المتكاملة للشر الذي كنا نواجهه. بفضل هذا الاعتراف، استنتجنا أننا سنهزم رهاب الإسلام عندما نحارب شجرة العائلة كلها التي أوجدته. بالفعل، سنهزم رهاب

الإسلام عندما نواجه أخطر أشقائه، وأكثرهم انتشاراً وشمولية: العنصرية! وتجدر الإشارة إلى أنّ كل شقيق في أسرة التعصب هذه مفصّل بحسب المجتمع الذي يختار قمعه.

لهذا السبب، تتضمّن صفوف الحركة الشعبية أسماء أبطال مسلمين، إلى جانب الأبطال الآخرين. فقد عقد المسلمون تحالفات وائتلافات مع كافة الأيديولوجيات لإلحاق الهزيمة بنظام الفصل العنصري. ولهذا السبب أيضاً نصّ جزء من الدولة الجنوب الأفريقية المتصورة ما بعد نظام الفصل العنصري على منح المسلمين الكرامة والمساواة وحرية مزاولة المعتقد، فضلاً عن الحماية من كافة أشكال التمييز بما في ذلك رهاب الإسلام.

الدروس المستخلصة من جنوب أفريقيا لهزيمة رهاب الإسلام

لعله من المفيد بالنسبة إلى المجتمع المسلم عبر العالم التعلم من نضال جنوب أفريقيا ضد نظام الفصل العنصري، وبالتحديد من طريقة تموضع المسلمين في هذا النضال، بهدف تصوّر كيف سيكون شكل النضال ضد رهاب الإسلام، وتطوير مجموعة المهارات اللازمة للتصدي له، وتجاوز القدرات والحدود الخاصة، وتنظيم النضال بطريقة دامجة ومبتكرة وناجحة.

لعله من المفيد بالنسبة إلى المجتمع المسلم عبر العالم التعلم من نضال جنوب أفريقيا ضد نظام الفصل العنصري، وبالتحديد من طريقة تموضع المسلمين في هذا النضال، بهدف تصوّر كيف سيكون شكل النضال ضد رهاب الإسلام، وتطوير مجموعة المهارات اللازمة للتصدي له، وتجاوز القدرات والحدود الخاصة، وتنظيم النضال بطريقة دامجة ومبتكرة وناجحة.

أولاً، كافحوا رهاب الإسلام، لكن لا تتّخذوه هوساً! يَفترض الهوس برهاب الإسلام فصله عن أشكال التعصب الأخرى كما لو أنه غير متصل بها، أو احتكار المعاناة كما لو أنه ما من ضحايا آخرين للتعصب، أو رفع مقامه كما لو أنه أسوأ أشكال التعصب التي تضرب المجتمع. يعكس ذلك غطرسةً وأنانيةً، ويؤدي إلى طريق مسدود استراتيجياً. في الواقع، لعلّ أفضل طريقة لمحاربة رهاب الإسلام هي الانخراط في أعظم المعارك التي تواجه كافة شرائح المجتمع، دونما التركيز عليه حصراً، ودونما الحاجة إلى خطابات متخصصة أو آليات خاصة. ويجب أن يبقى التركيز المتخصص دوماً ضمن إطار النضال المتعدد الأبعاد ضد شر متكامل واحد.

ثانياً، تواصلوا داخلياً وخارجياً! يجب أن يحشد القادة، في نضالهم ضد رهاب الإسلام، المسلمين بصفتهم المستهدف الأساسي من رهاب الإسلام، وذلك لئلا يقع هؤلاء في وضعية الضحية التي لا حول لها ولا قوة، بل لينظموا أنفسهم ضد رهاب الإسلام. لكنّ هذا التنظيم لن يتحقّق فعلاً إلا عندما يكون تحويلياً: فيجب أن يلمس المسلمون قبل كل شيء التعصّب الذي يكنّونه أنفسهم تجاه الآخرين، كالتحيّز الجنساني ورهاب المثليين ومعاداة السامية. في الوقت عينه، يجب أن يتواصل القادة مع بقية الأشخاص الذين يعانون العنصرية ورهاب الأجانب، لكي يتضامنوا مع ضحايا رهاب الإسلام، مع تكريس الشعور أنّ تعبئة المسلمين ستكون موجّهة ضد رهاب الإسلام وبقية أنواع التعصّب التي يعاني منها الآخرون.

ثالثاً، تعلّموا أدوات العمل معاً! ليس العمل معاً بغريزة ، بل مهارة مكتسبة. فعندما يواجه الأشخاص احتمال العمل معاً، قد يكون هذا التعاون أسلس وأسهل عندما يفعلون ذلك مع من يشبههم، لكنهم قد يصطدمون بمختلف أنواع العوائق عند التعامل مع من يختلف عنهم. لذا، فإنّ تعلم كيفية العمل معاً مسألة تتعلق بفهم الأهداف والمنهجيات: فإذا كنت تتشارك مع غيرك في الافتراضات الجوهرية وقيم الحياة، قد يكون من الممكن نسج التحالفات لتحقيق هذه الأهداف؛ أما إذا كنت تختلف معه في قيم حياتية أو مبادئ دينية، لكنك تتشارك معه رغم ذلك في هدف هزم التعصب، فقد يكون من الممكن تنظيم ائتلافات فضفاضة. لكن عندما تجد أوجه شبه قليلة جداً على صعيد القيم والأهداف، ما خلا المعاناة المشتركة، فقد تتقارب مصالحكما بشأن بعض القضايا- كالترحيل أو حظر دخول مواطني بعض البلدان- مما يؤدي إلى تعاون حول قضايا معيّنة.

رابعاً، تجنبوا الخمول والتهور على السواء! إنّ الامتناع عن أي حركة إزاء عاصفة من التعصّب، وعدم فعل أي شيء قد يهدّد وجوداً هشاً في الأصل هو، على الأرجح، غريزة تتشاركها أكثرية الأشخاص. فمن المحتمل أن يضفوا طابعاً دينياً على سلبيتهم هذه (كالقول إنّ الحياة التالية ستكون أفضل) أو أيديولوجياً (لا أعمل مع المثليين). مهما يكن من أمر، يجب تخفيف خوفهم من خوض نضالات من خلال القيادة المسؤولة التي تستميل من خلال الكلمات الموزونة، وتقترح خطوات قابلة للتنفيذ، وتسجّل إنجازات صغيرة لكن قابلة للقياس تعكس رغبةً واعيةً في تجنب التهور؛ تلك القيادة التي كانت، لولا ذلك، لتستميل العناصر الأكثر غضباً وحباً للمغامرة وتطرفاً في المجتمع.

أخيراً، كونوا الوسط المفقود! يستحق المجتمع المسلم عبر العالم الثناء على ما يتمتع به من صلابة في المبادئ. لكن قد يكون، غالباً، متشامخ الفكر لدرجة أنه ينفر من المخاطر عندما يتوجب عليه التحرك، وذلك إذا تعلق الأمر، وإن من بعيد، بالتفريط في مبادئه. كما يمكن أن يكون ماكراً جداً على صعيد التكتيكات. بالفعل، هكذا تيسّر للمتطرفين استقطاب عناوين الصحف والأخبار باسم الإسلام والمسلمين. وبحثاً عن مبدأ ما، قد يصمّم أحياناً أكثر التكتيكات دناءةً، لكنّ المفارقة أنه قد ينسف في سياق ذلك المبدأ نفسه الذي يدّعي صونه، كجمال الإسلام ورحمته على سبيل المثال. ما ينقص في حساباتنا هو الوسط الذي يشكّل صلة وصل: أي الاستراتيجية. فكيف نبلغ وجهتنا- أي أهدافنا القائمة على المبادئ- عبر سلوك سبيل مستدام- أي الاستراتيجية- يتطلّب الاستعانة بشركاء وحس عمليّ، ويحدّد بدوره شكل الخطوات التي نتّخذها- أي التكتيكات؟ الاستراتيجية هي التي تصلنا بالمبادئ وتضمن توافق التكتيكات مع الأهداف النبيلة. هذه هي المكانة الوسط التي لطالما أفلتت من يد المسلمين.

الخاتمة

إنّ نطاق رهاب الإسلام وطبيعته، وارتباطاته بمظاهر التعصب ضد كافة الأشخاص المختلفين، يفترض أنّ التحديات التي تواجه شعوب الأرض "المقصية" هي، فعلاً، غير مسبوقة ومستعصية على ما يبدو. لكن ليس من وصفات جاهزة لمواجهة التعصب، رغم وجود بعض الأمثلة التي يمكن استخلاص دروس منها، كالنضال ضد نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، والنضال من أجل الحقوق المدنية في الولايات المتحدة. ففي حين كان الأول نضالاً من قبل أكثرية السكان لتحرير الوطن، شكّل الثاني نضالاً من قبل الأقلية للحصول على حقوقها السياسية والاجتماعية- الاقتصادية. في مطلق الأحوال، شكّل كلاهما نضالاً من أجل المواطنة.

اعترافاً بفكرة أنّ المواطنة تصب في قلب النضال ضد رهاب الإسلام، وضد سائر أنواع التعصب أيضاً، يمكن أن تشكّل هذه المواطنة صمام الأمان الذي يجمع كافة الشعوب المتأثرة بمختلف أشكال التعصب في سعيها المشترك نحو التخلص منه. يُعتبر هذا الأمر مهماً جداً خاصة وأنّ التعصب بات، شيئاً فشيئاً، يفرض احترامه على الساحة، مع سيطرته على الخطاب السائد، وإيجاده القوة اللازمة لتشريع نفسه.

تخوض القيادة الاستراتيجية اليوم معركةً من أجل فرض مفهوم المواطنة الشاملة والمتساوية والمصحوبة بالكرامة. وقد يكون لعدد أكبر من المواطنين- حتى أولئك الذين لا يعانون تعصّباً مباشراً- مصلحةً في إزاحة المتعصّبين عن السلطة (كدونالد ترامب) أو عرقلة مسيرتهم نحو السلطة (كوايلدرز ولو بين)، أو عكس تأثيرهم (خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي) لأسباب غير تلك التي تتعلق بالتزام النضال ضد التعصب.

ما ينقص في حساباتنا هو الوسط الذي يشكّل صلة وصل: أي الاستراتيجية. فكيف نبلغ وجهتنا- أي أهدافنا القائمة على المبادئ- عبر سلوك سبيل مستدام- أي الاستراتيجية- يتطلّب الاستعانة بشركاء وحس عمليّ، ويحدّد بدوره شكل الخطوات التي نتّخذها- أي التكتيكات؟

قد يوحي انتشار رهاب الإسلام ومختلف أشكال التعصب أنها تسير بخطى واثقة للغاية وأنها لا تقهر. لكنّ هذا الانتشار بحدّ ذاته قد يشكّل القشة التي تقصم ظهر البعير، تلك التي تقنع الضحايا الأفراد أنّ معاناتهم ليست فريدة من نوعها، وأنه يجدر بهم مضافرة جهودهم في معركة استراتيجية ضد نظام بأكمله. عندها فقط، يكتشف الأشخاص الخطوة الأولى في طريق تنظيم أنفسهم... وهو تنظيم سيقودهم إلى تجاوز حدودهم الخاصة والتواصل مع الآخرين، تنظيم للمشاركة في نضالات ملحمية تحدّد مصير جيلهم.

عندها فقط، يكتشف الأشخاص الخطوة الأولى في طريق تنظيم أنفسهم... وهو تنظيم سيقودهم إلى تجاوز حدودهم الخاصة والتواصل مع الآخرين، تنظيم للمشاركة في نضالات ملحمية تحدّد مصير جيلهم.

THE
CARTER CENTER



One Copenhill
Freedom Parkway 453
Atlanta, GA 30307
420-5100 (404)

www.cartercenter.org